

مركز الطب الإسلامي والمعالجة بالنباتات

الموصل جسر بين الحضارات





العربي

جرائم
١٢٥ عربي

مركز للطب الإسلامي والمعالجة بالنباتات

الموصل جسر بين الحضارات

SANYO سانيو

بمشاهدة أوضح







العدد ٣٤٦ السنة الثلاثون سبتمبر ١٩٨٧



مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت

رئيس التحرير

د. محمد الرميحي

ص.ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تليفون ٢٤٤٩٧٢٨ - ٢٤٥٨٤١٣ - ٢٤٤٢٧١٦
برقيا "العربي" الكويت - تلكس 44607
تليفون فاكسيميلي ٢٤٤٢٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

Issue No 346 Sept. 1987, P.O.BOX 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام علماً بأنها كالتالي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الإمارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الأردن ٣٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٧ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	بريطانيا [illegible] استرليني
مصر ٦٠ قرشاً	لبنان ١٥ ليرة	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٩٠ قرشاً	سوريا ١٠ ليرات	أمريكا دولاران



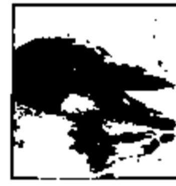

محتويات العدد



الغذاء النووي ص٤٤




النحات سامي محمد ص٨٨



الدلفين والإنسان ص١٠٣







د. فاطمة المرنيسي

علاء الدين محسن

استطلاعات ومقابلات



مركز البحث الإسلامي ص١٢٩



ضحايا بلاد النخيل والنارجيل ص١٤٤

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر .. والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء.

أبواب ثابتة :

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

عزيزي القارئ

في اجتماع هيئة التحرير لإعداد سلسلة أعداد «العربي» للخريف، واجهنا سؤال ذكره أكثر من قارئ في رسائل مطولة. السؤال عن حقوق النشر باللغة العربية التي ما زال يدور حولها كلام كثير. والمناسبة أن أحد القراء أرسل الينا مجلة تصدر في اسبانيا باللغة العربية، نقلت موضوعا نشرناه في العدد (٣٣٦) لشهر نوفمبر ١٩٨٦ وهو للزميل حسن عباس، عن الآثار العربية في شمال الأندلس. واللافت للنظر أن المقال بصوره وباسم كاتبه نشر كاملا دون إشارة للعربي. وموضوع آخر بعث لنا أحد القراء رسالة حوله، وهو عن حركة التاميل، كنا قد نشرناه في العدد (٣٢١) لشهر اغسطس ١٩٨٥ من العربي بقلم الزميل سليمان مظهر.. وموضوع ثالث عن الاتجاه الموسيقي.. الخ.

وإذا كنا في العربي لا نستهدف إلا إشاعة الثقافة الجادة، ولا يضيرنا ما ينقل عنا، إلا أن المطلوب هو شيء من حسن السلوك المهني، حتى لا يضلل القارئ، ولا تفقد المطبوعة حقوقها الأدبية بحكم المبادرة والريادة، فالمطلوب فقط هو الإشارة إلى مصدر النشر وتاريخه حفظا للحقوق المعنوية.

وعلى الرغم مما يسببه هذا النوع من القضايا من مضايقات، إلا أنه يشير أيضا إلى نجاح «العربي» في مسارها الذي دأبت عليه، وهو تقديم كل جديد ومفيد وممتع. لذلك فإن هذا العدد حافل بالموضوعات التي تجد فيها - عزيزي القارئ - متعتك الثقافية. فالدكتور عبد العزيز كامل يكتب لك عن حس من كلمات ونور، والدكتور عبد الوهاب المسيري يحدثك عن «أكذوبة الثقافة اليهودية». والدكتور أسامة الخالدي يستعرض بعض الجهود العربي في العلوم الأساسية. أما قصي رضوان فيجيب على تساؤل: هل كان الرجل المريض مريضا؟ كما يتأمل فهمي هويدي إشكالية الآخر في التفكير الاسلامي. ويحدثك الدكتور فخري اسماعيل حسن عن الذكاء والذاكرة. والدكتور إحسان صدقي العمد عن الأسلحة النارية. وكما عودتك العربي عزيزي القارئ، لدينا لك استطلاعا عن «الموصل.. جسر بين الحضارات»، وآخر عن «سمان بلاد النخيل والنارجيل» وثالث عن مركز الطب الاسلامي في الكويت. كل هذا عدا مجموعة من المقالات في الطب والعلوم وأبواب وجها لوجه والبيت العربي وكتاب الشهر وغيرها.

بجانب ذلك فإننا نعد في العربي انطلاقة جديدة لعام قادم جديد، تدخل فيه العربي عامها الحادي والثلاثين، نرجو من خلاله أن نواصل إسهامنا في إغناء الثقافة العربية.

وأنت عزيزي القارئ مع كل عدد من «العربي» على طريق جديد.

المحرر



بقلم الدكتور
محمد الرميحي

إلى العائلة؟

فرغت تواً من قراءة كتاب مشوق، جديد في موضوعه، يطرح قضية انسانية هامة بطريقة جديدة، أو قل بطريقة شعبية لا تستعصي على القارىء العام. الكتاب يتحدث عن الأسرة، الحلقة الأولى في المجتمع الانساني. عنوان الكتاب يشد الانتباه. فقد وضع له المؤلفان عنواناً مثيراً ترجمته الأكثر قرباً للمعنى باللغة العربية هو «الأسر: وكيف ننجو من رواسبها...!»*.

وهو عبارة عن حوار بين كاتب هو (جون كليز) ومحلل نفسي عائلي هو (روبن سكينر).

جون كليز هذا كان يعاني كما يقول من انفلونزا مزمنة. ومجموعة من المشكلات مع زوجته، ولم تذهب الانفلونزا رغم العلاج الطويل لها إلا بعد أن نصحه طبيبه المعالج بالالتحاق بمجموعة تتعاطى العلاج الجماعي حيث ان مرضه ليس له أسباب عضوية. وهناك صادف المحلل روبن سكينر. وبعد ثلاث سنوات من العلاقة المهنية والعلاجية ظهر هذا الكتاب.

* FAMILIES: And How To Survive Them - Robin SKYNNER John Cleese.

يقول الكاتب واصفاً تجربته ، أنه لم يدخل عالم التحليل النفسي والعلاج الجماعي وهو سعيد ، فهو كغيره من الرجال والنساء في العالم ، لديه تحفظات على علم النفس وما يستطيع وما لا يستطيع عمله !

ولكن الموضوع الذي اعتقد أنه سينهيه في أشهر لتجربة التغلب على مشكلاته العائلية والصحية استغرق لإنهائه ثلاث سنوات ، يقول : (كانت أفضل خبرة في حياتي الراشدة ، خرجت منها وأنا معافى صحياً ونفسياً ، ولقد كانت هذه الخبرة مساعدة كبيرة لتجاوز عقبات الحياة ومنغصاتها ، فقد اصبحت أقبل على أية مشكلة تصادفني وأنا أكثر ثقة .

لقد مر بي وقت تصورت فيه ـ بعد أن سمعت مشكلات زملائي ـ أن أعقد الأفلام الروائية الدرامية التي نشاهدها على شاشة التلفاز ما هي الا قصص واهية ومصنوعة وغير مقنعة اذا قارنتها بحقائق الحياة التي تكشفت لي .
لقد اكتشفت أشياء كثيرة عن نفسي لم أكن أعرفها من قبل ، كما اكتشفت انني احمل صورة عن نفسي لم تكن واقعية .

ثم بدأت أسأل أسئلة جديدة في محور العلاقة الانسانية ، العلاقة بين الرجل والمرأة) .

إنسان واحد وشخصيات متعددة :

● يقول الكاتب : (نتيجة للخبرة السابقة بدأت أنظر الى الحياة بشكل ايجابي ، واستمتع بها ، ووجدت أن أية مشكلة أواجهها الآن هي بالنسبة لي أقل قسوة وأكثر قرباً للحل ، نتيجة لأفكار العلاج الأسري ، ومواقفه ومناهجه ، فقد تطور كثير في السنوات الأخيرة) .

الكثيرون عندما يولدون ويترعرعون وينشؤون في نطاق الأسرة ، تبدو لهم القضية كأنها عمل تلقائي ، ومعظمنا عندما يولد لنا أطفال (بنين وبنات) تتركهم أيضاً لأشكال التنشئة الاجتماعية المتوارثة

ولكن القليلين ما هم من يعرفون أن مستقبل هذا الطفل او ذاك ـ ليس المادي فقط كما يتبادر الى الذهن ولكن الصحي والعقلي ـ يعتمد اعتماداً تاماً على كيفية عمل الأسرة وعلاقة الوالدين بالطفل وعلاقتهما مع بعضهما ، خاصة في السنوات الأولى من حياة ذلك الطفل !



خطورة الأمر تكمن في أن هذا الطفل إن كان لديه أية أمراض عصبية فإن أعراض تلك الأمراض تظهر عليه ، ويستطيع أن نعالجه أو نتفهمه ، ولكن ضعيف الصحة العقلية لا تظهر عليه في كثير من الأوقات أعراض مرضه ، لكن نتائج ذلك المرض ـ سواء كانت قوية او ضعيفة ، ظاهرة او مخفية ـ تكون بالغة الخطورة عليه وعلى اسرته وعلى مجتمعه ، لذلك فإن العلماء يجتهدون لاكتشاف قوانين عمل الأسرة في المجتمع الانساني ، وكيف يمكن

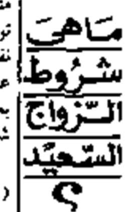
للاسرة أن تساعد لايجاد جيل يتمتع بصحة عقلية سليمة . وحتى في داخل الاسرة الواحدة فإن الاختلاف في المعاملة بين طفل وآخر ينتج رجالا ونساء مختلفين . وكثيرا ما يحكم الشخص العادي على أختين أو أخوين بأنهما مختلفان .

■ هل الحب أكذوبة إنسانية ، نريد أن نصدقها لأنها تمنحنا شيئا من الاطمئنان ، أم أن هناك بالفعل شيئا اسمه الحب ؟

تقول لنا الدراسات الحديثة في علم الاجتماع العائلي أن الحب أكذوبة صدقناها . فالناس يتزاوجون لأسباب محددة ، وهي أنهم يتشابهون في الخلفية الأسرية ، أي أن تجاربهم الاسرية متشابهة ، وذلك هو ما يشد بعضهم إلى بعض . والذين يتزوجون يأخذون أسرهم معهم « نفسيا » . لقد اكتشفت تلك الحقيقة من خلال ما يسمى (بالتمرين الأسري) وهو تمرين طور في أمريكا ، وجرب في اكثر من مكان في العالم الصناعي ، وأتى بنفس النتائج . هذا التمرين هو أن توضع جماعة تضم من عشرين الى أربعة وعشرين شخصا ، نصفهم من الرجال والنصف الآخر من النساء دون معرفة سابقة ، ويطلب من كل واحد منهم - دون تبادل الحديث - أن يختار شخصا من الجنس المخالف مفترضا أنه اختار زوجا أو زوجة ، ثم يطلب من كل اربعة أن يشكلوا أسرة ، ويوزعوا الأدوار فيما بينهم ، كأن يختار احدهم دور الأب والآخر دور الابن وتختار المرأة دور الزوجة أو الجدة .. الخ . لقد اكتشفت من خلال هذه التمارين أن الاختيار غالبا ما يتم نتيجة تشابه في الخلفيات الأسرية . هذا الاكتشاف جاء دائما من نفس الذين قاموا بالتمرين ، فهم يشجعون على الحديث عن أسباب الاختيار ، وبعد وقت يجد الجميع أن هناك شيئا متشابها في خلفياتهم الأسرية ، كأن تكون هناك مثلا صعوبات في المشاركة العاطفية ، أو صعوبات في التعبير عن الغضب أو الحسد ، أو يكون ما يجمعهم أنهم اناس متفائلون ضاحكون أو متشائمون عابسون . وقد يكتشفون أنهم محرومون من تواجد الأب عندما كانوا اطفالا او ان أسرهم فقدت عزيزا لديها عندما كانوا في نفس العمر . والملفت للنظر أن هذه التمارين الأسرية قد أظهرت أن من عاشوا طفولتهم في أسر بديلة أو في مؤسسات رعاية أسرية غالبا ما يختارون بعضهم بعضا كأزواج محتملين ، دون أن يعرفوا مسبقا خلفيات بعضهم ! لقد شعروا بالانجذاب في بداية حياتهم فاختار بعضهم بعضا !

يقول الكتاب أن اختيار الزوجين بعضهما بعضا هو في الحقيقة اختيار (مصلحي) تتمحور أسبابه حول ثلاث قضايا :

إما أن تكون أسبابا اجتماعية ، مثل الطبقة أو المستوى الاقتصادي أو





المذهب او الديانة ، وإما أن تكون أسبابا شخصية واعية مثل الشكل الخارجي أو الاهتمام بموضوعات متشابهة في الحياة ، أو قد تكون أسبابا (غير واعية) يسميها بعضهم (الكيمياء) وهي في حقيقة الأمر ما تتحدث عنه .

والأسباب الأخيرة التي سميناها أسبابا (غير واعية) ليست بالضرورة أسبابا (غير ظاهرة) ، بل على العكس ، فقد تكون ظاهرة تتضح في (لغة البدن) Body Language ، كيف تلبس ، كيف تتحرك ، كيف تشعر الناس بالاهتمام أو بقلة الاهتمام . . . الخ . فهناك جوهر للشخصية يمكن أن يظهر حتى على ملامح الانسان الخارجية .

فالشخص المكتئب يتحرك دون عناية ، مترهلا ، عابسا . . وعلى مر الزمن يأخذ شكل وجهه وتقاطيعه مظهر الاكتئاب ، وهو نفس ما ينطبق أيضا على الشخص المرح المبتسم . فاختيار الشريك إذاً ليس كما علمتنا الكتب ، وإنما يتم عن طريق الحب ، فالحب - إن وجد - يكون وزنه النسبي قليلا في مجموعة العوامل الاجتماعية والشخصية .

■ في الأسرة الصغيرة التي تنجذب طرفاها (الزوج والزوجة) الى بعضهما لأسباب أهمها تشابه الخلفية الاجتماعية والنفسية يولد الطفل الجديد - كما يقول الكتاب - محكوما عليه سابقا بخلفيات والديه . فإذا كان والداه قد حرما من الرعاية في صغرهما فانهما لن يستطيعا أن يقدما له هذه الرعاية (فان لم يعتن بنا بشكل جيد ونحن صغار ، لن نعرف كيف نعتني بالآخرين عندما نكبر) ، إنها حلقة لا تعوضها الخبرة في المجتمع بعد ذلك .

لذلك فاننا نرى في الحياة أشخاصا يتصرفون اجتماعيا بطريقة مختلفة عما نتوقعه . . لماذا ؟

لأن توقعاتنا هي خبرتنا وتصرفاتهم هي خبرتهم ، وعندما يشب الأطفال فانهم يحملون خبرات أسرهم معهم . هذه الخبرات محملة بما تحدده الأسرة منذ البداية حول ما هو الشعور (الايجابي) ، وما هو الشعور (السلبي) .

كقبول السلطة أو الخروج عليها ، وقبول التعاون مع الآخرين أو الانغماس في الفردية ، والسيطرة على الشعور السلبي كالغضب أو الحسد أو الغيرة او عدم السيطرة على مثل هذا الشعور . كل ذلك يرضعه الطفل من أسرته في سنواته الأولى ، وإذا كان ثمة انحراف سلوكي للطفل في المستقبل فانه يكون هناك تحت سمع الوالدين وبصرهما أو بسبب سلوكهما !!

وبدون (الانضباط الشخصي) الذي يلعب الأب دورا مهما في تلقينه للطفل ، وتحديد خريطة ما هو مقبول وما هو ممنوع ، لا يستطيع الطفل ان يكون علاقات جيدة مع السلطة في مجتمع عندما يكبر ، فالأوامر والنواهي الاجتماعية التي لم يتعرف عليها الطفل لا يستطيع أن يقبلها بعد ذلك . حيث كانت كل طلباته مستجابة ، وكل ما يفعله مقبولا ، فهو لا يقبل بعد ذلك أي تحديد لهذا السلوك ، وعند ذلك فانه يقاوم اي سلطة تريد أن تحد من شهواته .

والخطورة لا تكمن هنا فقط ، فعندما يوضع وهو رجل في موقع يحتاج فيه الى ممارسة الانضباط سيجد ذلك صعبا ، فالسلطة مطلوبة (بحب وبحزم) من الوالدين تجاه الطفل ، والطفل الذي يعامل بهذه الطريقة يكتسب قدرا من انتقاد الفرد بعد نضوج حوله ، وعندما يتخذه يقوم بتطبيقه بحنية ، وهذا هو المطلوب في السلوك السوي .

والطفل ايضا يحتاج الى إخوة وأخوات وأصدقاء يلعب معهم ، ليس من أجل اللعب فقط ، وإنما من أجل أن يتعلم المشاركة ، وضبط شعور الانانية . فالأطفال الذين لا يعرفون معنى ضبط هذا الشعور ومعنى المشاركة ، لا يفهمونها عندما يواجهون بها في المجتمع وهم كبار .

خطوات الاستقلال عن الوالدة ثم عن الوالد - أي الاسرة - عملية خطيرة في حياة الاطفال والمراهقين . وبدون اجتيازها بنجاح عن طريق فهم الوالدين لهذه الضرورة - ضرورة الاستقلال - وتسهيلها امام أطفالهم ، قد تنتج عنها مضاعفات نفسية خطيرة للاطفال . وعندما لا يحصل الأطفال على تلك الفرصة بشكلها الطبيعي فانهم يتحولون الى التعلق المرضي بوالديهم او بأحدهما ، وعندما يتزوجون يحولون أزواجهم أو زوجاتهم الى اباء وأمهات . فالخلل في مرحلة النضج والاستقلال تلك يواكب الناشىء طول حياته ، ويخلق له المشكلات مع من يحتك بهم في المجتمع .



وتشجيع هذا النضج يجب أن يتم عن طريق حث الأم لطفلها في البداية للعبور الى خبرة الوالد ، ثم حث الوالد للطفل للعبور الى خبرة المجتمع ، عن طريق تشجيعه بالالتحاق بمجاميع من سنه ، وكذلك تشجيعه على انشاء علاقات صداقة مع أفراد من نفس الجنس

فالفشل في العبور من مرحلة الى مرحلة في سن الطفولة مع أب أو أم غير

قادرين على هذه العملية الصغيرة ـ عملية التنشئة الاجتماعية السليمة ـ تورث للأطفال مصاعب نفسية ، قد لا تكون ظاهرة بل مختفية في نفوسهم .

[illegible]

■ كما هو في الحياة فهو أيضاً في النفس ، فعندما لا نستطيع أن نهتم بشيء فنتجاهله ، ونصرف النظر عنه إلى شيء آخر . فإننا نسقطه من حسابنا . وفي النفس غفوة تعمل لعملية . إلا أن هذا الإسقاط يظل حبيس ستار كثيف ، لأننا لا نريد أن نعرف ما هو خلف هذا الستار .

هذه عملية سماها عالم النفس الأمريكي هاري ستاك سوليفان (التجاهل الاختياري) . وهذا التجاهل الاختياري هو أننا نتجاهل متعمدين الشعور السلبي ، أو أي شعور نعتقد أنه سلبي . نخفي نحن هذا الشعور خلف هذا الستار ولا نظهره لأنفسنا ولا للآخرين . ولكن وضعنا ذلك الشعور ـ وهو شكل قوي من الشعور السلبي ـ خلف ذلك الستار لا يعني أنه ليس موجوداً .

فالشعور يمكن أن يوضع خلف الستار بسبب سببين رئيسيين .

إما بسبب (الصدمة) أو بسبب موقف الأسرة منه . خذ مثلاً شعور بالغضب لدى طفل ، فهو من الممكن أن يحدث بسبب حالة معينة بكمية قوية ، فإذا نحن والدته تستشفي بعد أن يصاب بحالة غضب ، فهو [illegible] السبب الذي حدث والدته [illegible] وتخلت عن [illegible] . لذلك فإنه سوف يعتقد أن والدته تركته لأنه غضب . ومن هنا فإن شعوراً بالخوف سيبدأ عندما تنتابه حالة غضب ، ثم يجعله يحاول إما أن يضع هذا الغضب خلف الستار ، أي لا يعترف به . وينتقل من الصدمة . وربما يضع شعور الغضب خلف الستار لأن هناك تعاطفاً قوياً في الأسرة أن (الغضب معيب) فالطفل المحبوب عليه أن يكون هادئاً مسالماً . هذا فهو في البداية يخفي غضبه ليرضي الأسرة ، ثم بعد ذلك يخفي غضبه عن نفسه .

كل أسرة تضع بعض الشعور الذي تعتقد أنه (سلبي) خلف ستار ، ويتعلم الطفل بالتدريج أن هذا الشعور أو ذلك يجب أن يوضع خلف الستار ويخفى هناك عن العيون . فلكل أسرة ما نقطة عمى Blind Spot . وتنتقل نقطة العمى من جيل إلى جيل ، لكن الستار لا يخفي أي شيء . فإذا كنا متعبين أو مرضى أو تحت تأثير مخدر يمكن أن يتسرب ذلك الشعور من خلف الستار . وفي بعض الأوقات قد يصبح ذلك الشعور [illegible] قوة جداً ، ويأتي إلى المسرح أمام الستار ، ويشعر الإنسان من نفسه كأنه ليس هو . ولابد أن يكون إنسان آخر . وتزداد الحيرة عندما يكون سبب هذا الانفجار أو رفع الستار سبباً تافهاً . كل منا جرب ذلك في نفسه أو أصدقائه أو معارفه ، وعندما يطلق

إذا كنت تعاني من الإنفلونزا أو الصداع النصفي دون سبب عضوي فابحث عن السبب في علاقاتك الأسرية

الزوجان السعيدان لأن الغداء لم يكن جاهزا فإن الشعور المتراكم خلف الستار هو السبب وليس تأخر الغداء .

ولأن هناك خطورة من أن يشعر كل واحد منا بأن هناك شعورا سلبيا خلف الستار مثل الغضب او الغيرة أو الخوف .. الخ يمكن ان يتفلت دون شعور ، فإن جزءا منا يبقى متيقظا لعدو لا يستطيع ان يراه . ولا نعرف لماذا نحن متيقظون حذرون لا نشعر بالراحة ، ولذلك فإن الانسان يبدو متعبا متوترا وهو يبذل الجهد لطمس ذلك الشعور غير المطور ويصبح لهذا الجهد علاقة بمجموعة من الأمراض النفسية العضوية ، كوجع البطن ووجع الرأس (الشقيقة) أو ارتفاع ضغط الدم وأنواع من الروماتيزم .. الخ .

كيف نواجه ذلك ؟

بالاعتراف بأن كل أنواع الشعور لدى الانسان لها دور ايجابي ، ولنرجع الى الغضب عند الطفل ، فلو عرف الطفل أن الغضب ليس معصية عظمى ولا هو عاطفة هدامة ومميتة ، وأن غضب الانسان في بعض الأوقات يمكن أن يكون ظاهرة طبيعية ، وأن الطفل يمكن ان يتحكم في غضبه بشكل معقول ، لو حدث كل ذلك فإن الطفل سيشعر بأمان عندما يعبر عن غضبه ، ويتعلم الطريقة التي يكيف بها غضبه ويكبح جماحه كما يفعل الجميع عادة . في حالات مثل الغضب والقسوة والانانية وكل شعور انساني (سلبي) يكون من الأفضل أن نعترف به ونتحكم فيه ، بدلا من أن نلقيه خلف الستار ثم يظهر بعنف وبشكل مفاجيء وهدام .

فعندما نعترف بهذه الأنواع من المشاعر نستطيع أن نستدعيها في الوقت المناسب للفرص المناسبة ، فكل شعور انساني هام لحياة الانسان ، ولكن عندما نخبيء المشاعر ونلقيها خلف الستار الكثيف فإننا لا نجدها عندما نحتاجها ، وان جاءت مزمجرة ربما سببت لنا خسائر لأننا لم نتعود أن نتعامل معها جيدا .

كل البشر لهم نفس مستوى الانفعال والشعور ، مثل ذلك مثل جسم الانسان الذي يتكون من نفس النسب الكيماوية ، جميعا لدينا الحب والغيرة والشجاعة والحزن ، والتصميم ، والفرح ، والجبن ، والحنان ، والعنف ، والجنس ، والحياء .. الخ من أنواع الشعور الانساني .

ما نبرزه من عواطف أمام الستار وما نخبئه خلف الستار يعطينا شخصيتنا ، ومن يخبيء الحب يبدو ذا شخصية غير ودودة ، ومن يخبيء الشجاعة يجعلنا نحسبه رعديدا ، ومن يخبيء الغيرة يبدو لنا أنه غير قادر على المنافسة ، ومن يخبيء الحزن يبدو مهووسا مثيرا للاهتياج ، ومن يخبيء القلق يبدو مغامرا .

هنا يبدو أن مايشد شخصين الى بعضهما كي يتزوجا ويكونا اسرة ليس



فقط مايظهر امام الستار من شعور يظهر من تصرفها الظاهري ويقنع كثيرا من الناس انه أنسب ، ولكن الذي يشدها الى بعضها أيضا هو ما خلف الستار من شعور .

[illegible]

■ الزوجان السعيدان هما من يعترفان بأن هناك أشكالا كثيرة من العواطف كامنة خلف الستار ، سيسترجعانها بهدوء ويراجعانها ـ حتى لو سبب ذلك ألما مؤقتا ـ لأن في المراجعة ورفع الستار إيجابية العيش معا بشكل أكثر حرية وبهجة ومعرفة ، ومن جانب اخر فان أكثر الزيجات تعاسة تنشأ من أن هناك كثيرا من العواطف كامنة خلف الستار يرفض الاثنان الاعتراف بها ، ودع عنك مناقشتها ، تراهما وقد كثر بينهما الشجار والخلاف ، شديدي الحساسية على كل شيء ، لا يحتملان بعضهما بعضا بالنقد والتجريح .

لنأخذ مثلا على ذلك ، كل يكون حد انتباه يكون او كلاهما يحب (التدليل) لكن هذه العاطفة موضوعة خلف الستار في ما نسميه (التجاهل الاختياري) ، عندئذ تكثر بين الشريكين الخصومات ، لأنها غير معترفين بهذه الحاجة عنده . ولنفترض أنهما اعترفا بها وقدمها كل شريك للآخر ، فان درجة الخلاف بينهما سوف تقل بالتأكيد .

الزواج السعيد ـ كما يقول الكاتب ـ عدده مثل عدد أنواع الأشجار ، وليس هناك وصفة خاصة للزواج السعيد ، أو الزواج المثالي ، ولكن علماء الصحة العقلية اليوم يؤكدون ان الزواج السعيد يقترب من تلك الدرجة كلما كان لدى الزوجين قدرة وإمكانية واستعداد للنظر خلف ذلك الستار ، وكلما ناقشا ما خلف الستار من عواطف مهما كانت درجتها ونوعها كلما أصبحت علاقتهما الثنائية أكثر غنى .

لقد اكتشف البحث الاجتماعي أن الأسر السعيدة تقبل التغير بصورة أسرع ، ربما لأنهم لا يخافون من أي تغير يطلق الشعور الخفي الذي أسدلوا الستار عنه ، كما أنهم يقبلون النقد من بعضهم ، وفي الغالب يتم هذا النقد بطريقة ايجابية مساعدة ، وفي الوقت المناسب ، رغم أن النقد ـ حتى لو كان فيه بعض الحق ـ يسبب ألما نفسيا ، ويزداد هذا الألم النفسي إذا كان النقد موجها لشيء وضعناه خلف الستار ، وكنا قد وضعناه هناك في الأصل لأنه يشوه من تصورنا لأنفسنا ، وذلك هو مايثير الألم .

[illegible]

● أن تستطيع بكل ما يمكن من الصعوبة أن تتحمل التغير الايجابي والسلبي دليل على صحة نفسية وأسرية ، فتقبل التغير كالتخرج في الجامعة والالتحاق بالوظيفة الجديدة أو الفصل من العمل أو التقاعد ، أو وفاة أحد

التطرف السياسي مرض نفسي له علاقة بعقدة الاضطهاد

أفراد الأسرة ، أو الانتقال إلى بلد آخر .. الخ من أشكال التغير في الحياة ، تلك عملية بحد ذاتها صعبة . فنحن جميعا نملك في رؤوسنا تصورا أو وصفا عن عالمنا كما نعرفه ، أو خريطة عقلية متماثلة للحقائق الخارجية (مثل تماثل خريطة العالم مع واقع الكرة الأرضية) ونستخدم هذه الخريطة العقلية كدليل لتصرفاتنا . كل شيء في حياتنا في هذه الخريطة : بيتنا ، قريتنا ، مدرستنا ، أطفالنا ، والدانا ، أصدقاؤنا ، بيتنا ، جيراننا .. الخ . وأي شيء في حياتنا مخطط هناك ليرشدنا للتكيف مع حياتنا . نحن في الحقيقة ننظر إلى جزء فقط من هذا المخطط وإن كان موجودا كله . فعندما يموت قريب عليك أن تتحول من خريطة يحتل فيها شخص هذا القريب مكانا ما ، كبيرا أو صغيرا ، إلى خريطة لا يوجد فيها هذا القريب ، فهذا التغير من خريطة إلى أخرى هو ما يعرف عادة بالتكيف ، وهو إعادة كتابة ورسم منطقنا العقلي . وإعادة الكتابة تحتاج إلى طاقة حتى لو كان التغير إلى الأفضل . ولكننا نحتاج إلى طاقة أكبر عندما يكون التغير إلى الأسوأ أو عندما يحدث التغير المفاجئ . وقد تكون التغيرات صغيرة لكنها متتابعة لا تعطينا الوقت الكافي لنسترجع توازننا ، مثل أن يتسع التغير بسرعة أكبر من قدرتنا على تمثيله . في هذه الحالة نشعر بغموض نحتاج فيه إلى فترة (راحة) كمثل العائلة التي تفقد شخصا بموت ، فلا تستطيع أن تمارس عملها بنفسها ، فيأتي الجيران بالأكل عادة لأنهم لا يعرفون أنها في (أزمة) ..!

مهمة الأم والأب تكوين هذه الخريطة العقلية لأطفالهم ، فالطفل الذي لا يعرف في الوقت المناسب أن هناك حدودا بين عالمه وعوالم أمه وأبيه وأسرته ، يصبح صاحب علاقة مشوشة بالعالم ، ويصيبه بعد ذلك في أزمة التغير المفاجئ ، فهذه الخريطة كلما ألم به طارئ واحتك بالعالم الخارجي .

الأمهات يشاركن في هذا التشوش ، فعندما تكون خريطة الأم أصلا مشوشة - حيث فشلت في طفولتها على رسم خريطة عقلية واضحة - فإنها تنقل هذا التشوش لأطفالها . ويعتقد العلماء أن هذا التشوش في أسوأ حالاته هو أحد الأسباب الرئيسية - على الأقل - لمرض عقلي عضال هو (انفصام الشخصية) . أما إذا كان التشوش في رسم هذه الخريطة العقلية بصورة أقل سوءا فإن الطفل ينشأ وهو يعاني من الهلوسة ، فهو لا يعرف التفرقة بين الحلم وحس اليقظة والواقع الحقيقي ، ويخضع لتأثير الآخرين بشكل غير طبيعي ، ويبدو سلوكه للناس الآخرين غير طبيعي وليس له معنى في بعض الأوقات ، فهو يتخيل قصصا - قد لا تكون واقعية - عن أهله ومدرسيه وزملائه .

لذلك فإن دليل التصرفات والسلوك الذي يضعه الأب والأم مجتمعين لطفلهما أو لأطفالهما ، يعتمد عليه هؤلاء الأطفال في تحديد علاقتهم بالخارج ، وكلما حصلوا على رسائل ثنائية متناقضة زاد التشوش عندهم .

■ دليل التصرفات الذي تقدمه الأسرة لأطفالها ليس دليلا كاملا . فالحياة ليست مثالية ، وعملية الانفصال عن الأم والأب والأسرة تأخذ فترة طويلة . بل ربما تأخذ فترة الحياة كلها . ولأن ظروف الأسر النفسية والصحية والاجتماعية والاقتصادية مختلفة - ربما باختلاف الأسر نفسها - فإن الطفل يشب وفيه شيء من طفولته .

نحن جميعا لدينا طفل في داخلنا . عندما تكون الأمور طبيعية يكون ذلك الطفل في داخلنا ساكنا ، لكنه تحت الضغط يبدأ بالصراخ . بعض (الأطفال الداخليين) يمكن إغضابهم أسرع من الأطفال الآخرين ، حتى لو كان ذلك الطفل الداخلي صغيرا جدا لا يكاد يظهر ، فان الضغط المناسب عليه سوف يجعله يصرخ . ولا فائدة من انكار ذلك الطفل فينا ووضعه هو الآخر خلف ستار . فالرجل القوي المتوازن حقيقة يعترف بذلك الطفل في داخله ويهتم به ويرعاه ، لأنه بذلك يستطيع رعاية الآخرين . أما تجاهله فهو مما يتيح خروجه منفلتا في أي وقت . والاستجواب البوليسي الحديث يعتمد على هذه المعادلة في اظهار ذلك الطفل في الانسان المستجوب . عليك فقط أن تكثر من الضغط مع قطع أية امكانية للتعضيد العاطفي لتجد ذلك الطفل ظاهرا يصرخ . كذلك المرأة لابد أن تعتني بالطفلة داخلها فهي هناك قائمة . والأم التي تشكو من أذى أطفالها وصعوبتهم هي ابتداء قد أغلقت الباب على الطفلة الصغيرة الكامنة في داخلها . فالطفل الذي يصرخ في الخارج هو انعكاس للطفل الذي في الداخل . والاعتراف بالطفل الداخلي هو اعتراف بطلب الحب والرعاية ، والخجل من هذا الشعور ووضعه خلف الستار يعقد المشكلة اكثر مما يحلها ، حتى لو كان هذا الشعور صعبا . فالشعور الصعب ليس المشكلة ، المشكلة هي الاعتراف به ، الاعتراف بأن فينا جميعا طفلا صغيرا أو طفلة صغيرة .

■ إذا قسمنا شعورنا الى (جيد) و (رديء) وحب وكره ، ونسبنا كل ما هو كريه ورديء للآخرين ، وكل ما هو جيد وايجابي لنا ، فانها طريقة مرضية في النظر الى الأمور ، إنها عقدة الاضطهاد ، ليس بمعناها المرضي ولكن بمعناها العلمي . واذا كان نسبنا للآخرين عن ما هو سلبي مؤقتا يزول بزوال العارض كما يحدث عندما نتحمس لفريق كرة القدم الذي نشجعه ، فان ذلك شعور طبيعي يساور كثيرين منا . أما اذا كان ذلك الشعور مستمرا ويجعلنا ننفي عن أنفسنا ونزيح ونضع كل شعور سلبي بشكل دائم على الآخرين ، فذلك هو جنون الاضطهاد .



وعندما تنظر الى السياسة من حيث تبرير تصرفاتك ومواقفك ، في شكل لوم على الآخرين وتحميلهم تبعات كل ما هو سيء ، فذلك عمل فني من الطراز الأول . نحن نشاهد هنا الكثير من تصرفات عقلية الاضطهاد ، وتزداد هذه العقلية وتتضح لدى المتطرفين سياسيا ، فالرجال الأصحاء يدخلون السياسة كما يدخلون مباريات كرة القدم ، ربما يشعرون بالغضب عندما يناقشون آخرين من مجموعات أخرى في تصرفاتهم ، ولكنهم بعد ذلك ينزعون العداء وينظرون الى مناوئيهم السياسيين كبشر .

اما المتطرفون في السياسة فلديهم مشكلة ، فهم لا ينظرون الى معارضيهم كبشر لهم وجهات نظر مخالفة ، إنما ينظرون اليهم على أنهم اساسا (اناس سيئون) . هؤلاء الناس عندما يكرهون ، فهم يكرهون ما بأنفسهم ، وما وضعوه خلف الستار (في التجاهل الاختياري) ويتحاشون النظر اليه ، الى أخطائهم . والانغماس الكامل في السياسة بهذه الطريقة هو في الحقيقة لوضع صراع ذاتي مؤلم خارج النفس ، ونكران الاعتراف بهذه المشاكل الذاتية . مثل ذلك مثل القيام بحرب تشنها دولة قد لا يكون لها سبب منطقي غير توجيه الرأي العام نحو قضايا خارجية ، ومحاولة تصدير صراع داخلي تبثه ضد الآخرين . فماذا يحدث لو ظهرت خطورة أن يستمعوا ويقتربوا من الاقتناع بوجهة نظر أعدائهم السياسيين ؟ سيكون ذلك أكثر خطورة لأنهم عند ذلك سيواجهون أخطاءهم ونقاط ضعفهم ، سوف يرتفع الستار ليخرج الى السطح ماأرادوا دائما إخفاءه ، ويرون في أنفسهم أسوأ ما نسبوه الى الآخرين ، واذا ظهر احتمال حدوث ذلك ، فانهم يسرعون الى تدبيج الخطب باتهام الآخرين وتهديدهم ، وبذلك يؤخرون المواجهة مع أنفسهم وقتا أطول ، أو يقللون من مواجهة أخطائهم الى درجة يمكن تحملها .

لهذا السبب فان المتشددين والغلاة يحتاجون الى هذا التشدد وتلك المغالاة كي يبقوا أصحاء عقليا .

من ظواهر التطرف السياسي ان المجموعات فيما بينها لا تستطيع التفاهم ، انهم دائما ينقسمون ويكونون مجموعات جديدة ، لأن المتشدد المغالي يرسم حدودا ضيقة حول نفسه ويبعد الشعور الذي لا يريده ، كما انه لا يستطيع ان يعقد صلحا ، فهو فخور بنقاء معتقداته ، يعتقد انه مثالي اكثر مما هو في الواقع ، ويسقط المتطرف كل الشعور السلبي الذي لديه من القسوة والحقد والغضب والغيرة ، مبررا كل ذلك بأن (عدوه) أكثر قسوة ، وهذا هو ما يبرر لماذا يكون الانسان شديد القسوة على أخيه الانسان .

انه من الصعب أن تعالج شخصا له مواقف سياسية متطرفة ومغالية ، فقط عليك أن تعطيه بعض الدواء . . . !

محمد الرميحي



شعر : الدكتور عيسى درويش

أتسألني عن الماضي
وتحركني إلى الآتي
وعند العالم المجهول
أفرق في خيالاتي؟!

تُرى .... يا زهرة الأيام
يا أنشودة الزمن ......
يمرُّ اليومُ إثرَ اليوم
يمرُّ العمرُ مثلَ النوم
وبين الحزن والأفراح
بين الدمع والأقداح
عهد الصغر والوطن؟!

فلا تسأل ....
فإنّ العمرَ .... مثلُ النهر
هنا يموتُ عند البحر
وذاك يموتُ في الزمن
....

أتسألني عن العمر
وسرّ الحب في البشر
وقل تدري ....
بأنّ العمرَ .... مثلُ الروح
شيء غامض السرّ؟! ......
تُرى هل موجة البحر
يحركها هوى البحر؟!
أم الأحزان تطربه
فيمضي متعباً يجري؟
وبين البرّ والبحر
وبين الريح والمطر
وبين الشمس والقمر
مواضيعٌ بلا نظر
فلا تسأل عن السر
وسرّ الروح ...... والشعر
فكلُّ عليلةٍ تمضي
كما خطّت يدُ القدر



بقلم : الدكتور عبدالعزيز كامل

« لو كان هذا الجسر مجرد لقاء أفكار لقلنا إنه من الكلمات . ولو كان مجرد لقاء قلبين لقلنا إنه من النور . . ولكنه جسر يضم العقل والقلب جميعا ، وهو قادر على أن يمتد عبر الزمان والمكان ، غير مقيد بوحدة إلا وحدة الانسانية في شمولها » .

في هذا الحديث نذكر نماذج من الجسور . وهي إن تغيرت في مظاهرها - والتغير في الحياة يتدفق كما يتدفق النهر - إلا أن حقيقة كبيرة تظل كامنة فيها متجلية منها ، حقيقة يظل الأفراد وتظل المجتمعات في حاجة دائمة اليها . .

ولنبدأ بنموذجين أحدهما من الشرق والثاني من الغرب .

مالك والشافعي وأحمد بن حنبل

ونستطيع أن نستبدل بهؤلاء الأعلام أقطارا فنقول إن الجسر كان بين الجزيرة العربية والعراق ومصر مرورا بأنهار الشام .

ولنأخذ واسطة العقد وهو الامام الشافعي . نصحبه وهو في حداثته في مكة يتلقى العلم في المسجد الحرام ويختلف الى شيوخه ، ويتطلع نفسه الى أن يتلقى عن عالم المدينة الامام مالك ، ويحصل على خطاب تزكية من والي مكة الى والي المدينة ليقدمه الى مالك . ونقتبس من هذه القصة بعض ما أورده عنها ياقوت في معجم الأدباء حاكيا عن الشافعي ، وقد سار معه والي المدينة الى بيت مالك ، متهيبا هذا اللقاء ، واستأذن ، وأعلم مالكا عن طريق جارية البيت أنه يحمل اليه رسالة من أمير مكة ، وعادت الجارية وفي يدها كرسي فوضعته ، يقول الشافعي « ثم إذا أنا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار . . فجلس . . فرفع اليه الوالي الكتاب فقرأه . . ورمى بالكتاب من يده ثم قال :

« سبحان الله . أو صار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ بالوسائل ؟ » فرأيت الوالي قد

يجب أن يُجلسه ، فجلست إليه ، وقلت : « أصلحك الله ، إني رجل مطلبي (من بني عبد المطلب) وقص عليه الشافعي قصته . وكان لمالك فراسة ، فقال : ما اسمك ؟ قلت : محمد ، فقال : يا محمد ، اتق الله ، واجتنب المعاصي ، فإنه سيكون لك شأن من الشأن . إن الله قد ألقى في قلبك نورا ، فلا تطفئه بالمعصية ، إذا كان الغد تجيء ويجيء من يقرأ لك »

هذه الكلمة من مالك ، من الجسور بين عقلين وقلبين . لقد تفرس مالك في الشافعي ورأى فيه النور وأنس فيه العقل . ودعاه إلى أن يحافظ على هذا النور فلا يطفئه بالمعصية . ودعاه إلى مجلس علمه . فلننظر ماذا كان في المجلس . . .

جاء الشافعي في غده . ومعه موطأ الإمام مالك ليقرأه عليه ، فابتدأ يقرأ . فأعجب مالك بحسن قراءته . فكان الشافعي كلما يهاب الاستمرار في القراءة يقول له مالك : زد يا فتى . ولذلك أتمه في القراءة على مالك في أيام يسيرة .

عاش في ظل كنف مالك للشافعي ، وقد كان يعاني من ضيق ذات يوم وكان مالك يرعى المحتاج من تلاميذه وصحب الشافعي نحو تسع سنين عاد بعدها إلى مكة . وفيها لقي والي اليمن الذي صحبه وولاه أمر نجران . وأراد أهلها أن يصانعوه ، فلم يجدوا عنده إلا العدل والاستقامة

وضاق به بعض المتنفذين من أهل النفاق والظلم . فاتهموا الشافعي بأنه مع العلويين ، وأرسلوا بها إلى الخليفة العباسي الرشيد . وكتب الوالي الذي سعى بهذه الوشاية « إن ها هنا رجلا من ولد شافع المطلبي ، لا أمر لي معه ولا نهي ، يعمل بلسانه ما لا يقدر عليه المقاتل بسيفه » .

وسيق الشافعي مكبلا بالحديد من نجران اليمن إلى بغداد ، سنة ١٨٤هـ وسنه وقتئذ نحو أربع وثلاثين

وفي هذا الموقف العصيب يسر الله له جسرا آخر من النور والكلمات . .

فلقد أحسن القول أمام الرشيد . وكان في مجلسه محمد بن الحسن الشيباني . وهو أيضا من تلاميذ مالك وأبي حنيفة معا .

كان محمد بن الحسن وقتئذ قاضي بغداد ، واستأنس الشافعي عندما رآه ، ولعلهما التقيا من قبل في مجلس مالك بالمدينة .

فقال الشافعي مخاطبا الرشيد : إن لي حظا من العلم ، وإن القاضي محمد بن الحسن يعرف ذلك ، فسأل الرشيد محمدا فقال : « له من العلم حظ كبير ، وليس الذي رفع عليه من شأنه »

ووجد الرشيد في هذا القول فرصة ، فقال لمحمد بن الحسن وهو أهل لذلك : « خذه إليك حتى أنظر في أمره » وكان هذا أمر العهد بهذه الإجابة الظالمة .

وكان محمد بن الحسن للشافعي في بغداد كما كان مالك له في المدينة . ييسر له الانصراف إلى العلم ، وأنزله في بيته ، وأواه ، وتلقى عليه فقه العراقيين ، واجتمع له بذلك فقه الحجاز وفقه العراق . .

واستطاع بهذا الجمع مع الموهبة العقلية ومهارة القلب والتفرغ للعلم أن يضع القواعد ، وأن يصل إلى مرتبة الاجتهاد . وخير شاهد لذلك كتابه « الرسالة » الذي وضع به علم « أصول الفقه » .

ومع أن الشافعي استقل عن مالك ومحمد بن الحسن وكتب في ذلك كتابا سماه « خلاف مالك » وكتابا سماه « خلاف العراقيين » ، إلا أن الاحترام الجميل الذي ظل يكنه ويحمله لهما . وعرفان الجميل والأدب والأمانة في العرض والنقد ظلت من أبرز صفات الشافعي . وهي « جسور » عرفان الجميل نحو أساتذته . والنبل « جسور » لخير العقل والقلب والمعاني التي سبق أن أنشأها أساتذته نحوه ونحو نظرائه من تلاميذهم .

نستطيع أن نتبع عودة الشافعي بعد هذا إلى مكة ، ثم عودته إلى بغداد ، ولقد أزهاه تقسيمه . .

وهناك تلمذ له أحمد بن حنبل الذي التقيه في مكة من قبل، وعجب من عقله وفكره، ولم تطل إقامته في بغداد، ولعل الصراع السياسي والعسكري بين الأخوين الأمين والمأمون جعله يؤثر الهجرة من بغداد.. ويؤثر الاقامة في مصر، وكان فيها تأليفه ثم مثواه ورحيله عن دنيانا سنة ٢٠٤هـ وهو في الرابعة والخمسين من عمره. ويروي عنه الحافظ بن كثير في تاريخه أنه كان يقول «وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولا ينسب إليّ شيء منه، فأوجر عليه ولا يحمدوني».

ونستطيع أن نتبع العلاقة بين الشافعي وابن حنبل، وكان بينهما ما يتفقان معه، وما يختلفان.. ولكن مع الأمرين، يبقى التوقير والمودة والاخلاص.

تولستوي ورومان رولان وهرمان كيسه

ومن جسور الشرق ننتقل الى جسور الغرب، وحديثنا عن ثلاثة من عمالقة الأدب: الأول روسي والثاني فرنسي والثالث ألماني فما الذي يربط بينهم؟

ولنذكر أن وفاة الأول كانت عام ١٩١٠ والثاني عام ١٩٤٤ والثالث عام ١٩٦٢.

اكتب هذه السطور وأمامي كتاب هرمان هيسه «هيسلي. مقالات عن الحياة والفن» ط: ١٩٨٥، وله عدة طبعات سابقة. وكان حصول الكاتب على جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٤٦. وفي الكتاب مقالان عن رومان رولان أولهما عن علاقته بتولستوي.. وكان نشر هذا المقال عام ١٩٢٢ تعقيبا على كتاب رولان «حياة تولستوي». يقول هيسه (والترجمة هنا للمعاني أكثر منها للألفاظ).

«كل الناس يعرف شيئا عن رومان رولان، يعرف الدور الكبير الذي قام به تولستوي عندما كان رولان طالبا حديث السن في باريس.. ففي يوم من الأيام جلس رولان ونفسه ممزقة بين شكوكه والتزاماته واختيار طريق المستقبل، أيتجه الى الفن ثم الى حرفة يعيش منها؟ فكتب الى تولستوي خطابا لعله لم يكن يتوقع له ردا. خطابا كان أكثر من اعتراف، كان محاولة لتوضيح الذات، كان صرخة يأس أكثر من كونه سؤالا..

ولكن شيئا يهز النفس حدث، فلقد أرسل الشيخ الروسي الذي عمت شهرته العالم الى هذا الطالب المجهول الحديث السن في باريس رده رسالته. كان ردا كريما عطوفا، ومفصّلا، فيه عناية واطمئنان نفس.. كان ردا من عدة صفحات..

كانت هذه التجربة عميقة الأثر في نفس الطالب رولان، وعندما نشر كتابه نحو عام ١٩١٢ بعنوان «حياة تولستوي» أي بعد وفاته بعامين تقريبا، لم يكن الكتاب دراسة لشخصيته، ولا مجرد دراسة أدبية علمية، ولكن كان أيضا اعترافا عميقا بالجميل، وتعبيرا عن حب مخلص وتقدير يستمر مدى الحياة.

إن قدرة رولان على إبداع هذا الكتاب عن تولستوي بكل ما فيه من إنسانية وحب وحيوية كان ثمرة خطاب تولستوي، الذي لم يكن مجرد فنان كبير وداعية مؤثر، ولكنه كان إنسانا مبادرا الى تقديم العون ومحوط بالحب الأخوي.

بهذه الجوانب كانت العناية الأساسية في كتاب رولان عن تولستوي، بمعركة حياته التي لم تنقطع فيها الآلام، والتي شملت الكثير من المصاعب والهموم والاحباط، ولكنها كانت حياة صادقة دائما.

وفي الكتاب دراسة لروائع تولستوي: وبخاصة كتبه الباكرة: القوزاق، الحرب والسلام، أنا كارنينا. وإن الصفحات التي كتبها رولان عن الحرب والسلام تعتبر من أروع ما كتب في حياته.. وأنها لسعادة أن يرى الانسان في هذا الكتاب ماذا يستطيع الحب أن يصنع: الطريقة التي فهم بها الفرنسي رولان، الروسي تولستوي... وكيف يفهم هذا الكاتب الفرنسي باتجاهاته الاشتراكية في غرب أوروبا، هذا الصوفي الشرقي، وكم كان عادلا معه، وكيف كان

يختبر نظرياته وكيف تبعه في أمداد حياته الذهنية ، وكيف أنه لم يكن يخبئ الأخطاء العابرة ، ولكن للخطوط الأساسية في حياته .. ان قراءة هذا الكتاب متعة نادرة وغير عادية » .

وندع الآن هذا المطلوب من « هبة » حول كتاب رولاند عن تولستوي ، وهو مجرد نموذج لانتقال التأثير عبر الكلمات والاحساس .. نموذج للقاء الانسان بالانسان .

جسور في تراثنا وحياتنا

ونعود الى حياتنا .. ويستطيع كل فرد منا أن يحصي من هذه الجسور الكثير .. فقط كل الذي يتحراه أنها تجمع بين الفكر والموهلتين العلم والحب

ونبدأ بقول الله تعالى موضحا الصلة التي تربط بين الرسول والمؤمنين بالعمل لله وهي صلة تجمع بين العلم والحب .

يقول تعالى مخاطبا رسوله « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » (آل عمران . ٣١) .

والآية تجمع بين الاتباع ومدخله العلم ، والحب وهو ثمرة الايمان والمعرفة .. وبهذا كان الحب في الآية طريقا وغاية ..

ولا نستطيع أن نتصور مسار الاسلام إلا بتحقق هذين الأمرين : العلم والحب .. وكل مسلم يحس أن بينه وبين الله تعالى وبين الرسول عليه الصلاة والسلام هذا الرباط .. أو قل هذا الجسر .. قد يبدو بارزا في شخوص حملت الكثير من مسئوليات الاسلام .. ولكنه ميراث مشترك ، لكل مسلم فيه نصيب .

ان القرآن الكريم - وهو كتاب الله وكلامه - انتقل من فم الى أذن ، ومنه قلوب واعية ، وسلاسل الحفاظ يرفعونها ليصلوا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك سلاسل الأحاديث الشريفة . وان الجانب الأكبر من حفظ التراث الاسلامي ، والاضافة اليه كانت عن طريق سلاسل من العلماء .. تبدو فيهم قسم عالية ، هي شوامخ الفكر الاسلامي ، وتجمع بين العلم والحب معا ..

كأمثلة : مجرد أمثلة .. انظر الى الامام أحمد بن تيمية وتلميذيه الامامين ابن القيم وابن كثير . ومن تاريخنا القريب لك أن تنظر الى هذه السلسلة بحلقاتها الثلاث : جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا . ولكل منهم أكثر من زميل وتلميذ تلقى ووعى عنه وأبدع وحفظ الجميل والحب ونشر العلم .

الحاجة الى جسور جديدة

ولكن .. ألا نحس الآن أن هذه الجسور قد قلت في حياتنا ؟

قد نجد الترابط العلمي ، ولكن لا نجد معه التوقير والمودة ، وقد نجد الحب ، ولكن لا نجد معه الوزن العلمي الدقيق .

ولأضرب مثالا من الحياة العربية والاسلامية المعاصرة ، ولن نرجع الى أكثر من نصف قرن .. الى الحرب العالمية الثانية وما بعدها .

لقد شهدت هذه العقود القريبة تطورا ضخما في حياتنا العربية والاسلامية . ظهرت دول . استقلت دول . اشتد التفاعل مع المعسكرات العالمية . تزاحمت التيارات الفكرية فوق أرضنا . قامت أكثر من حركة اسلامية فيما اصطلحنا على تسميته بالصحوة الاسلامية . تصادمت الاجتهادات والآراء . ولكن لا نحس أن هناك مائدة حوار واحدة يستطيع أبناء العروبة أو أبناء الاسلام أن يجلسوا اليها ، ويظلهم البحث العلمي المجرد ، ويغمرهم الحب والمودة .

ان الدفاع عن الفكرة أصبح دفاعا عن صاحبها ، وتخطت - أو امتزجت - الأفكار بالأشخاص ، وأصبح البحث العلمي في قضايا العروبة والاسلام كأن الطرفين فيه مثل الادعاء ومثل الدفاع .. ولكن أين القاضي ؟

لك أن تنظر إلى قضايانا على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو العسكري . لك أن تنظر إلى العلاقات بين المذاهب الإسلامية ، وقد تطورت إلى الحرب بالسلاح والتخريب وتمزيق الأوطان وحرب الجيران . والكل خاسر . والمستفيد تاجر السلاح وباعة المنشآت الذين يبنون ما تهدمه الحروب .

وهؤلاء المستفيدون قد فرغوا ـ أو كادوا ـ في حوارهم من أمراض العصبيات الطائفية ـ مذهبية كانت أو سياسية ، واتجهوا إلى الإبداع العلمي والتقني وتسابقوا له ولازالوا يتسابقون ، وبينهم آفاق تعاون يعرفونها ، وآفاق تنافس يحددونها ، وآفاق صراع لا يتعدونها . .

وعندهم من السلاح أضعاف ما عندنا وأقوى ، ولكنها للردع لا للقتال .

وعندنا القليل الذي يسمحون به ، ويحفظ توازن القوى ، والبعض للاستهلاك فوق أرضنا وبأيدينا ولأبنائنا .

ألا نحتاج نحن إلى جسور جديدة ومنهج جديد يجمع بين العلم مع دراساته الموضوعية دون تعصب ولا توتر ، وبين الروحانية دون جمود أو ميل مع الهوى ؟ هذه هي الجسور التي نحتاج إليها في مرافقنا :

ـ نحتاج إليها في جامعاتنا لتحيا بها تقاليد عريقة كانت بين الأساتذة والطلاب قبل أن تتحول جامعاتنا إلى معامل لتفريخ شهادات إلا ما رحم ربك .

ـ نحتاج إليها معاهدنا الدينية ليتخرج فيها عالم الدين القادر على أن يجمع القلوب والعقول على حب الخير والعمل له والتحول إلى الانفتاح والتقرب إلى الله بالعمل وعمارة الحياة وكراهية الظلم وحب العدل .

ـ نحتاج إليها في حياتنا السياسية . . ومن الساسة ؟ إنهم إفراز جامعاتنا ، وحصاد نظام التربية القائم . . فالسياسة هي الصورة النهائية لنظام التربية عندما تكون السلطة في يده . نحن محتاجون إلى ساسة لا ينعزلون عن الشعب ، ويضعون أيديهم دائماً على نبض آلامه وآماله . ساسة قادرون على إدارة شئون الداخلية والخارجية بوعي وتدارس ومتابعة تتوطد بها المؤسسات ، وتتكون بها صفوف القيادات القادمة .

بحيث تصبح السياسة مدرسة سياسية للتكوين والتدريب على التنفيذ .

ـ نحتاج إليها في حياتنا الاقتصادية بحيث يصبح للعمل والانتاج قداسة .

نعم قداسة ترفعه إلى أن يكون الميزان الأول لمكانة الفرد في المجتمع ، وأقصد العمل في أوسع نطاقه : العمل الفكري واليدوي والتنظيمي .

كل هذه جسور نحن في حاجة إليها . ولكن من أين نبدأ ؟

إن نقاط البدء قائمة ، والحياة لا تنتظر أحداً ، وهي تسير بنا ، إن لم نسر بها ، ولكن الحديث هنا موجه إلى المؤسسات مباشرة . وتستطيع كل مؤسسة بإمكانياتها وقدراتها أن تتخذ إلى ذلك سبيلاً ، وما عليها من حرج . فقط تحتاج المؤسسة إلى الإرادة والتخطيط لها والسير والمتابعة . . ثم التنسيق مع غيرها . إن الحديث ليس على المستوى الفردي ، ولا على مستوى الدولة ، وإنما على مستوى المؤسسة وهي ـ عملياً ـ الجماعة الأقدر على الحركة والتطوير .

ولنبدأ بأمل محدود : هل نستطيع هذه المعاني أن تجد طريقها إلى عقول شبابنا وأبنائنا ، ولو عن طريق الإعلام والصحافة وكتب القراءة المدرسية ؟ وهل نجد من مؤسساتنا من يسارع في الاستجابة ؟

الأمل كبير . . والحياة أمل وعمل . □





الثقافة "اليهودية"

بقلم : الدكتور عبد الوهاب محمد المسيري

تتحدث الكتابات الصهيونية ـ وتبعها في ذلك بعض الكتابات العربية ـ عن « الثقافة اليهودية » ، وهذا الإصطلاح ـ شأنه شأن المصطلحات الأخرى ، مثل « التراث اليهودي » ، و« التاريخ اليهودي » ، و« العرق اليهودي » ، و« الشخصية اليهودية » ـ يفترض وجود إبداع « يهودي » مستقل عن إبداع الأمم التي يعيش اليهود بين ظهرانيها ، وهو افتراض تدحضه الشواهد التاريخية .

العبرانيون منذ ظهورهم في التاريخ قد تبنوا حضارات الأمم الأخرى ، ابتداء من اللغة ، ومروراً بالمفاهيم الدينية ، وانتهاء بالطراز المعماري . وعلى سبيل المثال فليس هناك طراز يهودي معماري ، أو فن يهودي مستقل ، فهيكل سليمان من الطراز الآشوري الفرعوني ، والمعابد اليهودية في الوطن العربي من الطراز العربي ، أما في جنوب الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر فمن النمط (النيوكلاسيكي) السائد هناك آنذاك ، والفنانون التشكيليون « اليهود » في العصر الحديث أمثال مارك شاجال ينتمون إلى تراث فني غربي ، ولا يمكن وضعهم في إطار تراث يهودي مستقل .

ولم يعرف أيضا تراث أدبي يهودي مستقل ، فالأدباء اليهود المستعربون في الجاهلية والإسلام

تبنوا العقائد السائدة في عصورهم ، وكذا الأبناء اليهود في الولايات المتحدة وانجلترا ، فانتماؤهم الأمني مرتبط بالتراث الذي ينتمون إليه . وهذا أمر طبيعي ومتوقع ، بل إن التراث الديني اليهودي نفسه ليس تراثاً مستقلاً بأي حال من الأحوال عن الموروث الديني والعقائد والأفكار الدينية السائدة في الشرق الأدنى القديم ، خاصة بلاد الرافدين ، كما لا يمكن فصله عن الإرهاصات الدينية التوحيدية في مصر ، وربما بعض القبائل في سيناء . ولعل تطور اليهودية - من عبادة (يسرائيل) شبه الوثنية التي لا يوجد فيها مفهوم لليوم الآخر والثواب والعقاب إلى اليهودية التي تعد نسقاً دينياً توحيدياً متكاملاً - هو أكبر دليل على تأثير الحضارات المصرية والبابلية والآشورية ثم الفارسية والهلينية على المعتقدات الدينية اليهودية .

بل إن جوانب كثيرة من الرسالات العامة للعهد القديم من تعظيم الله الواحد الذي لا تدركه الأبصار ، والوصايا العشر ، والروح العامة للأنبياء العبرانيين ، والأمثال ، والمزامير أصبحت جزءاً من التراث الديني المسيحي . أما التراث (التلمودي) وكتب التفسيرات الضخمة فلم تكن معروفة عملياً لعامة اليهود ، وكانت هذه الكتب أو على الأقل الرؤى التي تتجسد من خلالها تؤثر في سلوك اليهود ، لكنه تأثير جزئي لا يشاكل بأي حال أثر تراث المجتمع الحضاري الذي يتفاعلون معه ، ويبدعون من خلاله ، ويتطورون في إطاره ، ويدركون العالم ككل من داخله .

يقول آرثر كوستلر (المؤلف الانجليزي اليهودي) إن ما يعرف « بالتراث اليهودي » أو الثقافة اليهودية أمر ليس من السهل تعريفه ، إذ أن كل ما يصدر عن أعضاء الأقليات اليهودية في العالم ليس يهودياً بالمعنى المحدد ، وليس جزءاً من تراث قائم ، فالإنجازات الفلسفية والعلمية والفنية لليهود الأفذاذ ... تتوقف على معطيات ثقافات الشعوب الأخرى وحضاراتها ، ولا تمثل عطاء حضارياً عاماً ، أو جزءاً رئيسياً مستقلاً عن التراث .

« لغــــات اليهــــود »

لعل أهم وجه من أوجه أي موروث حضاري هو اللغة . ومن المعروف أن اليهود لم يتحدثوا باللغة التي تعرف بالعبرية إلا فترة قصيرة جداً . فلغة الأباء - ابراهيم واسحق ويعقوب - كانت لهجة سامية قريبة من العربية أو الآرامية . أما العبرية فكانت لهجة من اللهجات الكنعانية . ولم يتخذها اليهود لساناً لهم إلا بعد إقامتهم في كنعان (فلسطين) . ويبدو أنها اختفت كلغة للحديث بين اليهود مع التهجير البابلي .

أما لغة الحديث التي كان يستخدمها أعضاء الأقليات اليهودية بعد انتشارهم في العالم في تعاملهم مع الأغيار فقد كانت في معظم الأحيان لغة الوطن الذي استقروا فيه وانتموا إليه ، أو إحدى اللغات الدولية السائدة ، فكان يهود بابل يتحدثون الآرامية ، لغة التجارة الدولية والإدارة في الشرق الأدنى القديم . وكان يهود الاسكندرية في العصر الهليني يتحدثون اليونانية . وبعد انقسام الامبراطورية الرومانية كان يتحدث يهود الامبراطورية الشرقية لغة هذه الامبراطورية ، أي اليونانية . أما يهود الامبراطورية الغربية وأفريقيا وغرب أوروبا فكانوا يتحدثون اللاتينية ، وكانوا يتحدثون العربية في الوطن العربي ، وهكذا . وفي بعض الأحيان كان أفراد الأقليات اليهودية يستخدمون في التعامل فيما بينهم رطانات مكونة من اللغة الأم بعد أن تدخل عليها بضعة كلمات ومصطلحات عبرية . فيهود الأندلس على سبيل المثال كانوا يتحدثون برطانة تسمى العربية اليهودية ، ويهود اسبانيا كانوا يتحدثون اللادينو ، أما يهود أوروبا فكانوا يتحدثون اليديشية التي تحولت في مرحلة لاحقة إلى ما يشبه اللغة المستقلة للحديث والكتابة . وكان أفراد الأقليات اليهودية كثيراً ما

يستخدمون الأبجدية العبرية في كتابة هذه الرطانات في المعاملات اليومية ، مثل (الفواتير) التجارية ، أو أمور الدنيا الأخرى . ولم يكتب أحد من هذه الأقليات اليهودية أدباً ذا بال بهذه الرطانات ، سواء في العصور الوسطى أو في العصر الحديث ، وربما يكون استثناء اليديشية من ذلك ، فنظراً لأنها عمّرت طويلاً وأصبحت لغة مستقلة يتحدث بها معظم يهود العالم الغربي في القرن التاسع عشر قد كتب بها أدب شعبي للنساء ، وللعامة في بادىء الأمر ، ثم كتبت بها أعمال أدبية ، بعضها يرقى لمستوى الأعمال الجادة ، لكن هذه المرحلة دامت فترة قصيرة جداً ، بسبب اختفاء اليديشية .

ومع بدايات العصر الحديث وخروج اليهود من (الجيتو) وتحديثهم ، وبانتهاء تميزهم الوظيفي بدأت تختفي هذه الرطانات ، إذ أن الدولة القومية الحديثة طالبت أفراد الأقليات بأن يكون انتماؤهم القومي لأوطانهم كاملاً . وقد تعرضت اليديشية خاصة لهجوم شديد ، لا سيما أن التجار اليهود كانوا يستخدمونها ، مما سهل عليهم غش الآخرين . وتظل الصورة اللغوية العامة بالنسبة لأعضاء الأقليات اليهودية في العالم - فيما يختص بالحديث ولغة المعاملات اليومية - تشي بأنهم يتحدثون لغة الوطن الأم أساساً .

لغــــة التأليــــف

أما بالنسبة للغة التأليف الديني فنجد أن العهد القديم قد كتب بعبرية العهد القديم التي اختفت كلغة حية بعد التهجير البابلي ، ولذا نجد أن لغة التلمود هي الأرامية ، ومع هذا ظلت العبرية لغة للمؤلفات الدينية في معظم الأحيان وليس كلها ، فوضع هليل وشماي مؤلفاتهم بالعبرية ، بينما وضع المفكرون اليهود في الإسكندرية في العصر الهيليني مؤلفاتهم باليونانية ، وكان موسى ابن ميمون يكتب بالعربية ، أما راشي فكان يكتب بالعبرية ، أما أدب القبالة الصوفي فقد كتب بالأرامية .

وقد ظل هذا الوضع قائماً حتى القرن التاسع عشر ، حيث بدأ المفكرون اليهود يضعون مؤلفاتهم الدينية بلغة الوطن الأم . فكتب موسى مندلسون بالألمانية ، وكذا فعل مارتن بوبر ، وكل المفكرين اليهود الإصلاحيين ويكتب كثير من المفكرين اليهود الآن في الولايات المتحدة مؤلفاتهم الدينية باللغة الإنجليزية .

أما بالنسبة للكتابات التي تقع خارج نطاق التفكير الديني من أدب وفلسفة وعلم ، والتي قام بوضعها مؤلفون يهود ، وهم قلة نادرة حتى القرن التاسع عشر ، فاللغة من البداية كانت لغة الوطن الأم ، فقد وضع فيلون السكندري مؤلفاته باليونانية ، أما موسى بن ميمون فكان يستخدم العربية . وكذلك معظم الشعراء اليهود في الأندلس . وفي العصور الوسطى في الغرب لم يظهر مؤلفون يهود يعتد بهم حتى القرن السابع عشر حين ظهر سبينوزا (المنشق على اليهودية) الذي كتب مؤلفاته باللاتينية ، شأنه في ذلك شأن الكتاب الغربيين في عصره . وغني عن البيان أن المؤلفات الزمنية (غير الدينية) للمؤلفين من أعضاء الأقليات اليهودية تكتب كلها في الوقت الحاضر بلغة الوطن الأم ، فيعقوب صنوع - الكاتب المصري اليهودي - قد كتب بالعربية ، وهايني وماركس كتبا بالألمانية ، وبروست بالفرنسية ، ودزرائيلي وسول بيلو بالانجليزية ، بل إن معظم (كلاسيكيات) الفكر الصهيوني قد كتبت إما بالألمانية أو بالانجليزية . وكان هرتزل لا يعرف العبرية ولا أبجديتها ، وقد حاول في المؤتمر الصهيوني الأول أن يدخل البهجة على قلوب المندوبين الأرثوذكس فنطق ببعض كلمات عبرية كتبت له بالأبجدية اللاتينية . لكنه دوّن فيما بعد في مذكراته ملاحظة يقول فيها : « إن محاولته هذه قد سببت له مشقة كبيرة ، تفوق كل متاعبه في الإعداد للمؤتمر » . وقد كان هرتزل ونوردو وكثير من

المفكرين الصهاينة الأوائل لا يؤمنون بوجود ما يسمى «ثقافة يهودية»، وقد سخر هرتزل من هذا المفهوم بصوت عال، حينما طرحه لأول مرة في أحد المؤتمرات، بل إن هرتزل لم يكن يتصور أن تكون العبرية لغة للوطن القومي الذي يقترحه. لقد كان يرى أن كل مستوطن يهودي سيتحدث بلغته.

وقد نشبت في السنين الأولى من الاستيطان حرب تسمى حرب اللغة، بين دعاة استخدام الألمانية (من أتباع الاستعمار الألماني)، ودعاة استخدام العبرية (من يهود شرق أوروبا المؤيدين للاستعمار الانجليزي).

ورغم هذا كله تنطلق الصهيونية من مفهوم «الثقافة اليهودية» المستقلة. بل إنها تجعل منه إحدى ركائزها الأساسية، خاصة بعد أن انضم إلى صفوفها يهود شرق أوروبا من دعاة الصهيونية الثقافية الذين كانوا يؤمنون بأن اليهودية هي هوية (اثنية) بالدرجة الأولى، لها تراثها الثقافي المستقل، وشخصيتها الثقافية المستقلة، ولغتها المستقلة (العبرية). وقد عارضتهم في ذلك ثلاثة اتجاهات يهودية:

١ - اليهود المتدينون الذين يؤمنون بأن اليهودية ليست مجرد تراث ثقافي، وإنما هي انتماء ديني. وأن اللغة العبرية لغة مقدسة (لشون هاقودش: أي لسان مقدس)، لا يصح استخدامها في الحياة اليومية أو في شئون الدنيا.

٢ - اليهود الاندماجيون الذين كانوا يتركزون أساسا في فرنسا وانجلترا وألمانيا، أي غرب أوروبا والذين كانوا يتركزون في الولايات المتحدة. وهؤلاء كانوا يرون أن اليهود يكتسبون هويتهم الثقافية من الثقافات القومية المختلفة التي يعيشون بها. وقد استبعد معظم هؤلاء كل الإشارات القومية والمصطلحات العبرية حتى من الصلوات اليهودية

٣ - اليديشيون أو دعاة الثقافة اليديشية الذين كانوا مركزين في شرق أوروبا التي كانت تضم غالبية يهود العالم آنذاك (في روسيا وبولندا أساساً). ودعاة هذا التيار يرون أن يهود شرق أوروبا يشكلون أقلية ذات شخصية ثقافية قومية مستقلة، لكن هذه الشخصية ليست يهودية بشكل عام، وإنما هي شرقية أوروبية، تتحدث وتفكر وتكتب باليديشية، وليس لها أي علاقة بالعبرية. ولقد كان حزب البوند - أكبر تنظيم اشتراكي في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر، وكان يضم أعضاء الطبقة العاملة اليهودية في شرق أوروبا - من أهم المدافعين عن الثقافة اليديشية.

تحت راية وهمية

تم الاستيطان الصهيوني تحت راية الامبريالية الغربية، والثقافة اليهودية العالمية العبرية الوهمية. وكان المستوطنون الأوائل يرفضون أن يسموا «يهوداً»، وكانوا يعتبرون أنفسهم «عبرانيين»، يدعون إلى إنشاء «دولة عبرية أو عبرانية»، تقطع علاقتها تماماً بالتراث اليهودي. وقد ظل هذا الوضع قائماً حتى منتصف الثلاثينات. ثم تم تبني مصطلح «الدولة اليهودية»، بسبب إمكانياته التعبوية الواضحة، ولكن بعد إنشاء الدولة ما تزال قضية الثقافة اليهودية تلاحق الصهاينة داخل «الوطن الصهيوني» وخارجه، فكل مهاجر صهيوني مستوطن فلسطين يحضر معه من وطنه الأصلي ثقافته الخاصة التي تعلمها، ونشأ عليها، بحيث تحولت «إسرائيل» إلى ساحة صراع بين هذه الحضارات المختلفة. وقد تفاقم هذا الوضع وبخاصة حينما وصل مؤخراً أعداد كبيرة من الفلاشا من الحبشة. والفلاشا يتحدثون الأمهرية (لغة معظم أهل الحبشة)، ويصلون باللغة الجعزية (لغة الكنيسة القبطية هناك). وتذكر إحدى الصحف «الإسرائيلية»، أن معلقاً إذاعياً إسرائيلياً سأل أحد المهاجرين عن اللغة التي يتحدث بها. ويبدو أنه لم يكن قد سمع عنها قط من قبل، ولذا طلب منه أن يكرر الإجابة ثلاث مرات. قبل أن يستوعب كلمة

« العبرية » لم يطلب منه أن يشرح معنى الكلمة !

لكن الصراع الأكبر هو الصراع الدائر بين ثقافة مؤسسي الدولة ـ الأشكناز ـ من جهة ، وثقافة « السفارد » (من المتحدثين بالـلادينو) واليهود المشرقيين من جهة أخرى ، فالثقافة المهيمنة في « المستوطن الصهيوني » هي الثقافة ذات الطابع « الأشكنازي » التي تسم المؤسسات الثقافية في « إسرائيل » بميسمها . أما ثقافة « السفارد » فقد تم استبعادها على قدر المستطاع . فلا تذكر الكتب المدرسية شيئاً عن إنجازات اليهود المشرقيين داخل التشكيل الحضاري « الإسرائيلي » ، ولا عن إسهامات « السفارد » داخل تشكيل البحر الأبيض المتوسط بشكل عام . وعلى الرغم من أن اليهود « السفارد » والمشرقيين يشكلون الآن أكثر من نصف سكان التجمع الصهيوني فإن التوجه العام ما يزال اشكنازياً غربياً .

ويرى بعض دارسي المستوطن الصهيوني أن ثمة « ثقافة جديدة » مغايرة آخذة في الظهور هناك ، وعاؤها اللغة العبرية الحديثة ، وأن هذه الثقافة تتخطى الانقسامات القديمة ، وتتجاوز الثقافات المختلفة التي حملها المهاجرون معهم ، ورغم أن مثل هذه الثقافة الجديدة ما تزال في طور التكوين ـ باعتبار أن الاختلافات والانقسامات الثقافية ما تزال واضحة ـ إلا أنه يمكن التسليم بأنه في إمكانية هذه الثقافة ـ من الناحية النظرية والمنطقية ، إن لم يكن من الناحية الفعلية أيضاً ـ أن تظهر وتكتمل معالمها بمرور الزمن . ومع هذا يمكن أن نضيف الملاحظات التالية :

١ ـ إن هذه الثقافة الجديدة ، ثقافة « الصابرا » ـ أي ثقافة الاسرائيليين المولودين على أرض فلسطين ـ ستكون ذات صبغة اشكنازية واضحة ، نظراً لاستبعاد « السفارد » (واليهود المشرقيين) من مؤسسات صنع القرار ، ونظراً لأن صورة الدولة في « إسرائيل » اشكنازية ، ونظراً لأن أجهزة الإعلام بإدارة « الأشكناز » ينظرون للعالم بعيون اشكنازية ، ونظراً لأن الأشكال الأولى لهذه الثقافة قد تم صياغتها في غياب « السفارد » واليهود المشرقيين .

٢ ـ حينما تكتمل هذه الثقافة بأشكالها المختلفة لن تكون « ثقافة يهودية » ، وإنما ستكون « ثقافة إسرائيلية » ، تعبر عن تجربة المستوطنين الصهاينة في فلسطين . وليس لها علاقة كبيرة بثقافات أعضاء الأقليات ، إذ سيظل هؤلاء داخل تشكيلاتهم الثقافية المختلفة ، يتفاعلون معها ، ويؤثرون فيها ، وتؤثر فيهم . ومن المعروف أن أعضاء جيل « الصابرا » لا يكنون كثيراً من مشاعر الاحترام والمودة نحو أعضاء الأقليات الذين تصنفهم الأدبيات الصهيونية بأنهم شخصيات مريضة هامشية ، حالمة ، كناية لحالة النفي كحالة نهائية . وقد حدا هذا بجورج فريدمان ـ عالم الاجتماع الفرنسي اليهودي ـ أن يسمي « الاسرائيليين » بأنهم أغيار يتحدثون العبرية ، أي أن مواقفهم ورؤاهم لا تختلف كثيراً عن مواقف غير اليهود ورؤاهم إلا في وعائها اللغوي .

٣ ـ لكن حتى هذا الوعاء اللغوي ـ أي العبرية التي ارتبطت دائماً بأعضاء الأقليات من الناحية الدينية ، وبأعضاء المستوطنين في كافة نشاطات حياتهم ـ قد بدأت تحيط به المشاكل . إذ كتب مواطن عربي في « إسرائيل » يسمى انطون شماس رواية بالعبرية تسمى « أرابيسك » ، أثنت عليها الناقدة الإسرائيلية بأتي لوتان ، وعبر الروائي الاسرائيلي « يهوشوا » عن إعجابه بها ، وشبه كاتبها بالروائي الروسي نابوكوف الذي يكتب بالانجليزية . فحقيقة أن الرواية ـ باعتبارها عمل فني جيد ـ ستفرض نفسها على الأدب العبري ، لكن كاتبها عربي فلسطيني غير يهودي ، أي أنه شخص لا يحمل حسب الوعي اليهودي ، وليس عضواً في القبيلة اليهودية ، حسب قول لوتان ـ أي أن العبرية نفسها كوعاء يهودي قد انكسر على يد هذا الروائي العربي . □

الاقتراض الخارجي

أزمة المديونية في العالم الثالث

بقلم : نعوم ابراهيم عبود

« التنمية الاقتصادية التزام يقع على المجتمع الدولي كله ، فمن واجب الدول جميعا أن تساهم في العمل على خلق نظام اقتصادي جديد عادل ، تستطيع بظله جميع الأمم أن تحيا دون خوف أو حاجة أو بأس ، وأن تسمو الى مرتبة العضو الكامل في أسرة الأمم » .

تسعى البلدان النامية الطموحة ، عقب حصولها على الاستقلال السياسي ، لتحقيق تنمية اقتصادية سريعة ومتوازنة للقضاء على مظاهر التخلف الاقتصادي والاجتماعي . وقد تضطر الدولة بسبب ضعف قدرتها التمويلية من المدخرات المحلية الى الاستعانة بالقروض الخارجية التي تقوم عملها بسد الفجوة القائمة بين الاحتياجات الاستثمارية المستهدفة والمدخرات القومية المتاحة ، فالقروض الخارجية ، والخبرات الفنية ، وأشكال المعونات المالية وغيرها من الدول الصديقة ، تلعب دورا هاما في تسريع عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وبخاصة خلال المراحل المبكرة لهذه العملية .

ويتوقف على كفية استخدام حصيلة القروض الخارجية مدى نجاح الدولة المقترضة في تخطيط مشاريع ناجحة للتنمية وتنفيذها ، يكون من شأنها تخفيف العبء الواقع على ميزان المدفوعات . فكلما ارتفعت درجة إنتاجية مشاريع التنمية وكفاءتها زادت قدرة الدولة المقترضة على خدمة ديونها الأجنبية ، وتحمل أعبائها . ومع اطراد نجاح عملية التنمية التي لايمكن أن تتحقق تلقائيا ، والتي لا بد لها من جهد هادف ، وإرادة واعية مصممة تستطيع تسييرها وتوجيهها ، لتجتاز البلاد النامية الطموحة مرحلة التهيؤ للانطلاق في تنميتها ، وذلك بزيادة الاعتماد على مواردها الخاصة ، وإمكاناتها الذاتية ، والقوة الذاتية لاقتصادها الوطني ، والاقلال - تدريجيا

بمقدار ثابت ـ من الاستدانة بالقروض الخارجية ، لتصل الى مرحلة الانطلاق التنموي ، وتتوفر شروطه . ومن تلك الشروط ارتفاع نسبة التمويل القومي المخصصة لأغراض الاستثمار المنتج ، ولتحقيق الأهداف المنشودة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية للبلاد .

تفاقم مديونية الدول النامية

تزايدت المديونية الخارجية للدول النامية ـ دول العالم الثالث ـ بوتائر سريعة خلال الخمس عشرة سنة الماضية ، حتى غدت ـ في وقتنا الحاضر ـ تشكل أحجاما كبيرة جدا . وباتت من الظواهر المقلقة التي تستقطب اهتمام المجتمع الدولي ، بسبب عجز عدد من الدول المقترضة عن تسديد الفوائد والأقساط المستحقة في أوقاتها ، واضطرارها الى « جدولة الديون » ، واللجوء الى المزيد من القروض الخارجية الجديدة ، لتسديد التزامات الديون القديمة ، واستخدام القروض في نفقات غير إنتاجية ، أو في مشاريع إقتصادية قليلة الجدوى ، وزيادة حدة العجز في موازين المدفوعات ، نتيجة قصور السياسات المالية والنقدية الحكيمة أو غيابها في بعض تلك الدول .

كل هذا أدى الى تطور مفزع في أرقام مبالغ القروض ، وزيادة المديونية الخارجية ، والى ارتفاع أعباء خدمة الديون (الفوائد + الأقساط) الى مستوى حرج لكثير من الدول النامية .

وتختلف أرقام المديونية الخارجية بين مصدر وآخر ، علما بأن المصدر الرئيسي لها هو تقارير البنك الدولي وصندوق النقد الدولي التي يستقي معلوماته من الدول الأعضاء التي تستبعد عادة الديون العسكرية وبعض الديون الخارجية التي تدفع بالعملة المحلية .

وتشير تقارير البنك الدولي وبياناته إلى أن الديون الخارجية المتراكمة على الدول النامية ـ دول العالم الثالث ـ قد قدرت في عام ١٩٧٠ بمبلغ (٧٢) مليار دولار ، ووصلت الى (١٦١) مليار دولار في عام ١٩٧٤ ـ ثم قفزت الى (٣٢٩) مليار دولار في عام ١٩٧٧ ، ثم الى حوالي (٨٢٨) مليارا في عام ١٩٨٤ ، مع التنويه أن الديون الخارجية لمجموعة الدول الاسلامية قد وصلت في العام المذكور (١٩٨٤) الى حوالي (١٩٠) مليار دولار .

وفي احصائية جديدة تقدّر إجمالي مديونية دول العالم الثالث عام ١٩٨٦ بحوالي (٩٧٠) مليار دولار ، منها (٣٨٠) مليار دولار لديون أمريكا اللاتينية وحدها ، طبقا للبيان المشترك الصادر في أوائل عام ١٩٨٧ إثر الاجتماع غير العادي للمجموعة الاقتصادية لدول أمريكا اللاتينية ودول الكاريبي الذي عقد في (مكسيكو) بشأن الديون الخارجية لهذه الدول .

خدمة الديون الخارجية

يقصد بخدمة الديون مجموع الفوائد وأقساط استهلاك القروض المستحقة سنويا على الدولة المقترضة لتسديد ديونها تجاه دائنيها .

لقد بلغت خدمة الديون على بلدان العالم الثالث ككل (٢٢,١) مليار دولار في عام ١٩٧٤ ، وارتفعت بعد ذلك تباعا حتى وصلت الى ٧٦,٢) مليار دولار في عام ١٩٨٠ ـ والى (١٢٥,٢) مليار دولار في عام ١٩٨٣ . وهذه المبالغ تشكل (١٤,٤٪) من قيمة صادرات هذه البلدان من سلع وخدمات في عام ١٩٧٤ ، ووصلت الى (١٧,٩٪) في عام ١٩٨٠ ، وارتفعت إلى (٢٦,٨ ٪) في عام ١٩٨٣ ـ علما بأن نسبة (١٥٪ الى ٢٠٪) تعتبر حدا أقصى ، ومؤشرا خطيرا لا يجوز تجاوزه .

يقول (ادوار دو ويستر) مدير ادارة نصف الكرة الغربي بصندوق النقد الدولي ـ وهو وزير مالية سابق في كولومبيا ـ بمقال له نشرته مجلة (التمويل والتنمية) التي يصدرها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ـ عدد مارس (آذار) ١٩٨٥ ـ ما يلي .

« إن المشكلة ليست في حجم الدين فقط - سواء حجمه المطلق أو بالنسبة للناتج المحلي الاجمالي - وإنما في ما إذا كان من الممكن خدمته ، ويعني هذا مقارنة بين التزامات خدمة الدين - سداد أصل الدين والفائدة - وصادرات السلع والخدمات ، وحتى إذا افترضنا أن أصل الدين لا يسدد عادة وإنما يعاد تمويله فسيظل الوضع مع ذلك خطيراً » .

« ففي عام ١٩٨٣ كانت الأرجنتين تحتاج الى تخصيص (٥٤٪) من صادرات سلعها وخدماتها لدفع الفائدة على دينها الخارجي ، والبرازيل الى (٤٠٪) والمكسيك الى (٣٥٪) لنفس العام » .

ويضيف (ادوار جو ويستر) في مقاله المذكور قائلا : « من المؤسف أنه لم يحسن دائما استثمار حصيلة القروض أو استخدامها في توليد العملة الأجنبية ، أو لاستكمال المدخرات المحلية ، والواقع أنه في بعض الأوقات قد تم تمويل الاستهلاك لا الاستثمار ،

ونتيجة لذلك ارتفعت ارتفاعا شديدا نسبة خدمة الدين الخارجي الى صادرات السلع والخدمات » .

لاشك في أن قدرة الدولة على خدمة ديونها الخارجية تحكمها عوامل مختلفة ، منها : حصيلة صادراتها ، وحجم وارداتها ، واحتياطها من النقد الأجنبي ، ومدى انتفاعها من استخدام القروض الأجنبية في مشاريع التنمية التي تثبت جدواها الاقتصادية ، وقدرة المشروع الاستثماري على اعادة تسديد القرض الذي استعمل من أجله .

اعادة جدولة الديون

أدى ظهور مشكلة (أزمة المديونية الدولية) التي أخذت بالتفاقم بصورة ملموسة منذ عام ١٩٨١ الى طرح حلول لمواجهتها ، من ضمنها الحل المعروف ، وهو (إعادة جدولة الديون) كحل مؤقت قصير الأجل في إطار حلول أخرى طويلة الأجل ، تعتمد بصورة أساسية على التعديلات الهيكلية في اقتصاديات الدولة المدينة .

إن حل (اعادة الجدولة) قد برز أساساً في السنوات الأخيرة ، نتيجة غياب الحلول الفعالة الأخرى التي يمكن استخدامها لمواجهة الأزمة الحالية للمديونية الدولية أو قصور تلك الحلول ، وهذا الحل ليس جديدا ، فقد كان مستخدما منذ مدة طويلة ، وقد تكرر استخدامه في فترات سابقة على الحرب العالمية الأولى وبعدها

وتعني إعادة (جدولة الديون الخارجية) لأي مقترض تأجيل فترة سداد الأقساط المستحقة أو التي ستستحق من أصل الدين فترة محدودة ، بشروط جديدة ، بهدف - أساسا - التغلب على نقص السيولة لدى المدين التي تؤدي الى عدم قدرته على القيام بأعباء خدمة الدين المستحقة ، أو التي تستحق في الأمد القصير ، ولمنح الوقت للدولة المدينة لاعطائها فرصة للبدء في عملية التصحيح الاقتصادي الهيكلي ذات الآثار الطويلة الأجل وتعقد عملية (إعادة الجدولة) عن المفاوضات مباشرة بين المدين ودائنيه أو ممثليهم ، أو من خلال هيئات دولية وسيطة ، مثل نادي باريس ، وصندوق النقد الدولي ، وغيرهما

وغني عن البيان بأن (إعادة الجدولة) لاتخفض مديونية البلد أو أعبائه المالية ، بل قد تزيدها نتيجة الاقتراض الجديد ، أو نتيجة للشروط الجديدة المفروضة على البلد المدين في اعادة الجدولة ، وهكذا تصبح (الجدولة) تأجيلا للمأزق ، بل ربما أحيانا تدفع البلد المقترض الى مأزق جديد ، في اذا فرضت عليه شروط جديدة غير ملائمة عند إعادة الجدولة

لذلك يجب عدم اللجوء الى (الجدولة) إلا كحل أخير ، رغم أنه بديل موجود وممكن منذ البداية ، كما يتطلب تجهيز ما تتطلبه عملية (إعادة الجدولة) من معلومات واتصالات وتقدير تكاليفها بالنسبة للبدائل الأخرى المطروحة ضمن الحلول المقترحة لأزمة المديونية الدولية

إن (اعادة جدولة الديون) ما هو الا حل قصير الأجل كما أوضحنا آنفا ، هدفه توفير بعض الوقت

للبلد المدين ، حتى يتمكن من ترتيب أوضاعه الداخلية لمواجهة (أزمة مديونيته الخارجية) بالحلول الناجعة المعروفة الواجب اتباعها والتي منها :

١ ـ إعادة دراسة وتحليل الوضع الاقتصادي والمالي للبلد وتحليله ، بهدف كشف الخلل في جوانبه المختلفة ، وتقويمه بالشكل الذي يلائم ظروف البلد وأهدافه ، وإمكاناته ، وفي ظل رؤية شاملة للأمور ، وإدارة حكيمة حازمة .

٢ ـ رسم سياسة رشيدة ومرنة لعلاج الاختلاف في ميزان المدفوعات ، وتخفيض عجزه ، والسعي بجعل معدل نمو الصادرات أعلى ـ ولو بقليل ـ من معدل نمو الواردات ، وتحسين ميزان المدفوعات بوضع خطة سليمة للتجارة الخارجية ، تكون منسجمة متكاملة مع خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلد .

٣ ـ زيادة الاعتماد على الموارد المحلية وامكانيات البلد الذاتية ، واستخدام المدخرات الوطنية ، والقروض الأجنبية ذات الشروط الميسرة ، في مشاريع التنمية التي تثبت جدواها الاقتصادية .

٤ ـ مواكبة التطور في التركيب الهيكلي لقوة العمل لمتطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في البلد ، من حيث أنواع المهارات والاختصاصات والمستويات التعليمية والتدريبية اللازمة لتحقيق زيادة الانتاج بأعلى كفاءة اقتصادية .

لاشك أن تفاقم (أزمة المديونية الخارجية) وبالشكل الذي وصلت إليه ، وكذلك أن تعرض عدد من دول العالم الثالث قد أرغمت هذه الدول أن تلجأ الى إعادة جدولة الديون ، والى اتباع الحلول الأخرى التي نوهت ببعضها سابقاً ، لمواجهة أزمة مديونيتها ، ولمواصلة عملية التنمية ، ولوقف تدهور مستوى معيشة السكان .

وقد انطلقت صرخات عالية من قبل معظم قادة العالم الثالث ، تطالب بتخفيض أسعار الفائدة الحقيقية على الديون ، وتعديل شروط صندوق النقد الدولي ، ووضع حدود معقولة لخدمة الدين ، وشرع بعضهم في طرح المطالبة بإعفاء الدول النامية من ديونها المستحقة ، وبخاصة الفقيرة منها ، وأن يتحمل الدائنون الخسارة نتيجة لتلك الاعفاء .

وترددت هذه المطالب أو الأماني في مؤتمر القمة الافريقي الذي انعقد في « أديس أبابا » في يوليو (تموز) ١٩٨٦ ، وفي قمة (هراري) لمجموعة دول عدم الانحياز التي انعقدت في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦ ، وكذلك برزت في اعلان (قرطاج) لمجموعة دول أمريكا اللاتينية ، وقد صرح مؤخرا رئيس جمهورية (البيرو) ـ ألان غارسيا ـ أنه من أجل حل مسألة المديونية ينبغي على بلدان أمريكا اللاتينية أن ترفض ضغوط صندوق النقد الدولي ، وأضاف قائلا : إن التاريخ نفسه يدفعنا الى الاتحاد واتخاذ قرارات موحدة بهذا الشأن .

ومنذ مدة قريبة أعلن في (مكسيكو) تأسيس جبهة موحدة لبلدان أمريكا اللاتينية . من الأهداف الرئيسية لهذه المنظمة الجديدة النضال من أجل إقامة نظام اقتصادي جديد ، وإيجاد حل عادل لمسألة تسديد الديون الخارجية .

ولقي مع القائلين على بقية الدول النامية ـ دول العالم الثالث ـ أن توحد جهودها مع دول أمريكا اللاتينية ، للوقوف في وجه ضغوط الدول والجهات المقرضة ، والتعاون معا لايجاد مخرج عادل ومشرف لأزمة « المديونية الدولية » التي أصبحت قضية ساخنة ملحة في عصرنا الحاضر ، وذلك من خلال إعادة تنظيم العلاقات الاقتصادية الدولية . □

■ الجميع أمام المال من دين واحد .

(فولتير)

العربي أكتوبر ١٩٨٧

استطلاعات

البحرين ساعة لربك وساعة لقلبك
سليمان مظهر

اليمن الشمالي: مشاريع على طريق التنمية
صادق يلي

لوحات "روبرتس" تحط رحالها في الكويت
عبدالغني عبدالله

- عصر المواجهة بين الدائنين والمدينين / د. رمزي زكي
- صاحب قديم! / د. عبدالسلام العجيلي
- فن القصة القصيرة في أمريكا اللاتينية / د. حامد أبو أحمد
- طعام المستقبل / ابراهيم عبدالله العلو
- بعد أن يموت السيد! / د. محمد المنسي قنديل
- طفيليات يمكن أن تعيش على كبدك / د. سامي محمود علي
- للموسيقا العربية المعاصرة / سليم سحاب
- التنبؤ بالأحوال الجوية عبر الأقمار الصناعية / طاهر بكر القيسي
- النخالة البيضاء / د. محمد عبدالله الستاري
- كتاب الشهر: البترول ولعبة السياسة الدولية / عرض: جمال حمدة
- وجهاً لوجه: حنا مينا وأبو المعاطي أبو النجا

واقرأ أيضاً للكتاب

د. محمد الرميحي - فتحي رضوان - فهمي هويدي - محمد الشارخ
فاروق شوشة - د. كمال زاخر لطيف - عبدالسميع المصري - يوسف طافش



اللعاب

في الصحة والمرض

بقلم : الدكتور محمد الكبرا

لا نتعمق في أي وظيفة من وظائف الجسم إلا ونجد فيها عظمة الصنع ، والدقة في أداء العمل . وعلى هذه الصفحات سنستكشف أهمية اللعاب ، ووظيفته الهامة التي يقوم بها .

إن الغدد الفارزة للعاب إما أن تكون غددا كبيرة أو صغيرة ، والغدد الكبيرة مؤلفة من ثلاثة أزواج . وهي الغدتان النكفيتان ، والغدتان تحت الفك ، والغدتان تحت اللسان وهي تفتح جميعها على باطن الفم . أما الغدد الصغيرة فمؤلفة من مجموعة غدوية جمة عنبية موزعة في الفم والبلعوم والحنك والشفتين .

١ ـ الغدة النكفية : وهي أكبرها وموضعها تحت مجرى السمع الظاهر وأمامه ، وعلى القسم الصاعد من الفك السفلي . وهي غير منتظمة ، هرمية الشكل تقريبا . تنقسم إلى قسمين ، قسم سطحي ، وقسم عميق . تمر بينهما فروع العصب الوجهي ، وتخرج من الغدة قناة مفرغة للعاب تسمى قناة (ستينون) ، حيث تسير في باطن الخد ، وتنفتح داخل الفم مقابل

الرخو الثانية العلوية .

الغدة تحت الفك : يقدر حجمها بنصف حجم الغدة النكفية ، وهي تحتل المسافة بين الحافة السفلية للفك السفلي بقرب زاويته الخلفية والعظم اللامي تقريباً ، ويخرج من الغدة قناة تسمى قناة وارطون ، تسير إلى الأمام ، وتفتح من خلال الحليمة الجانبية لأرض الفم جانبياً من الخط المتوسط .

الغدة تحت اللسان : وهي أصغر غدة ، يقدر حجمها بنصف حجم الغدة تحت الفك ، وتوجد على طول القسم الأمامي الوحشي - (أي البعيد عن الخط المتوسط) - من أرض الفم تحت الغشاء المخاطي مباشرة ، لها عدة أقنية مفرغة ، أكبرها تسمى قناة ريفينوس أو بارتولان . وتفتح في ذروة الحليمة اللسانية .

كيفية تشكل اللعاب وإفرازه :

يتشكل اللعاب من حصيلة ثلاثة أمور :

١ - يرشح من الدم إلى خلايا الغدة الماء ، والشوارد ، وبعض الجزيئات ، وتقوم الخلايا المعنية بفرزها .

٢ - تقوم الخلايا المعنية بتصنيع بعض المواد الموجودة في اللعاب ، مثل خميرة الأميلاز والمخاطين والغلوبولينات المناعية ، وتفرزها إلى القناة الأنبوبية مع ما وصل إليها من الدم .

٣ - تقوم القناة الأنبوبية بامتصاص بعض المواد المفرزة ، وذلك كي تحصل على لعاب منخفض التوتر ، ثم تطرح بعد ذلك للقناة الرئيسية للإطراح .

تقع الغدد اللعابية تحت تأثير الضبط العصبي ، فالإفراز اللعابي له منعكس بطريق صادر وآخر وارد ، وهذا المنعكس ضروري لكي يكون الإفراز اللعابي سريعاً ، حيث أن الطعام يبقى فترة قصيرة في الفم ، وبالتالي لمن الضروري أن يكون الإفراز سريعاً ، فالضبط العصبي للغدد وإن خلت السرعة ، ولولاه لانقطع اللعاب ، وأصاب الغدد اللعابية الضمور .

العوامل المؤثرة على إفراز اللعاب :

١ - الإفراز الراحة أو الأساسي : إن المحافظة على الليونة والسطح الرطب للغشاء المخاطي للفم والبلعوم يعتمد على الإفراز المستمر لكمية قليلة من اللعاب ، وهذا الإفراز يخدم أيضاً في التنظيف والفعالية المضادة للجراثيم ، ويعتبر واحداً من عناصر آلية العطش ، ولهذا الإفراز أهمية أيضاً خلال فترات تناول وجبات الطعام ، وكذلك النوم ، وهذا النوع من الإفراز اللعابي يسمى بإفراز الراحة أو الأساسي .

وتفرز الغدة تحت الفك كمية أكبر مما تفرزه النكفية بثلاث مرات أثناء الراحة ، والغدة تحت اللسان تفرز أقل من ٥٪ من الإفراز الكلي ، وينقص إفراز الراحة أثناء النوم ، وبالتعب والشدة والقلق الفكري ، والخوف . إلا حركات الفم والفك (التثاؤب - البلع) تحدث زيادة عابرة في إفراز الراحة ، ثم ينقص بعد ذلك ، وربما تعود الزيادة إلى الضغط الآلي على الغدة أو بتنبيه انعكاسي للآلية القابضة في الغدة . وإن هذا الإفراز (الأساسي) يحدث بسبب انعكاسي بجفاف الفم والبلعوم ، وبعض الخلايا الإفرازية ربما تفرز دون التأثر بعوامل عصبية أو خلطية ، كما أن الغدد الصغيرة لها خاصية الإفراز التلقائي أثناء الراحة .

٢ - الإفراز بالتنبيه : يحدث هذا الإفراز استجابة لعدد من المنعكسات وهي :

الإفراز اللعابي بالاستجابة إلى تناول الطعام ، وهذا الإفراز ناجم عن مجموعة من المنعكسات تحدث بشكل متلاحق وهي :

١ - إفراز بالمنعكس الشرطي بالاستجابة للتفكير والنظر والشم .

٢ ـ المنعكس الإفرازي الطبيعي المثار بالمضغ .

٣ ـ الاستجابة لمنعكسات تنبه مستقبلات الذوق ومستقبلات اللمس الفموية .

٤ ـ الإفراز بتأثير المنعكس البلعومي المريئي اللعابي .

٥ ـ إفراز بتأثير المنعكس اللعابي أثناء مرور اللقمة الطعامية إلى المريء والمعدة . ويحدث عن تنبه بطانة المريء أو المعدة منعكس سيلان لعابي ملحوظ بشكل جيد . ويلعب اللعاب عبر الحركات الحيوية للمريء الذي يساعد بدوره على انزلاق اللقمة الطعامية إلى المعدة .

إن مجموع ما يفرز من اللعاب يتراوح بين ٠,٥ ـ ١,٥ لتر يومياً ، ومعظمه يفرز أثناء وجبات الطعام .

ويفرز منه أثناء الراحة معدل ٢٠ مل/ ساعة .

وقد وجد أن هناك مادة في اللعاب تحرض على الإفراز اللعابي لو تم حقنها في الفم .

الأدوية المؤثرة على الإفراز اللعابي :

من خلال دراستنا لآلية إفراز اللعاب وجدنا أن الأدوية المؤثرة على إفراز اللعاب قد تكون مثيرة أو مثبطة للإفراز . وهذه الأدوية تعمل في أماكن مختلفة على طول الطريق العصبي للغدد اللعابية ، وتقسم كالتالي :

١ ـ الأدوية المنبهة للمستقبلات المحيطية :

السكروز ، ومحاليل حمض الليمون ، وحمض الخل ، والقلويات اللاذعة ، تزيد إفراز اللعاب ، بتنبيهها مستقبلات الذوق .

كما يزداد الإفراز في حال التسمم بالرصاص ، والزئبق ، وبعض المخدرات كالإيتر ، والكلوروفورم ، والسيكلوبروبان ، إذا طبقت موضعياً ، وذلك بتخريشها لبطانة الفم .

كما أن الهيوسكامين Hyoscine ، والكوكائين ، يخمدان الإفراز ، بتخديرها الموضعي .

٢ ـ الأدوية المؤثرة مركزياً :

إن الاستركنين Strychnine والبيكروتوكسين Picrotoxine والكوكايين Cocaine والرزربين Reserpine تزيد الإفراز اللعابي . وكذلك الأدوية المسببة للغثيان ، والقيء ، وهذا يحدث بشكل انعكاسي ، أو بتأثير مركز القيء في البصلة السيسائية أو بإثارة منطقة المستقبلات الكيميائية للقيء في البصلة ، ومن هذه الأدوية المورفين ، والأبومورفين ، والديجتال . أما المواد المخدرة فتنقص الإفراز بتخديرها منعكسات اللعاب .

٣ ـ الأدوية المؤثرة على النهايات العصبية الذاتية للغدد اللعابية :

أ ـ الأدوية المقلدة لنظير الودي : تزيد هذه الأدوية الإفراز بشكل غزير ، ومنها الاستيل كولين والبيلوكاربين Pilocarpine والميكوليل Mecholyl والأدوية المضادة لخميرة الكولين استراز .

ب - الأدوية المماثلة لنظير الودي : وعلى رأسها الاتروبين والاسكوبولامين Scopolamine .

جـ - الأدوية المقلدة للودي : وهذه الأدوية تحدث الإفراز أقل بكثير مما تحدثه الأدوية المقلدة لنظير الودي ، ومنها الأدرنالين ، والافدرين ، والايزوبروتالين ، والامفيتامين .

٤ - أدوية مؤثرة على الجهاز العصبي الذاتي مثل :

المخدرات العامة ، والباربيتورات ، ومضادات الهستامين . وهذه أدوية تنقص اللعاب بتأثيرها المثبط للجملة العصبية المركزية .

وآلية عمل الجهاز المناعي في اللعاب ضد الجراثيم هي :

أ - يقوم اللعاب بعمل آلي صرف في إزالة الجراثيم من الأسنان ومخاطية الفم ، وتحمل هذه في معلق ، ثم تبتلع ، لتقتل في عصارة المعدة الحامضة

ب - إن الكريات البيضاء في اللعاب يمكن أن تلتهم الجراثيم بواسطة بلعمتها ، وتحطمها بواسطة خمائرها

جـ - إن اللوكوتاكسين LEUCOTAXIN في اللعاب يحدث انجذابا كيماويا للكريات البيض ، لتهاجر إلى اللعاب ، ولتقوم بعمل البلعمة للجراثيم ، وهذا يحدث بشكل خاص إذا كان هناك رض في مخاطية الفم .

د - إن الأوبسونين OPSONINS موجودة في اللعاب ، وتزيد من قابلية الكريات البيض على فعل البلعمة

هـ - الأجسام الضدية وعلى رأسها الغلوبيولين المناعي I g A . وهو جسم ضدي ، يعمل بشكل هام على مقاومة الجراثيم التي على سطح الغشاء المخاطي ، وحلها وتحليلها

تركيب اللعاب .

١ - العناصر غير العضوية

ان الشوارد الرئيسية في اللعاب هي الصوديوم ، والبوتاسيوم ، والكالسيوم ، والمغنزيوم ، وترافقها شوارد الكلور ، والبيكربونات ، مع كمية قليلة من الفوسفات ، والسلفا ، كما أن هناك كميات ضئيلة جدا من الثيوسيانات ، واليود ، والأزوت ، والفلور .

إن مستوى هذه الشوارد يتأثر بمصدر اللعاب ، والجنس ، والعمر ، ومعدل الإفراز ، ونوعية المنبه ، وتركيز هذه الشوارد في المصل ، والغذاء ، وحالة المرض .

واللعاب بتركيبه قريب من تركيب السائل داخل الخلايا من حيث نوعية شوارده .

٢ - العناصر العضوية

إن اللعاب يحتوي على حوالي ٣٠٠ ملغ/ ١٠٠ مل من البروتينات ، وكمية البروتين في اللعاب تحدد صفات اللعاب من حيث اللزوجة واللصوقية . كما تختلف نوعية البروتين من غدة إلى أخرى . فالكمية الاميلاز الكبرى من الغدة النكفية ، بينما المخاطين ، البروتين المخاطي ، من الغدة تحت الفك .

ولكن اللزوجة الكبيرة تعود للعاب الغدة تحت اللسان ، حيث مقدار اللزوجة ١٣.٤ ، وللعاب الغدة تحت الفك مقدار ٣.٤ ، وللغدة النكفية مقدار ١.٥ ، وذلك يعود إلى كمية المخاطين فيه ، وعدا عن البروتينات المخاطية والاميلاز هناك أنزيمات أخرى ، ذات تركيب بروتيني ، مثل الغلوبيولين المناعي نوع IgA و IgG . والـ IgA . وتركيزه في اللعاب أعلى بعشرة أضعاف منه في الدم ، وهذا يدل على صنعه في الغدد اللعابية . ومن الأنزيمات الفوسفتات القلوية ، والحامضية ، والليباز ، وبيروكسيداز ، وكاليكرين ، ودي هيدروجيناز . وكاربونيك انهيدراز ، ولاكتوبيروكسيداز ، ولاكتوفرين .

كما يرشح في اللعاب البولة ، وحمض البول . وهو يعكس مستوييهما في الدم . أما الغلوكوز فلا يزداد مع زيادته في الدم .

وظائف اللعاب :

إن كل ما تحدثنا عنه جاء ليسهل علينا فهم كيفية قيام اللعاب بوظائفه ، فالآلية التي يفرز فيها اللعاب ، وطبيعة تركيبه لم تكن كذلك إلا لتخدم وظيفة على اللعاب أن يقوم بها .

ووظائفه كثيرة ، نستعرضها فيما يلي :

أ ـ وظيفة اللعاب في الحفاظ على صحة الفم :
يقوم اللعاب بوظيفته هذه بالطرق التالية :

١ ـ الترطيب : إن اللعاب يبقي مخاطية الفم والبلعوم رطبة ، وهذا مهم لصحة الفم . ولولا ذلك لحصل جفاف ، وتقشر في المخاطية ، مما يؤدي إلى غزو الجراثيم .

٢ ـ التليين للمضغ والبلع : إن اللعاب يليّن الطعام ، ويطريه ، ويسهل ذلك في عمل المضغ ، وحركات اللسان ، وفي تشكيل اللقمة الطعامية الطرية ، ليسهل انزلاقها في المريء .

٣ ـ التليين للكلام : إن ترطيب الفم وتطريته أساسي للكلام ، وإن الحركات المشتركة للسان والشفتين لإنتاج الأصوات يتطلب ذلك . فلولاه لما حصل كلام واضح ، وإن الكلام الطويل أيضاً يحتاج إلى رشفات متكررة من الماء ، بسبب التبخر الكبير للعاب أثناء الكلام .

٤ ـ دور المخاطين : إن هذه المواد تلعب دوراً هاماً في تنظيف الفم وتليينه ، وتمنع تراكم بقايا الطعام ، والأنقاض الخلوية ، والجرثومية ، هذا عن أنها تسهل حركات الشفتين والخدين واللسان ، وتنقص من معدل تبخر الماء من اللعاب . كما أنها تثبط عمل بعض العوامل الممرضة للفيروسات ، وهذا دور في الحماية المناعية للعاب

٥ ـ التمديد والتبريد والتسخين : إن اللعاب يسيل بغزارة كبيرة عند تناول التوابل ، وبخاصة الحامضة ، فيعدل من حموضتها ، ويمنع تخريبها الموضعي ، كما أنه يسخن الطعام البارد ، ويبرد الطعام الساخن

٦ ـ التعديل الداريء : أي أنه يحافظ على التوازن الحامضي القلوي ، ويمنع أو يخفف أي تغير ملحوظ في نسبة شوارد الهيدروجين الموجودة في المحاليل ، (وهي التي تحدد نسبة الحموضة والقلوية PH) ، وهي التي قد تؤذي مخاطية الفم ، وقد تؤثر على عمل خلايا اللعاب ونشاطها ، وكذلك الحفاظ على هذا التوازن مهم للمحافظة على الزمرة الجرثومية الطبيعية للفم ، وحتى لا تحدث النخرات السنية ، وتتطور وإن البيكربونات هي الدارئة الكبيرة في اللعاب ، كما أن للبروتينات المخاطية (المخاطين) ، والفوسفات دوراً صغيراً في ذلك التعديل الداريء .

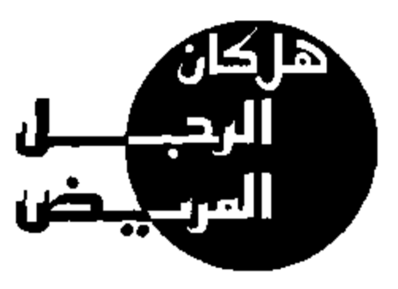
٧ ـ الفعالية المضادة للنخرة السنية : لقد لوحظ أن إزالة الغدد اللعابية عند الفئران تسبب لها زيادة ملحوظة في النخرة السنية ، وهذا يحدث عند الإنسان عندما ينقص إفراز الغدد اللعابية بشكل كبير . ويقوم اللعاب بحماية الإنسان بعدة سبل .

أ ـ يقدم بعض المواد لتغذية السن قبل بزوغه .

ب ـ الكالسيوم وفوسفات اللعاب يعملان على منع انحلال السن .

جـ ـ تتشكل طبقة من البروتينات السكرية اللعابية ، تسمى اللويحات PLAQUE ، تنقص أثر الاحتكاك الحادث بالتفريش والأكل

٨ ـ الفعالية المضادة للجراثيم : إن الجراثيم التي توجد بشكل طبيعي في الفم كثيرة جداً ، فالوسط الحار الرطب داخل الفم ملائم لنمو الجراثيم ، كما أن اللعاب يحتوي على أحماض أمينية وبعض المواد الآزوتية الأساسية لنموها ، كما أنه يسمح لها بالدخول إلى الفم أثناء تناول الطعام ، وأثناء التنفس عن طريق الفم ، لذلك فبقدر ما تكون الجراثيم الموجودة في الفم والمبلعمة كثيرة بقدر ما يجب أن يكون الجهاز الدفاعي ضد الجراثيم قوياً ، وهذا ما هو موجود فعلاً في اللعاب ، حيث أنه بتجنيد عمر الجراثيم لا تحدث التهابات كثيرة في الفم والأسنان □



هل كان الرجل المريض

بقلم : فتحي رضوان

في الأيام القليلة الماضية ، حدثت هجمة على بعض القرى التركية ، وكان المهاجمون من أفراد منطقة مجاورة ، فجرحوا وقتلوا أكثر من ثلاثين شخصا من بينهم النساء والأطفال والشيوخ ، وقد وصلت أنباء هذه المذبحة فثار الأتراك ، ولكن زاد من حربهم أن تعليقات وكالات الأنباء الدولية كانت مشوبة بنغمة شماتة . فقد ذكّروا الأتراك بما اقترفه آباؤهم في المنتصف الثاني من القرن التاسع عشر من مذابح في البلاد التي كانت خاضعة لسلطان حكم الأتراك . كمنطقة الأرمن والصرب واليونان وجزر [illegible] وروما [illegible] وقد لا تخلو هذه المذبحة [illegible] ، وما سمعوه من تعليقات صحف الغرب ، ذكرياتهم [illegible] الحقبة التي قضتها دول أوروبا الغربية [illegible] والتي [illegible] إليها [illegible] تركيا ، وكذلك [illegible] هذه الحقبة التي اتسع نطاقها ، وتنوعت [illegible] ومساوئها ، شوهت صورة تركيا ، وأظهرتها في صورة الدولة الهمجية التي تسرف في سفك الدماء وتستبد في حكم [illegible] من المسيحيين ، والتي تخلفت [illegible] أجهزة حكمها .

وتوقفت المدارس واتقاعد عن التعليم ، والمحاكم عن القضاء العادل ، وتوقف موظفوها عن أداء واجباتهم لتدني مستواهم ، وانعدام تدريبهم ، وحرصهم الشديد على اقتضاء الرشوة والحصول على الثراء بعضها ابتزازا من الرعايا ، سواء كانوا مواطنين تابعين للدولة أو كانوا من غير المسلمين. ولقد تواصى كتاب الغرب ، وصحفيوهم ، ومؤرخوهم على استعمال نعت : لتركيا إمعانا في النكاية ، ومبالغة في التشهير ، راح علما على تركيا ، ذلك هو لقب «الرجل المريض» في أوروبا أو «رجل أوروبا المريض» ، وقد استعمل هذا اللقب أكثر ما استعمل في النطاق الدبلوماسي الضيق ، أي في المراسلات بين رؤساء الدول وسفرائهم ، ورؤساء الدول ووزرائهم أو مندوبي الدول في سواهم المختلفة أو مؤتمراتهم الخاصة . فلا يكون سفير [illegible] في لندن مثلا ليعبر : إن تركيا كانت لو [illegible] ، بل يقول قال الرجل المريض أو فعل الرجل المريض ، فيفهم المرسل إليه من المقصود بهذا اللقب.

ثم خرج هذا اللقب من النطاق الخاص الى نطاق واسع للبلاد ، فأصبح الحديث في قاعات (البرلمانات) وخارجها يدور حول الرجل المريض بغير حاجة الى تعريف ، ثم تلقف بعض المؤرخين ذوي القيمة والاعتبار هذا اللقب ذاته ، فأطلقه باعتباره اصطلاحا علميا من قبيل أن تسمى الارض (البسيطة) أو الشمس (الجوزاء)

القيصر مبتدع التسمية

ويقال أن أول من اطلق لقب الرجل المريض هو قيصر روسيا نيقولا الاول (١٨٢٥ ـ ١٨٥٥) وذلك في حديثه مع اللورد ابردين رئيس وزراء بريطانيا ، ـ وكانا صديقين حميمين ـ في قصر وندسور اثناء حديث متبادل . الا أن الرجل نفسه فقد قدرته على ضبط النفس في لحظة غضب ، فقال لأحد محدثيه سنة ١٨٣٣ « ليس في استطاعتي ان أبعث الحياة في الموتى ، ان الدولة العثمانية دولة ميتة ، ولا أظن ان هذا الجسم العجوز سيقوى على المحافظة على الحياة ، إنه في حالة انحلال في جميع النواحي » .

ولم يكن قيصر روسيا بطبيعته مؤرخا ولا دارسا عن تخصص للحكم على الدول ، إنما كان يقوم بهذه الحملة توطئة لتوزيع الممتلكات العثمانية اشلاء بينه وبين امبراطورية بريطانيا . وقد عرض فعلا آنذاك أن تأخذ بلاده الاستانة ، وتأخذ من المضايق التركية البسفور وتأخذ بريطانيا الدردنيل ، وتحتل بريطانيا مصر وتأخذ كريت إن شاءت الى آخر هذه القسمة .

ولم تكن الحملة التي شنتها أوروبا في قسوة وضراوة ، وفي إصرار ومواظبة ، ضيقا بجسم فقد الحياة يعترض سبيل سيرهم ، بل كان الواقع انهم هم الذين فعلوا كل شيء في وسعهم ليخضوا الدولة العثمانية جراحا ، وكان يسرهم أن يروا الدم ينزف من هذا الجسد الذي كان مليئا بالحيوية ، فياضا بالقوة ، والذي بسط نفوذه على كل شرقي اوروبا ، والذي هددت جحافله بقرع أسوار عاصمة النمسا ، وكانت آنذاك امبراطورية مترامية الآفاق ، ذات شهرة ضخمة ، وكان اسمها امبراطورية النمسا والمجر يملأ الاسماع. وكان شرقي آسيا وشمال افريقيا وجزر البحر الابيض كلها من ممتلكات الدولة العثمانية تديرها بكفاية واقتدار .

وقد بذل الغرب كل جهد ، وتوسل بكل وسيلة ليحول الامبراطورية العثمانية بملكها الشاسع في البر ، واساطيلها الهائلة في البحر الأبيض الى خبر كان ، وتعجلوا الامر يأمل أن تلفظ الدولة العثمانية انفاسها وتستسلم للموت واصبح وجودها مرهونا ، عاجزا عن الدفاع عن نفسه ، مستسلما للضربات القدر التي توالت عليه بشكل ثورات في شرقي أوروبا ، واضطرابات في الاقطار العربية ، ومؤامرات ومكائد ودسائس في المحافل الدولية

هل كان مريضا حقا ؟

ولكن هل كان الرجل المريض مريضا ، أم انه كان ـ على الرغم من كل المصائب والمحن ، والمكائد ، انسانا متمتعا بالقوة والقدرة على المناورة والمداورة والقتال والنزال . ١٢

سنأخذ موضوع فلسطين والرغبة في الانقضاض عليها ، واقتطاعها هدية للصهيونية التي بدأت تطل برأسها في أخريات القرن التاسع عشر فماذا فعل الرجل المريض في هذه المكيدة الجديدة ؟

بادئ ذي بدء ، لما فتح السلطان سليم الأول مصر عام ١٥١٧ أصدر فرمانا (أي قانونا) يمنع هجرة اليهود الى سيناء . ولما تولى سليمان القانوني عرش الدولة العثمانية سنة ١٥٢٠ أصدر فرمانا (قانونا) ثانيا بتأكيد حكم القانون السابق . وبعد وفاة سليمان القانوني بمدة ست وأربعين سنة من الحكم خلفه سلاطين ضعاف فتنفس اليهود الصعداء فنزحوا في هجرات متقطعة الى سيناء ،وأدركوا أن

الفرصة سانحة لهم لتحقيق حلمهم القديم . وقد ركزوا هجرتهم أول الأمر على الاستيطان في مدينة الطور . نزحت حركة الهجرة إلى الطور طبقا لوثائق ذلك العصر لابراهيم اليهودي . استوطن ابراهيم هذا مع أولاده وبقية أفراد أسرته مدينة الطور . وكان من الممكن أن تستمر هذه الهجرة لعدة سنوات في غفلة من السلطات ، لولا أن اليهود حينئذ سكن بعضهم المقام في الطور تعرضوا بالأذى لرهبان سانت كاترين الذين بدأوا يشكون كتابة وشفاها ، وحاضروا إلى مصر . وكانت شكايتهم تقوم على أن دير سانت كاترين هو مكان مقدس فلا يسوغ أن يتعرض لهم بالأذى أقوام وافدون ليسوا من أهل المنطقة ولا صلة لهم بها . وأن هجرة اليهود إلى هذه المنطقة بصورة ملفتة للنظر مما يدل على أنهم ينوون أمرا . واهتمت السلطات العثمانية فأصدرت ثلاثة قوانين مانعة لليهود من الهجرة إلى سيناء . وقد تلا ذلك إخراج ابراهيم اليهودي من سيناء . وصدر قانون بعد ذلك بالتدقيق في وجه هجرة اليهود مقررا أن زيارة السائح لسيناء لا يجوز أن تزيد عن ثلاثة أشهر حتى لا يكون السفر بقصد السياحة سبيلا إلى الاستيطان.

بعد الاحتلال البريطاني

ولكن الأيام تمر وتحتل بريطانيا مصر سنة ١٨٨٢ لتشجيع اليهود بنظام حكمها الجديد ولا سيما بعد أن بقي السلطان التركي عبد الحميد الثاني على اتباع سياسة تركيا القديمة القائمة على منع هجرة اليهود إلى فلسطين . فشمر زعيم الصهيونية ومؤلف كتاب الدولة اليهودية عن ساعد الجد . وتصور أنه ظافر بما يريده من وعود الغرب . وأن نفوذ الصهاينة وضغوط دوائر المال والاقتصاد كفيل أن ينتزع من سلطان تركيا قرارا يبيح الهجرة إلى فلسطين أمام اليهود . وقد دخل هرتزل فعلا في مفاوضات مع بعض ساسة الدولة البريطانية . ودخل عهد جوزيف تشمبرلن وزير المستعمرات واللورد لانسدون وزير الخارجية لتوطين اليهود في سيناء على أساس إقامة دولة يهودية فيها تتمتع بالحكم الذاتي في نطاق الامبراطورية البريطانية . ووافق الوزيران على الاقتراح من حيث المبدأ . وكان ترحيب هذين الوزيرين بهذا الاقتراح أساسه أن الدولة اليهودية ستتولى حماية قناة السويس ، وعزل مصر عن الولايات العربية في الدولة العثمانية وإضعاف الدولة العثمانية بوضع شوكة في جنبها تزداد مع الأيام كبرا ، وتأديبا لدولة الأتراك على تقاربها من الألمان

وبعد مفاوضات طالت تألفت لجنة من ثمانية أعضاء قال الانجليز انهم يمثلون مصر . مع أن الدكتور عبد العزيز الشناوي يقول أنه ليس في أسماء هؤلاء الأعضاء اسم واحد يتفق مع الأسماء المصرية . وكانت مهمة اللجنة دراسة أسباب توطين اليهود في سيناء وانشاء مجلس بلدية يهودية في أنحاء سيناء وانتهت اللجنة إلى أن سيناء تصلح لتوطين اليهود . واقترحت أن تكون العريش هي البداية . وكان صدور قرار هذه اللجنة في سنة ١٩٠٣ وكان من بين شروط إقامة هذه المستوطنة أن تحول مياه النيل إلى سيناء . ولكن جاء الانقاذ من رجال بريطانيا هو اللورد كرومر الذي كان معتمد بريطانيا في مصر بصفته معتمدا حربيا . لأن تلك خطوة خطيرة من شأنها أن تؤثر على المساحة المزروعة في مصر . وأرسلت الحكومة البريطانية مذكرتين آخرهما كانت بتاريخ ١٦/٧/١٩٠٣ أنهت فيها إلى هرتزل أن حكومة بريطانيا عدلت عن مشروع إنشاء دولة في سيناء لليهود

عندها استدار هرتزل إلى السلطان عبد الحميد للضغط عليه بكل وسيلة متاحة لحمله على الموافقة على المشروع الصهيوني . وكان السلطان عبد الحميد بحكم شخصيته وكجمهوره وما ينسب إليه ويعرف الرفض رفضا تاما . وبخاصة أن اليهود تعرضوا لموجة من الاضطهاد والتعذيب في روسيا . وكانت

السلطات الروسية قد انتهزت فرصة اغتيال القيصر اسكندر الثاني فاتهمت اليهود في عملية اغتياله ، وساقتهم مئات بعد مئات الى السجون ، حيث عانوا عذابا رهيبا ، وقصدوا القنصلية العثمانية في ميناء اوديسا بروسيا الولا وراء الوقف ليحصلوا على تأشيرة دخول لفلسطين ، وجاء الرد من الحكومة المركزية في استانبول برفض هذه الطلبات . وقصد اليهود المستر لويس ولاس سفير أمريكا في استانبول ليضغط على الدوائر التركية لتمنح إجازات دخول لفلسطين ، وذهبت هذه الجهود سدى ، فقصد اليهود أفواجا الى يافا بدون إذن دخول لفلسطين ، وارادوا أن يدخلوا عنوة ، ولكن السلطان أمر حاكم القدس بأن يمنع أي يهودي قادم من روسيا او رومانيا أو بلغاريا ، كذلك صدر أمر بمنع دخول اليهود من موانيء بيروت واللاذقية .

مؤتمر بال

على هذا النحو ، حاصرت الدولة العثمانية مولد نشأة الحركة الصهيونية وكان الصهاينة قد عقدوا المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال السويسرية سنة ١٨٩٧ بقيادة تيودور هرتزل الصحفي النمساوي الذي سلطت اليه الاضواء ، وكانت الحركة الصهيونية بعد ثلاثة أيام من الانعقاد في مؤتمر بال ، قد كسبت قوة وثقة النفس

ولم ييأس هرتزل من صمود السلطان عبد الحميد المستمر ، فتوسل بأكثر من شخصية عالمية في الغرب ، ليسمح بلقائه في قصره الملكي في استانبول ، وتمت المقابلة في اليوم السابع عشر من مايو سنة ١٩٠١ وكان مع هرتزل اثنان من أقطاب الحركة الصهيونية وجاءت بعد هذه المقابلة مقابلتان عرض خلالها هرتزل مشروعا صهيونيا خلاصته أن يصدر السلطان قرارا بالسماح لليهود الاجانب بالهجرة الى فلسطين والتوطن فيها ومنحهم قسطا كبيرا من الحكم الذاتي مقابل أن يدفع اليهود عند صدور الفرمان مبلغا كبيرا من المال قدر بثلاثة ملايين من الجنيهات الاسترالينية ثم تدفع الدولة اليهودية بعد ذلك جزية سنوية .

وأطال عبد الحميد صبره على هرتزل وافسح له صدره ، فتكلم الرجل وأفاض وظن أنه نجح في استمالة سلطان الاتراك وأن الطريق بات مفتوحا أمام الصهاينة . وفوجيء هرتزل في آخر المطاف برفض بات للمشروع الصهيوني ، وخرج هرتزل شاعرا بخيبة الأمل وبالحسرة ، ولم يطل عمره فقد مات في ١٣ يوليو سنة ١٩٠٤

وقد تحدث حول اللقاءين الاثنان ، وكانت بجالس السلطان عبد الحميد ، عن مواهبه السياسية وقدرته على اخفاء عواطفه ، فقال : لو وزن السلطان عبد الحميد مع أربعة من نوابغ عصره لرجحهم .

ولعله يجدر بي أن اختم هذه المقالة بآخر عبارة نطق بها السلطان عبدالحميد موجهة لهرتزل

- انصحوا هرتزل ألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع ، موضوع توطين اليهود في فلسطين ، فهي ليست ملك يميني بل ملك شعبي ، لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الارض ورواها بدمه فليحتفظ اليهود بملايينهم ، وإذا مزقت امبراطوريتي يوما فإنهم يستطيعون امتلاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ، أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون عليّ من أن أرى فلسطين قد بترت من امبراطوريتي ، اني لا استطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن أحياء .

لقد قال القيصر الروسي ان تركيا بلد مات وكان ذلك من سنة ١٨٢٥ ولكن تركيا بقيت بعد هذه المقولة نحو مائة عام ، وقاومت الاستعمار الغربي في البر والبحر ، في السياسة والحروب ، وعجزت الصهيونية بكل ملايينها ونفوذها السياسي ومساعيها أن توطن يهوديا واحدا او تنشيء مستعمرة بموافقة الدولة العثمانية ، فالرجل المريض لم يكن مريضا ، ولم تتجه الحرب الى أهلية شفاء الرجل المريض لتغيرت الاحوال . □



بقلم : الدكتور سعود عياش

حتى سنوات قليلة مضت كانت هناك قناعة سائدة بأن الآثار التدميرية للحرب النووية ستقتصر على الفرقاء المتخاصمين ، وأن هذه الآثار ستكون موضعية الطابع ، إذ ستقتصر على المراكز التي تتعرض للضرب بالأسلحة النووية والمناطق المحيطة بها . غير أن القناعات الحديثة تشير إلى صورة مختلفة تماما .

ان الدمار المتوقع من جراء التفجيرات النووية لن يقتصر على المتخاصمين فقط بل سيمتد ليشمل المحاربين والمحايدين وقسماً كبيرا من الأنواع الحية الأخرى - نباتية وحيوانية . ان الأخطار الجسيمة التي ستنجم عن صدام نووي واسع النطاق ستتمثل في التغيرات المناخية التي ستطرأ على طقس الكرة الأرضية ، ونشوء ما يعرف بظاهرة « الشتاء النووي » .

في أواخر الحرب العالمية الثانية ضربت مدينتا هيروشيما وناجازاكي في اليابان بقنابل نووية . وتعرضت المدينتان نتيجة ذلك لدمار شامل وقتل قسم كبير من سكانها . لكن التدمير بقي - في نهاية الأمر - مقتصرا على رقعتين جغرافيتين صغيرتين نسبيا . وربما كان ما حصل في المدينتين المذكورتين هو ما شكل القناعة السالفة حول موضعية الآثار التدميرية للحرب النووية . وحسب هذه القناعة فان حرباً نوويا مقبلة ستؤدي الى قتل أعداد أكبر من البشر وتدمير مساحات أوسع نظرا لأن المخزون الحالي من الأسلحة النووية أكبر بعشرات آلاف المرات مما كان متوفراً في نهاية الحرب العالمية الثانية .

كانت القناعة السالفة تفترض أيضا أنه بعد أن يتوقف المتحاربون عن تبادل الرؤوس النووية تبدأ عمليات الإغاثة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه وتبدأ عمليات إنقاذ الجرحى والمصابين ونقل الأحياء الى أماكن أكثر أمنا . ولن تمضي أسابيع قليلة حتى تعود الأمور الى سابق عهدها ، ويعود البشر إلى ممارسة أعمالهم ، وإعادة بناء ما تدمر . ألم يحصل ذلك في أعقاب كل الحروب السالفة ؟ .



من حسن الحظ ان الصورة السالفة لم تعد قائمة الآن ولا تقبل بها أي من الجماعات العلمية على جانبي خط الصراع النووي . فهناك اجماع على أن الصدامات النووية المحدودة النطاق هي من ضروب الخيال وإن أي صدام مستقبلي سيكون واسع النطاق وشاملاً لمعظم ، إن لم يكن لكل ، المخزون النووي . وهذا يعني ان الحرب النووية المقبلة ستتضمن تفجير الآف الرؤوس النووية التي يبلغ متوسط القدرة التفجيرية للرأس الواحد منها حوالي نصف مليون طن من المواد المتفجرة . وتشير التقديرات المختلفة إلى أن ما بين ٤٠٠٠ - ٦٠٠٠ مليون طن من المواد المتفجرة ستستخدم في أي حرب نووية مقبلة . وتضع تقديرات أخرى الرقم عند ١٠,٠٠٠ مليون طن .

هذه الكمية الهائلة من المواد المتفجرة ستودي بحياة ربع سكان الكرة الأرضية في حالة حدوث صدام نووي . وسيسقط ربع آخر ما بين مصاب وجريح . وسيترك هؤلاء دون مساعدة أو اغاثة لعدم توفر إمكانات لتقديم أي شكل من العون . وأما النصف الذي سيبقى على قيد الحياة فسوف يواجه ظروفاً يتمنى معها لو أنه لحق بالربع الأول . فقد تبين من الدراسات التي أجرتها جهات علمية مستقلة أن شتاء نووياً سيعقب الحرب النووية وأنه سيستمر لأشهر طويلة ، يخيم أثناءها على معظم أجزاء الكرة الأرضية ويقضي على المحاصيل الزراعية بحيث أن من لا يموت برداً يموت جوعاً .

الشتاء النووي :

ظهر مصطلح الشتاء النووي في دراسة صدرت عام ١٩٨٣ وعرفت باسم دراسة (تابس) نسبة للأحرف الأولى لمؤلفي الدراسة . وقد صاغ ريتشارد تيركو ، أحد المؤلفين ، مصطلح الشتاء النووي ، الذي شاع استعماله منذ ذلك الحين ، لوصف جملة التغيرات البيئية التي ستطرأ على طقس الكرة الأرضية في أعقاب الحرب النووية . وكانت قد سبقت دراسة (تابس) دراسة قام بها بول كروتزين وجون بيركس نشرت في مجلة « أمبيو » التي تصدر عن الأكاديمية الملكية السويدية . وتحمل الدراسة التي صدرت عام ١٩٨٢ عنوان « الطقس عقب الحرب النووية : شفق عند الظهيرة » ، وقد أشار كروتزين وبيركس في

دراستهما إلى أن الصدام النووي سيؤدي إلى نشوب حرائق هائلة في الغابات، والبراري، وآبار النفط والغاز، وخزانات الوقود، والمناطق الصناعية والحضرية. وذكر المؤلفان أن كميات ضخمة من الدخان والسخام سترتفع الى طبقات الجو العليا نتيجة تلك الحرائق، وسيؤدي ذلك إلى حجب أشعة الشمس عن الأرض بحيث لا يصلها سوى جزء ضئيل مما تستقبله في العادة. وتوقع المؤلفان أن التغير في طقس الكرة الأرضية سيحد من سقوط المطر ويقضي على الزراعة في نصف الكرة الأرضية الشمالي.

في دراسة [illegible] [illegible] حد [illegible] لتقدير التأثيرات للحرب النووية، [illegible] [illegible] واحدة [illegible] [illegible] ٠ [illegible] مليون طن من [illegible]. والشوب [illegible] في [illegible] على هذا الصدام النووي سيولد ٢٢٥ مليون طن من الدخان و٦٠ مليون طن من الغبار [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] [illegible] خلال عدة أيام، ويؤدي إلى حجب أشعة الشمس بحيث لا يستقبل نصف الكرة الأرضية الشمالي أكثر من ٣ من الأشعة التي يستقبلها في العادة. وتبين من الدراسة أن الدخان أشد تأثيرا على أشعة الشمس لأنه يمتصها بينما لا يحجب الغبار سوى جزء من الأشعة. ولهذه الظاهرة تأثير سلبي لأنها تؤدي إلى تسخين طبقات الجو العليا بحيث تسمح للدخان والغبار بالارتفاع أكثر والانتشار فوق مساحات أكبر من الكرة الأرضية وتقلل من فرص سقوط الأمطار.

يؤدي حجب أشعة الشمس إلى انقطاع مورد الحرارة - بل مورد الحياة - الأساسي عن الكرة الأرضية. وتنخفض درجة الحرارة بالانخفاض تدريجيا. وخلال ثلاثة أسابيع من نشوب الحرب النووية - التي لا تستمر بالمناسبة إلا ساعات قليلة - ستنخفض درجة الحرارة ما يتراوح بين ١٠ درجات مئوية في المناطق الساحلية و٢٥ درجة في المناطق الداخلية. ويعود السبب في ذلك إلى أن المخزون



● [illegible] نصف الكرة الشمالي وستقضي على الأشجار والنباتات

الحراري الهائل في المحيطات يعمل على تلطيف الجو في المناطق الساحلية، ويحد من التأثير لاحتجاب الشمس. وتتضح أهمية الانخفاض في درجة الحرارة إذا أخذنا في الاعتبار أن متوسط درجة الحرارة على سطح الكرة الأرضية لا يزيد على ١٣ درجة مئوية وأن العصر الجليدي يأخذ مداه الكامل حين ينخفض هذا المتوسط بمقدار ٣ - ٥ درجات مئوية. وهكذا يجيء الشتاء النووي شديد البرودة فوق نصف الكرة الأرضية الشمالي خلال أسابيع قليلة من حصول الحرب النووية.

أشارت دراسة (تايمس) إلى أخطار بيئية أخرى ستترتب على الحرب النووية مثل سقوط المواد المشعة فوق مساحات شاسعة، وتخريب طبقة الأوزون

تدريجيا بتأثير أكاسيد النيتروجين ، وتركز الغازات السامة الناتجة عن الحرائق في طبقات الجو السفلى قريبا من الأرض.

دراسات أخرى ونتائج مشابهة :

أثارت دراسة (تابس) ردود فعل متباينة ما بين مؤيد ومعارض . وتعرضت الدراسة لبعض الانتقادات على أساس أنها تبالغ في تضخيم حجم الآثار التي ستطرأ على طقس الأرض . غير أن الدراسة أثارت اهتماما واسعا بمسألة الشتاء النووي ، كما حدا بجهات علمية أخرى لتشكيل لجان متخصصة لدراسة المسألة . في ديسمبر ١٩٨٤ . أصدر مجلس البحث الوطني في الولايات المتحدة دراسة حول الموضوع بنيت على أساس أن الصدام النووي سيتضمن تفجير ٦٥٠٠ مليون طن من المتفجرات . ومع أن التقرير لا يورد حجم التغيرات المناخية المترتبة على الصدام النووي إلا أنه أشار إلى أن درجة الحرارة فوق مناطق اليابسة ستنخفض بمقدار ١٠ ـ ٢٥ درجة مئوية وبعد فترة قصيرة في أوائل ١٩٨٥ صدر تقرير حول نفس الموضوع عن الجمعية الملكية الكندية . أشار إلى أن درجة الحرارة ستنخفض في أعقاب الحرب النووية إلى ما دون الصفر في المناطق الداخلية . وفي مارس ١٩٨٥ صدر تقرير عن وزارة الدفاع الأمريكية ذكر أن الدمار الذي سيلحق بالوجود البشري نتيجة لتغيرات المناخية المؤقتة ، حدة ستكون على مستوى الأخطار الأخرى المرتبطة بالحرب النووية.

في سبتمبر ١٩٨٥ صدرت دراسة عن الآثار البيئية للحرب النووية ، قامت بها اللجنة الخاصة لمشاكل البيئة التابعة للمجلس الدولي للاتحادات العلمية . وقد عرفت الدراسة باسم (سكوب) . وضمت اللجنة في عضويتها علماء من ٣٠ بلدا . وافترضت الدراسة استخدام ٦٠٠٠ مليون طن من المواد المتفجرة موزعة على ١٢٠٠٠ رأس نووي . وقد توصلت الدراسة إلى نتائج مشابهة لما ورد في دراسة (تابس) . ففي الأيام القليلة الأولى تغطي الغيوم الدخانية أمريكا الشمالية وأوروبا ومعظم آسيا وتنخفض درجة الحرارة في نصف الكرة الشمالي بمقدار ٢٠ درجة مئوية وأشارت الدراسة إلى إمكانية انتقال الدخان إلى المناطق الاستوائية ، ونضوب ١٠ ـ ٣٠٪ من طبقة الأوزون.

ظهرت متوازية وعقب الدراسات السابقة دراسات أخرى أكدت جميعا على حصول تغيرات مناخية نتيجة الحرب النووية . وإن اختلفت تقديرات حجم التغيرات المرتقبة . لكن من الملاحظ أنه لو قبلنا بأكثر التقديرات تحفظا ، والقائلة بأن درجة الحرارة ستنخفض حوالي ٥ درجات مئوية فقط فإن الزراعة في النصف الشمالي من الكرة الأرضية ستواجه كارثة لمدة واحدة على الأقل وربما أكثر . ومن المعروف أن الزراعة شديدة التأثر بتغير درجة الحرارة وأن أي انخفاض ملحوظ سيقضي على المحاصيل الزراعية في مناطق الإنتاج الرئيسية في أمريكا الشمالية وأوروبا وآسيا . وقد أشارت دراسة (سكوب) إلى أن ٢,٥ بليون شخص ، وهم الناجون من الهلاك في أعقاب الحرب النووية ، سيواجهون المجاعة.

الصورة السابقة تضاف إلى صورة الدمار الشامل التي رأينا بعض نماذجها المأساوية في هيروشيما ونجازاكي والتي ستكون بالتأكيد أشد هولا في أي حرب نووية قادمة . فالمراكز الصناعية والحضرية ستسوى بالأرض ومنظومات الخدمات الاجتماعية ستشل بالكامل ، وستتعطل محطات تزويد الكهرباء والطاقة ، وتحترق مخازن الطعام والغذاء ، وتنقطع سبل المواصلات والاتصالات ، وتختفي الخدمات الطبية.

قيل في السابق أن الحرب النووية لا يخرج منها منتصر بل الكل مهزوم . والآن يبدو أن هذه الحرب لن تخلف وراءها ولا حتى مهزومين . □

٦

قصــة قصـيرة



تأليف : رامز كلمندي ● / ترجمة : الدكتور محمد موفاكو

اليوم قتل إنسان ، وهذا الانسان ماهو إلا أنا . اسمي صادق ، صادق الحمال ، كانوا يدعونني أيضا « أبو بردعة » (●) ، نعم ، كنت أحمل « البردعة » على ظهري . اليوم مت ، وارتحت من حمل « البردعة » .

الجميع يعرفونني ، فالناس يعرفونني وكذلك الشوارع ، كل شوارع المدينة ، وتعرفني أيضا الأكياس والصناديق الكثيرة التي تحتوي على البضائع المختلفة . أنا صادق ، صادق الحمال ، أبو « بردعة » . فكيف لا تعرفونني أنتم ؟

لماذا توقفتم ؟ وما الذي أثاركم لتنظروا إلي بهذه العيون المندهشة ؟

ممن تسألون بعضكم بعضاً ؟ عني ؟ ألم تشاهدوا في حياتكم إنسانا ميتا ؟

نعم أنتم ، أنتم الذين كلفتم الآلاف من أمثالي ، أنتم الذين أزعجتم العالم بضجيجكم ، أنتم الذين كليتم ظهري ، وقتلتموني ، والآن مابكم توقفتم تنظرون إلي ؟ هل تحزنكم رؤيتي ياترى ؟ هاهاها ، لاتدعوني أضحك ، هل أجرب أن أضحك مرة على الأقل ؟ أأضحك بعد موتي ؟ لكن هل يمكن أن يضحك الانسان الميت ؟ ذلك الانسان الذي لم يعرف الضحك طيلة حياته .

إذا أردتم أن تحسنوا إلي فأخرجوني من هذا الوحل الذي سقط فيه نصف جسمي ، فهذا سهل بالنسبة لكم ، لأنكم ترتدون ألبسة جديدة ، وفوقها هذه المعاطف الواقية من المطر ، أما أنا فتي الوحل دون معطف واق من المطر ، إن المطر يسقط علي ، ويشتر

● رامز كلمندي من أهم الأسماء التي برزت في القصة الألبانية بعد الحرب العالمية الثانية . ولد في جنوب يوغسلافيا ويعمل الآن مدرساً في معهد التربية في بريشتينا . يكتب القصة القصيرة والقطعة والرواية ونشر حتى الآن أكثر من عشرة كتب . ومن أهمها : « خطوط وأقدار » ، « حكايات » ، « حرب لحصد الرماح » ، « رسائل من أوائلين » ، « سيمة الشخص بالأحمر للمؤلف » الخ . وتتحدث القصة عن حدث خلال الاحتلال الألماني ليوغسلافيا في أثناء الحرب العالمية الثانية .

(●) البردعة في الأصل للحمار ، ويستخدم الحمالون في جنوب يوغسلافيا شكلا مبسطا منها ، من الجلد المحشي بالقش ، ليساعدهم على حمل الأمتعة .



البرد في جسمي. ما بكم تنظرون إليّ كالمجانين؟! إن هذا الجسم الذي اعتاد على البرد في حياته سيعتاد عليه أيضا في مماته. المحبوس من عند الذي ترونه بشكل أفضل. نعم. هكذا الآن أصبحت في وضع أفضل. هنا لن يصيبني المطر. كما أني قد تخلصت من الوحل. إن الخيم يجرح عظامي. لكن هذا ليس مهما. شكرا لكم. إنكم لطفاء فعلا. أرجو أن تتركوني مع «البردعة». أريد أن تبقى معي متسامحين. لماذا؟ لقد قضيت كل حياتي معها. لقد حملت عليها كثيرا كثيرا، حتى صناديق العتاد وأجهزة الأسلحة التي سرقت منكم في حربكم هذه.

فماذا تتصورون الآن من يستخدمكم؟ فماذا أنتم هنا؟ ماذا تتصورون في حالة استعداد؟ تخشون من يرفع أيديكم؟ أو، ساعتكم. كنت أصدق أن هذه، الشرطة، مني. ماذا يسألكم؟ كيف مات؟ أخبروه. وماذا يسألكم الآن؟ ماذا تقدم له؟ هل مهنتكم جيدا ياترى؟ ألا تعرفون كيف تخبرونه من أنا؟ أنا صادق. صادق الحمال. أبو «بردعة». من أين أتى؟ هذا ليس مهما. كان لي أب وأم في طفولتي، وقصته طفلتهن. لا. لا أحدثكم الآن بالذات. لقد قتلتهم المدافع في الحرب العالمية الأولى. وكان الناس هنا يسمونها أيامها كذا. وبعد إيصالي وتركوني وحدي في الطريق العام. وبعد ذلك تحدر حدث. وربّي لي بنته. لا أعرف عن نفسي شيئا سوى أن اسمي صادق. ولا أعرف شيئا أكثر من ذلك.

بدأت في العمل منذ أن بلغت الثانية عشرة. حملت كل ما تحمله جسمي الطري في تلك السنين. وكنت مضطرا للعمل لأرى لقمة العيش. وحين بلغت العشرين أصبحت أعمل في الحمل فقط. وفي كل صباح ومساء كنت أذهب إلى محطة القطار. وفي كل يوم ثلاثاء، وعندما يجيء يوم السوق الأسبوعي كنت أبحث عن العمل هناك. وبعد الظهر كنت أذهب إلى محطة الشاحنات في بقية الأوقات. وكنت أبحث عن عمل في كل الشوارع. وكنت أتواجد في أي مكان يفترض وجود حمال فيه. كنت أقضي النهار في العمل، وأنام في الحدائق ليلا. وخلال فصل الشتاء كنت أنام في أروقة الجوامع.

عملت على هذا النحو ثلاثين عاما، ولهذا أبدو الآن أكبر من عمري بعشرين سنة. نعم. لقد تجاوزت الأربعين، لكن وطأة الحياة أضافت إلى عمري عشرين سنة أخرى. لحظة من فضلكم. ألا تريدون أن تعرفوا قصتي؟

منذ البداية عملت مع هذه «البردعة». هذه التي ترونها أمامي. لقد كانت معي دائما في الليل والنهار. كنت أعمل بها. وفي الليل كنت أنام عليها. نعم. في النهار كنت أفرشها، وأنام عليها. ومنذ عدة سنوات أصبح اسمي صادقا الحمال، وأخيرا «أبو بردعة».

كانت تمر علي أيام لا أتمكن فيها حتى من تأمين لقمة الخبز. كنت أخرج إلى المحطة أنتظر القطار الأول. ثم القطار الثاني. وكنت أتنقل بسرعة من عربة إلى أخرى. متوجها إلى الركاب بتوسل.

- حمال. حمال.

وكان ذلك دون جدوى. فقد كان الركاب لا يهتمون حتى بالالتفات إليّ. بل كانوا يتابعون سيرهم إلى حيث يقصدون. بعضهم كان يركب عربة في انتظاره. بينما كان بعضهم الآخر يسرع حاملا حقائبه بيديه.

كان الركاب يهبطون من العربات. وأنا أتنقل من عربة إلى أخرى. حتى أصل إلى العربة الأخيرة وأتجاوزها.

- حمال. حمال. حمال ياسيد. هل أحمل عنكم هذه الحقائب ياسيد. هل تحتاجون من سيادتكم هذه الحقائب؟

حمال ياسيد. حمال!

بعض الناس كان يلتفت إليّ فقط، بينما كان

بعضهم يحييني . ولنا حال مثلك .

بعضهم كان لا يكلف نفسه حتى بالالتفات إلي .
وكنت أخرج وراء الركاب في اتجاه المدينة . كان لابد لي أن أؤمن لقمة الخبز

وفي يوم السوق الأسبوعي كنت هناك دائما .
وكنت إذا لمحت شخصين يتساومان أمام كيس ذرة أو قمح أسرعت إليهما قائلا

- عسى أن يطعم الله عافيه الخير . هل اتفقتما على السعر ؟

وبعد هذا كنت أقول فورا

- إن شاء الله بالهناء والعافية يا أخي ! لقد وفقت له جيدا ! هل أحمله لك إلى منزلك ؟

ومن الحين كنت أحمل الكيس على البردعة ، فوق ظهري إلى بيته ، أو إلى المطحنة . وكانوا يكافئونني كما لو كانوا يتصدقون علي . وبعد هذا كنت أعود بسرعة إلى السوق . ومرة أخرى أنادي

- حمال . حمال !

كنت أمضي أحيانا ليلا في تمشيط الساحات في المحطة وأرصفتها . لم أعد إنسانا . بل تحولت إلى حيوان ناطق . حينذاك تغيرت حياتي تماما . وبدأت أفكر بشكل مختلف . بدأت أميز بشكل أفضل بين أولئك الذين يستجدون عطفي من التجار والأغنياء . وتعاقبت الأيام إلى أن حتم قدره أخيرا . فأصبح الوضع في زمنكم أسوأ بكثير . وأحسست كما لو أن أحاديثكم قد شلت تفسر هذا كله . حتى وجاء معكم اليأس والعبودية . وخاصة للفقراء من أمثالي . هل تسمعونني ؟ لقد تغير صادق أبو بردعة . لقد مت أنا الذي تتطلعون إليه الآن بحفر عدد من قبوركم . حيث ستلاقون مصيركم عما قريب . فالأرض تهتز تحت أقدامكم . فهذه البلاد سوف تتحرر . وأنا سأتحرر . وجميع الناس من أمثالي أيضا . أعرف أنه لن يكون بعد اليوم ازدراء ولا احتقار ولا اضطهاد . فقد ولى عهد هذه الأمور . هل تعرفون هذا ؟

يكفي ما حملت لكم من صناديق . يكفي . طيبا يكفي . ماذا تفكرون ؟ أتريدون أن أحمل صناديقكم لتستخدموها ضد إخواني ؟"

لماذا تغطون رأسي بهذا الكيس ؟ هل مللت من رائحته . ومن سماع صادق الحمال ؟ اتركوني لحظة فقط لأكمل قصتي

كنت قد خرجت هذا المساء أيضا لأحمل الصناديق . وكان الظلام قد غطى الأرض حين سمعت هدير الشاحنة الكبيرة . فهرعت بسرعة . وتوقفت الشاحنة أمام إحدى عربات القطار . وبعدها جاءت عدة شاحنات أخرى . ووقفت أمام العربة المفتوحة بانتظار تفريغها .

ونزل من الشاحنة عدد كبير من الأشخاص باللباس العسكري وبالمعاطف الواقية من المطر . وحين لمحوني قالوا شيئا في لغتهم . ولم أفهم مقالهم . إلى أن أشاروا إلي بأيديهم . ولم أرغب بهذا العمل . ولكنني لم أتحرك من مكاني

وحينئذ سحب أحدهم مسدسه . وشهره في وجهي . فاضطررت أن أقوم بما أراد . وحملت صندوقين أو ثلاثة . وانشغلت بالرابع والخامس في الظلام . وقلت لنفسي هذه ستكون للكفاح ضدكم

وابتعدت الشاحنات . وذهبت أنا إلى صناديقي . وانتظرت قليلا . ووضعتها على ظهري . وسرت في الظلام . ولا أعرف ماذا حدث بعد ذلك . لقد انطلقت ورائي طلقات بندقية . فسقطت مع صناديقي على التراب

ثم جئتم . ورأيتموني . وها أنا قد رويت لكم كل شيء . هل تدرون الآن ما حدث ؟

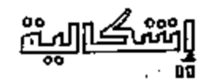
لكن لماذا أروي لكم ذلك ؟ إنكم تعرفون جيدا أن هذه البلاد قد انتفضت ضدكم . لقد انتفض ضدكم الصغير والكبير . إنكم تعرفون هذا . ولذلك لست حزينا لأنني قد مت .

أنا صادق الحمال ، أبو بردعة . ☐





بقلم : فهمي هويدي



«الآخر» في التفكير الإسلامي!

لا يملك الباحث في أمر الواقع الإسلامي، عبر غالب مراحل تاريخه، إلا أن يشعر بأن «الآخر» لم يكن مشكلة كبيرة، وأحيانا مستعصية القبول والحل، من حيث أن العقل الإسلامي في تلك المراحل كان يتسع لهذا الآخر، ويبدي استعدادا كافيا لاحتماله والتعايش معه. وهو شعور ربما كان للتغيير والاستقرار فيه دور أكبر من التعرج والاختبار.

ولما كان الفقه مرآة عاكسة لظروف الزمان والمكان، فقد أسهم في التعبير عن ذلك الموقف وتطوره، الأمر الذي يعطينا بأن نجري شوطا من الحوار لتحديد مصادر ومظاهر تلك الصورة، وأن نستجلي موقف الشريعة منه، ممثلة في القرآن والسنة، وعلينا بعد ذلك أن نسعى جاهدين إلى صياغة علاقة مع الآخر، أكثر أمانة في التعبير عن نصوص الشريعة ومقصودها، وأكثر استجابة لحقائق العصر في الخطاب الإنساني والسياسي

صور ثلاث

الآخر الذي يتجه إليه هذا الحديث له صور ثلاث: آخر يعيش خارج ديار الإسلام، وآخر يعيش في ظل الدولة الإسلامية ولكنه ينتمي إلى دين مغاير، وآخر يقف على أرضية الإسلام ولكنه ينحاز إلى رأي مخالف.

وإذا حاولنا أن نستقصي العناصر التي أسهمت في صنع «إشكالية الآخر» في التفكير الإسلامي، فسوف نجد أن بعضها يرجع إلى التاريخ، وبعضها يعود إلى الموروث من العادات والتقاليد، وبعضها مصدره التباس في فهم النصوص الشرعية.

وزعمي أن تجارب التاريخ كان لها دورها الأكبر في صنع هذه الإشكالية. فالدين السماوي الذي جاء خاتمة لأديان السماء، ومصدقا للسابقين من الأنبياء والرسل والكتب، لم يواجه في البداية باعتراض وصد من جانب المشركين وحدهم، في قريش وشبه

الجزيرة العربية ، ولكنه ووجه برفض وعداء مماثلين من جانب أصحاب المصالح بين أتباع الديانتين السابقتين ، اليهودية والمسيحية . ولما أصبح لدعوة الاسلام الجديدة دولة ناهضة ، فانها ووجهت بصراع طال أجله وعداء لم يتوقف ، من جانب القوتين الأعظم في الزمن القديم ، الروم والفرس .

وإذ نجح المسلمون في القضاء على التحدي الفارسي في عصر الراشدين . والوصول بمعالم الاسلام الى بلاد ماوراء النهر في العصر الاموي ، الا أن الانتصار لم يتحقق بالقدر ذاته في مواجهة الروم . فهزيمتهم المبكرة في الشام أيام أبي بكر الصديق ، وسقوط عاصمتهم القسطنطينية في العصر العثماني . لم ينهيا عداء العالم المسيحي ، وكان ذلك العالم قد تحول الى الهجوم بالحروب الصليبية ، واقتنص عصور انكسار العالم الاسلامي التي تلاحقت مع ترهل الدولة العثمانية حتى أصبح الواقع الاسلامي في نهاية المطاف يعيش في ظلال الحضارة المسيحية الغربية ، التي لم تخمد نزعاتها الصليبية الى الآن .

ولقد كان موقف الاسلام الأصيل المقر للديانتين السابقتين عليه عنصرا أساسيا في الحفاظ على كيانات المسيحيين واليهود واستمرارها داخل المجتمع الاسلامي ، كما دفع الآخر ـ الخارجي ـ الى محاولة استثمار هذا الموقف لصالحه بصفة دائمة فتجح حينا وفشل في حين آخر ، كما كان سببا متصلا لأحداث التوتر بين الطرف الاسلامي والطرف غير الاسلامي في الدولة الواحدة

مشهور موقف يهود خيبر وبني قينقاع من النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو موقف التآمر والسعي دائما ، الساعي الى الوقيعة والفتنة بكل السبل ومعروف موقف نصارى الروم من الكيد لرسول الله ، ومساندتهم للمنافقين الذين أقاموا مسجد الضرار الذي احرقه النبي . ثم مواجهتهم العسكرية له في السنة الثامنة من الهجرة ، مرة في « مؤتة » ومرة في « تبوك » وتحريضهم نصارى العرب من الغساسنة على القتال ضد النبي في الموقعين .

منذ ذلك التاريخ المبكر ومحاولات الروم مستمرة لاختراق الواقع الاسلامي ، باستخدام غير المسلمين فيه ، أو لتوجيه الضربات الى ديار الاسلام بالمواجهة العسكرية الصريحة ، التي تعددت حلقاتها وتواصلت ، منذ العصر الاسلامي الاول . وحتى العصر الحديث حين زحفت جيوش الغرب وقامت باحتلال دول العالم الاسلامي في القرن الثامن عشر ، من اندونيسيا الى المغرب .

وفي أدبيات الروم المبكرة ، فان المسلمين اعتبروا « كفارا » ومنذ حوالي تسعة قرون ، أعلنها البابا اوربان الثاني صراحة عندما دعا في جلسة المجمع الديني بكليرمونت (سنة ١٠٩٥ م) الى انقاذ المسيحيين وبيت المقدس من براثن المسلمين الكفرة

دار الاسلام ودار الحرب

هذا الموقف العدائي في جملته ، كان طبيعيا أن يتعامل معه الفقه الاسلامي بمعاييره الواضحة للعيان والتي فرضتها ظروفها التاريخية . وكان مبررا أن يتحدث الفقهاء عن دار الاسلام ودار الحرب ، لأن الآخر الاجنبي كان محاربا ومعاديا على الدوام . وكان مبررا أيضا أن يتحدث المسلمون عن دار الكفر .

ولئن فرق المسلمون مبكرا بين المشركين عبدة الأوثان ، وبين أصحاب الديانات السماوية الاخرى ، واعتبروا الاولين كفارا والاخرين أهل كتاب . فلا ريب أن الاثنين معا في المربع المعادي للاسلام والمسلمين ، رغم الأيدي الاسلامية الممدودة الى أهل الكتاب . هذا الموقف دعا فقهاء المسلمين في تلك الأزمنة الى اعتبار الجميع ، أيضا ، أهل كفر .

في تلك الأزمنة ، قسم فقهاء المسلمين العالم بناء على موقفه المحارب من دين الله ، والتي شاعت التفرقة

بين دار الإسلام ودار الحرب . إلا أن الشافعية أضافوا دار العهد التي تصالح أهلها مع المسلمين دون حرب ، على شيء يؤدونه بحسب ، خراجا . ويعد الفقهاء بين الفئتين ، أهل الكتاب الذين يعيشون في دار الإسلام وكانوا يدفعون الجزية ، وبين المستأمنين ، وهم أهل دار الحرب الذين يطلبون الأمان ، ويفدون على دار الإسلام ، ويوضع الاثنان في مربع واحد.

لقد كان الآخر الخارجي محاربا وكان الآخر الداخلي من غير المسلمين موضع شك فالتحق به ، واستمرت هذه الصبغة تطغى لوصف . ولم يرد في معظم صفحات الفقه الحديث عن الآخر ، الأجنبي ، غير محارب ، أو غير معاهد . وإنما هناك آخر حق أو عضو في الأسرة الدولية يتبادل مع غيره الحقوق والواجبات ويخضع لسيادة الغير ، عضو في دولة يسيطر عليها.

ومن ثم لم نعثر على باب لفقهاء السلف ، أن يكون الآخر ، غير المسلم في الدولة الإسلامية شريكا في الوطن . وليس لأنه يدين بدين المسلمين . أو يكون هذا الآخر ، المواطن منفصلا عن المحارب ، ويرتبط نهائيا بوطنه الذي يعيش فيه وليس بالآخر الأجنبي.

ويعطي كتاب ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، نموذجا يبرز الفكرة التي نحاول عرضها ومناقشتها ، حيث يكون للتاريخ دوره الأساسي في صناعة الفقه ، وتشكيل العلاقة مع الآخر بناء على عناصر ذلك الظرف التاريخي . فعندما كتب ابن القيم مؤلفه في القرن الثامن الهجري ، كان شبح الحروب الصليبية لا يزال ماثلا في الأذهان ، وكانت الخيول المغول في قلب العالم الإسلامي يتناقلها الناس كأنها كابوس جثم على صدر الأمة ، وأشاع الرعب في نفوسها . وكانت المذابح التي اقترفها هؤلاء وهؤلاء محفورة في ذاكرة المسلمين . إلى جانب ذلك ، لقد كان ابن القيم مدركا للمدى الذي بلغه الصليبيون والمغول في الاستعانة ببعض نصارى الشرق ، وخاصة السريان والأرمن والنساطرة.

هذه الخلفية إذا دفعت ابن القيم إلى اتخاذ موقف لا يخلو من تشدد ويتجاوز في بعض الأحيان تجاه غير المسلمين ، فذهب إلى اعتبار الجزية بحساب الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالا وصغارا.

وقال إن أصلها مشتق من الجزاء ، إما جزاء على كفرهم لأخذها منهم صغارا ، أو جزاء على أماننا لهم لأخذها منهم رفقا (ص ١ - ص ٢٣) وعارض في ذلك الرأي الراجح بين الفقهاء الذي يرى الجزية بدلا شخصيا عن أداء واجب الدفاع عن الوطن ، وتنفي . ولا يرى أن الصغار المذكور في الآية القرآنية هي ... ولكن ... الرأي الفقهي الراجح ... الإسلام لكرامة الإنسان ... الالتزام بسلطان الدولة . خاصة وأن الكلمة مذكورة في سياق موقف ... مسلح . هزم فيه المحاربون المسلمين فاستحقت عليهم الجزية.

على الجملة فإن ابن القيم يتعامل مع غير المسلمين بحنق وسخط شديدين . ويتأثر بواضح في تصويره إياهم هم في هزيمة المسلمين ... وشكه في ولاء هؤلاء فكان شديد الوضوح . فيعتبر أن تقدم هم أداة حربية في يد ... وصنة ... تطلق سهام الحقد والكراهية . دعا إلى تمييزهم ... حيث تميز ... عن غيرهم ، وتحديد احتفالاتهم ونشاطاتهم ... وهكذا.

وإذا تنبه أن يحمد ابن القيم ذلك الموقف الذي أنكره عليه المعروف من الفقهاء اللاحقين ، إلا أن ما لا نفهمه حقا أن يعتمد البعض اجتهادات ابن القيم ويرى فيها صلاحية للاستمرار . وبدلا من أن يقرأ اجتهاده في ضوء ملابسات عصره ، ويعتبره غيره على نحو آخر ، بعد ما زالت الملابسات وتغير العصر ، فإن بعض اللاحقين مضوا على طريق التقليد ، وتبنوا

[illegible] من الغيبة [illegible] أو مبرر ، فتساءلوا [illegible] وهم صالحون .

ونحن نجد امتدادا لهذا الموقف بين الفقه والنص مع [illegible] في تفسير الأستاذ سيد قطب للقرآن الكريم ، « في ظلال القرآن » جـ ٢ ص ٩٠٦ و جـ ٣ ص ١٦٢٠ . ونرى موقفا كذلك في كتب سعيد حوى وتنظيم دعوة الإخوان ، الذي يدعو فيه إلى [illegible] على غير المسلمين (ص ٣٤٦) في حين نقرأ في كتابات أخرى دعوة إلى [illegible] المساواة بين غير المسلمين والمسلمين ، وضرورة انتصار الأولين داخل دولة الإسلام وعقيدته [illegible] المعاصرة [illegible] ص ٩٦) وهكذا .

[illegible] يتحدثون عن الحرية أو [illegible] وعن [illegible] عصر [illegible] .

[illegible] عصر الحرية [illegible] وعن [illegible] الأمر من الحرية والمشاركة في الحكم [illegible] .

[illegible] الغالب بين المفاهيم المعاصرين [illegible] فكرة الحرية ودعا إلى المساواة بين المسلمين وغيرهم ، [illegible] عن [illegible] الالتزام الديني [illegible] ، ولكنه فقط يدل على استمرار الإشكالية التي نحن بصددها في مدارس الفكر الإسلامي المعاصر .

شيء من هذا نجده في كتابات مولانا أبي الأعلى المودودي ، فهو يقرر بأن القانون الإسلامي يقسم رعاياه من غير المسلمين إلى ثلاثة أصناف : الذين يدخلون في كنف الدولة الإسلامية بعقد صلح أو معاهدة ، والمغلوبون بعد هزيمة في الحرب ، أي الذين فتحت بلادهم عنوة ، والذين ينضمون إلى الدولة الإسلامية عن طريق الفتح والحرب . ويشرح في كتابه « نظرية الإسلام وهديه » في الفصل الخاص بحقوق أهل الذمة ، وضع كل من هذه المجموعات الثلاث ، وحقوقها في الدولة الإسلامية (ص ٣٢٩ وما بعدها) .

[illegible] الأستاذ المودودي أن [illegible] عصر غير عصرنا ، وعن عصر [illegible] تجربة تاريخية [illegible] لها وجود [illegible] الأساسي هو أنه حدد موقفه من الآخر في زمانه ، [illegible] عصور الإسلام الأولى ، [illegible] كانت الدولة الإسلامية هي [illegible] . أو عندما كانت العلاقات الدولية قائمة على أساس فكرة الغالب والمغلوب ، [illegible] في الحرب أو المهزوم .

مشكلة الآخر الإسلامي ، [illegible] الموقف على أرضية الإسلام [illegible] عناصر [illegible] ، وفي [illegible] صوت الشيخ محمد الغزالي [illegible] العروبة [illegible] كان [illegible] رأي واحد ، [illegible] أن يكون هناك آخر [illegible] لعصبية العرق والنسب دورها في تحديد الفكاك [illegible] والاجتماعية [illegible] قريش كانت هناك سادة [illegible] وحلفائهم ، وفي جزيرة [illegible] لقريش وجمعها [illegible] حتى في [illegible] حقوقها في [illegible] والقبيلة [illegible] . وفي المجتمع الإسلامي [illegible] ، كان هناك العرب والموالي .

وفي بعض مدارس الفكر الإسلامي المعاصر من نادى برفض الأحزاب السياسية وإنكار فكرة المعارضة واعتبارها شائعة استخدام عنوان « حزب الله » الذي يرد في السياق القرآني وحتى بمفهوم الحزب المتداول في الخطاب السياسي الحديث .

دور التاريخ

ونحن نجد تأييدا لدعوة غلو الحياة السياسية الإسلامية من الأحزاب في المدونات التقليدية بجماعة الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية في باكستان

وان طرأ بعض التعديل على هذا الموقف مؤخرا ، حين قبلت الجماعتان - موقتا - بالمشاركة في الحياة السياسية في ظل التعددية الحزبية . وربما كان ذلك الموقف التقليدي هو السبب في أن أيا من الجماعتين ترفض أن تسمي نفسها حزبا منذ نشأة الاخوان سنة ١٩٢٨ ، ونشأة الجماعة الاسلامية في الهند سنة ١٩٤١ .

ورغم ان كلا من الجبهة الاسلامية في السودان وحزب التحرير الاسلامي في الاردن والشام وفلسطين يؤيد التعددية الحزبية ، الا اننا نرى في ادبيات جماعة الجهاد المصرية ادعاء منظريها ان « تعدد الاحزاب يختلف مع الاسلام اختلافا جذريا » - (من دراسة غير منشورة بعنوان أزمة النظام السياسي المصري) - بينما يعتبر مؤلف (فقه الجاهلية المعاصرة) ان النظام الحزبي هو من مظاهر « الجاهلية » - (ص ١٨٢) .

هنا أيضا نحسب أن التاريخ لعب دوره المؤثر والحاكم ، لمنة احداث الفتنة التي كانت بدايتها مقتل الخليفة الرابع عثمان بن عفان من قبل « المعارضين » ، ومنذ تعاظم الصراع بين الامام علي بن ابي طالب ومعاوية بن أبي سفيان - ثم ظهور الخوارج بعد ذلك . . منذ ذلك الحين الذي بدت فيه الدولة الاسلامية مهددة بالانهيار ، والذي سالت فيه دماء المسلمين ، توجس الوعي الاسلامي شرا من المعارضة . واتجه فكر أهل السنة بوجه خاص الى ضرورة الالتفاف حول النظام السياسي القائم والحفاظ على سلطان الدولة ، التي كانت قيامة الدين من قيامتها . وشاعت مقولة ابن عبد ربه ، صاحب « العقد الفريد » انه « اذا كان الامام عادلا فله الأجر وعليك الشكر ، واذا كان الامام جائرا فعليه الوزر وعليك الصبر » .

ورغم تغير الظرف وزوال الفتنة وثبات الاسلام وذيوعه ، فقد ظلت المعارضة في الوعي الاسلامي مقترنة بالفتنة ، وحسبها البعض بابا للشر واجب الاجتناب والصد .

اين موقف الاسلام من ذلك كله ؟

يحتاج الامر الى تفصيل وحديث مطول ◻



في الكتاب العربي

في استفتاء أجرته مجلة الأديب اللبنانية في مايو عام ١٩٥٤ عن منافسة الصحافة المصورة والسينما والاذاعة للكتاب العربي منافسة حادة .

يقول الدكتور محمد مهدي البصير لاشك أن الصحافة المصورة والاذاعة والسينما تنافس الكتاب العربي منافسة حادة . ولكن يخيل إلي أنها لا تشكل خطرا مهما على مستقبله ، كما أنها لا تشكل مثل هذا الخطر على غيره من الكتب الجيدة ، ولكن الكتاب العربي عليه أن يشعر بالخطر الداهم ، فيعد للأمر عدته ، ويتجهز بكل ما من شأنه أن يكفل له البقاء . من جودة في المادة ، وجمال في العرض ، وإتقان . وعندي أن الكتاب العربي سيعيش إلى جانب الصحافة والاذاعة والسينما ، ولكنه سيحتفظ أو سيزداد انحطاطا على مر الأيام بسبب مماشاته الأهواء . وتملقه الجماهير ، سعيا وراء الرواج والرغبة في الاستثمار .

المجهود العربي

بقلم : الدكتور أسامة الخالدي

حقق البحث العلمي العربي مؤخراً انجازات لاشك فيها . وبرزت بعض البلدان العربية لتنافس عدونا الرئيسي « اسرائيل » في هذا المجال . لكن مجمل البحث العلمي العربي مازال يعاني من صعوبات ، ليست كلها فنية . فما هي الانجازات العربية في هذا الميدان الحضاري المهم ، وما هي معوقاته ؟

ينقسم المجهود العلمي التقني - عادة - الى أربع مراحل . ومع وضع تحفظات حول هذا التقسيم يمكن تعريف هذه المراحل كمايلي :

١ - البحث العلمي الأساسي :

وهو البحث الذي لا تقصد منه فائدة اقتصادية مباشرة ، انه المجهود الذي يقوم به الباحثون في محاولة لفهم الظواهر الطبيعية والاجتماعية ، واستكشاف اسرارها . وهو ماتسميه الاكتشاف او « العلم من اجل العلم » . تقود هذه المرحلة - عادة - الى منشورة علمية في مجلة محكمة تحتوي على معلومات كافية ، بحيث يتمكن زملاء الباحث من تأكيد الاكتشاف او نفيه . ويعتمد القبول العالمي لهذا الاكتشاف على رأي هؤلاء الزملاء ، والاهمية التي يولونها له ، ويظهر ذلك من الرجوع الى هذه المنشورة في منشوراتهم ، ومن ادخالها في المراجعات العلمية

٢ - البحث العلمي التطبيقي :

وهو البحث الذي يقصد منه التوصل الى منتج جديد ، او تحسينه ، وهو ما يمكن ان نسميه الاختراع والمفترض ان يكون القصد من ورائه الربح الاقتصادي او خدمة المجتمع ويتبع بعد صدور براءة اختراع مسجلة ، او ما يوازيها ، كتقرير او مقالة ، او قد يحافظ على سريته الى ان يتطور في مرحلة لاحقة .

٣ - التطوير :

وهي المرحلة التي تجري فيها دراسة الجدوى الاقتصادية للمنتج ، كما تجري فيها دراسة طرق الانتاج العملية ، وادخال التحسينات على

الاختراع . وفي هذه المرحلة تتداخل العوامل الاقتصادية والاجتماعية مع النواحي العلمية . وفي نهاية هذه المرحلة يجب ايجاد نموذج لعمل عملي . قد يخضع لبراءة اختراع او عدة براءات

٤ - الانتاج :

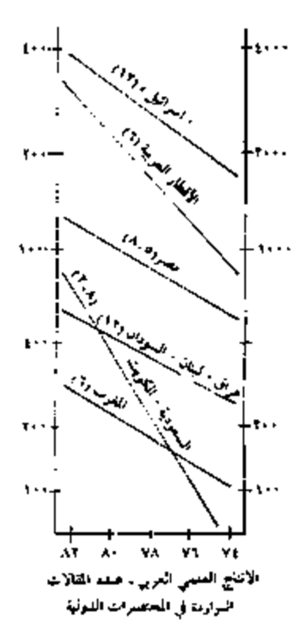
تسيطر عليه العوامل الاقتصادية ، من تمويل وتسويق وبناء وسياسة دولة . وهو مايقود الى صنعة اقتصادية فعلية . ومنه ترجع الأموال التي صرفت على المراحل الثلاث الأولى

ان جميع هذه المراحل متداخلة . واي تقسيم لها هو تقسيم مصطنع . وكثيرا ما نسمي المرحلتين الأولى والثانية بمرحلتي البحث . او تسمى المراحل الثلاث الأولى مراحل البحث والتطوير (R AND D) . كذلك تتميز هذه المراحل في ان المرحلة الأولى والرابعة هما مرحلتان علنيتان . بينما تلف السرية كثيرا ما يحصل في الثانية والثالثة . ولذلك فمن الصعب جدا قياس كمية الجهد او نوعيته في هاتين المرحلتين . ببراءات الاختراع المعلنة لا تؤلف الا القليل من نتائج هاتين المرحلتين.

وسنركز بحثنا على المرحلة الأولى . فالمرحلة الرابعة معلنة من قبل وزارات الزراعة والصناعة والصحة والاقتصاد والتنمية في البلدان المختلفة . والمجهود العربي العلمي فيها ضئيل . وهي تعتمد غالبا على التقنيات والبراءات المستوردة

البحث العلمي الأساسي :

إن الجهد المعلن وراء النشر العلمي - منتج المرحلة الأولى الأساسي - هو ايصال نتائج البحث الى المجتمع العلمي العالمي الواحد . ولذلك فان النشر يتم عادة في مجلات علمية متخصصة . تدخل في المختصرات الدولية . ونصل بواسطتها الى الزملاء المهتمين في هذا الموضوع العلمي الدقيق . فيتمكنون من تقييم هذه النتائج ، ومن الحكم عليها ، كما يتمكنون من البناء عليها ، مما يقود الى تقدم العلم .



الانتاج العلمي العربي - عدد المقالات الواردة في المختصرات الدولية

وهذا لا يعني ان الدافع الشخصي للعالم وراء النشر - دوما . او غالبا - خدمة العلم الشريف ، فهو في الغالب يتم بدافع محاولة العالم الناشر الحصول على اعتراف المجتمع ، او زملائه بالسبق . كما يقوده الى الترقيات او الحوافز او مجرد الاعتزاز الشخصي بالمنجزات .

يقاس المجهود العلمي الاساسي في بلد ما بعدد المنشورات العلمية التي تصدر عن ذلك البلد في المجلات العالمية التي تدخل في المختصرات المتخصصة ، وبنوك المعلومات الدولية . وقد لاحظ كثيرون ممن درسوا هذا التطور العلمي ان عدد

المنشورات العلمية عالميا يتضاعف في كل عقد بين من السنين . وهذا هو المنوال الذي تسير عليه منذ أكثر من مائة سنة . لكن لا يمكن ان يستمر هذا التضاعف الى مالا نهاية . خاصة ان مدة التضاعف الحالي تقرب من عشر سنوات . ولابد ان تصل الى وقت تتوقف فيه هذه الزيادة

لكن حتى يصل [illegible] ذلك الوقت يمكن وضع رسم بياني للتقدم العلمي الأساسي . برسم عدد المنشورات في السنين المختلفة على شكل شبه لوغارتمي . . بحيث تظهر كخط مستقيم يمكن منه قراءة اعدادها . كما يمكن قياس مدة التضاعف وكلما نقصت مدة التضاعف كان التقدم العلمي يسير بتسارع أعظم

قام الدكتور انطوان زحلان برصد المجهود العلمي العربي خلال العقدين الماضيين . وتمثل كتبه ومقالاته بما تحتويه من ارقام واحصائيات المرجع الاساسي لدراسة هذا التطور . واعتمادا على الأرقام التي نشرها د زحلان يظهر ان اعداد المنشورات العلمية العربية ذات المختصرات الدولية تتضاعف كل ست سنوات تقريبا . وهذه نسبة معتبرة حقا . وتفوق التسارع العالمي . كما ان الفجوة العلمية بين العرب و[illegible] قد قاربت على الاختفاء بالنسبة الى عدد المنشورات

ويبرز من خلال هذه الأرقام تطور تقني شهدته المملكة العربية السعودية والكويت في العقدين الأخيرين . ففي واحد السبعينات كان الانتاج العلمي لهذين البلدين [illegible] . [illegible] يلعب دور معتبر . و[illegible] مدة ثلاث سنوات . [illegible] السعودية والكويت سوف تخرجان من دائرة العالم الثالث قبل نهاية هذا القرن . بل وتتفوقان وتتجاوزان [illegible] . في الانتاج العلمي الأساسي [illegible] ان جزءا لا يستهان به من الانتاج العلمي في الكويت والسعودية [illegible] في هذه الدول . لكن حسب ظاهر الفوائد فخرا انها وفرنا المناخ المناسب لهؤلاء العلماء ليعملوا فيها وينتجوا هذا الانتاج الخصب بالاضافة الى هذا التسارع الملحل فان حجم الانتاج العلمي الكويتي والسعودي قد تفوق في السنين الاخيرة على النتاج العديد من دول العالم الثالث الكبرى

مجمل الانتاج العلمي الأساسي

يعترض كثيرون في العالم الثالث على استعمال المختصرات الدولية وبنوك المعلومات لقياس الانتاج العلمي لبلدانهم . واعتراضهم قائم على ان الكثرية للمجلات العلمية الصادرة من دول العالم الثالث لا تدخل في المختصرات وبنوك المعلومات الدولية .

وان كثيرا من النتاج علماء العالم الثالث ينشر في هذه المجلات المحلية . وتتراوح الأسباب المذكورة لعدم ادخال مجلات العالم الثالث في المختصرات الدولية بين ضعف هذه المجلات وعدم استمرارها من جهة . وبسبب [illegible] العالم الثالث والسياسة التي تحكم علاقة العالم الثالث بالعالم المتقدم من جهة اخرى . ومهما يكن الأمر فان جزءا مهما من الانتاج العلمي العربي الأساسي [illegible] . [illegible] [illegible]

[illegible] مدونة تقصي [illegible] منشورات الصادرة عن [illegible] التي لا [illegible] في بنوك معلومات [illegible] العربي . [illegible] عربي . [illegible] . ونقصي [illegible] علمية . [illegible] في [illegible] شاملا مختصرات عالمية ومجلات علمية . وقد [illegible] هؤلاء العلماء [illegible] في

والاختصاصات المختلفة في قطاعات العلم العربي .
وقد تبين ان هذه العينة من العلماء العرب قد نشرت حوالي ٦٠ مقالة في مجلات علمية ، مقابل كل مائة في مجلات عالمية تدخل في بنوك للمعلومات ، فاذا اعتبرنا ان هذه العينة قريبة من تمثيل مجموع العلماء العرب فان مجموع ما ينشره العلماء العرب يزيد بحوالي ستين بالمائة عما هو موثق في بنوك المعلومات .

المجاعة العلمية :

يمكن تقدير عدد الباحثين العرب حاليا بما يقارب الاربعون الفا ، وسواء اعتبرنا انتاجهم المنشور اربعة آلاف او ستة الاف وخمسمائة مقالة علمية في السنة فان هذه الانتاجية منخفضة جدا ، واقل بعشرة اضعاف من انتاجية العلماء العالمية .

ان اول الاسباب التي يمكن ان نفسر بها هذه الانتاجية المنخفضة هي الاسباب المالية ، فنحن نصرف اقل من ٠٫٢٪ من دخلنا القومي على البحث والتطوير ، بينما تصرف الدول المتقدمة ستة او سبعة اضعاف هذه النسبة ، وحتى دول افريقيا وامريكا اللاتينية تصرف نسبا اكبر على البحث العلمي .

واذا حسبنا المبالغ التي نصرفها على كل باحث عربي يتضح لنا اننا نحتل اخر الارض قاطبة على علمائنا ، فبينما تصرف امريكا الشمالية ٧٦ الف دولار لكل عالم ، وتصرف اوروبا ٧٥ الفاً وآسيا ٤٥ الفاً وافريقيا ٥١ الفاً تصرف الاقطار العربية ٣٠ الفاً فقط .

قد لايكون من الممكن اجراء ابحاث علمية بمصروف أقل من مصروف الاقطار العربية فان احداً غيرنا لم يتمكن من ذلك وهذا قد يعني ان حتى الزجاجة في الانتاج العلمي هو في المصروف على هذا الانتاج .

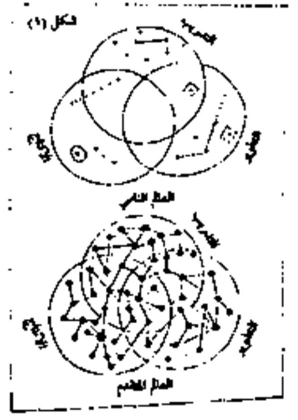
والمهم ان زيادة المصروف على كل باحث تقود حتما الى زيادة الانتاجية بنسبة تفوق بكثير نسبة المصروف الاضافي ، فالثلاثون الف دولار المذكورة في الجدول تدخل فيها رواتب الباحثين ، وكلفة البناء ، والأدوات ، والادارة ، والصيانة ، الخ ، وماينصرف فعليا على البحث العلمي الفعلي هو جزء يسير جدا من هذا المبلغ . والباحث الذي يحصل على مستوى قريب جدا من « المجاعة العلمية » لا يمكن ان ينتج انتاجا ذا بال .

ولكن لعل هناك اسباباً اخرى غير المال تعوق تقدم انتاجية العلماء العرب وربما انعدام سياسة علمية تركز جهود الباحثين العرب في مواضيع محددة بحيث تتآلف منهم الكتل الحرجة القادرة على الانتاج العلمي الجدي هي السبب الأهم في ضعف انتاجية العلماء العرب ، ونحن نعتقد ان هذا عامل اهم من الضائقة المالية مجتمعة .

تصنيف المنشورات العلمية العربية :

من أجل أن نصنف المنشورات العلمية العربية في المواضيع المختلفة انتقينا جميع المنشورات العربية المذكورة في الشهرين الأولين من فهرست المصادر (Citation Index) لسنة ١٩٨٥م ، فكانت (٤٠١) مقالات ، ودرسناها بالتفصيل ، فتبين لنا ان

الشكل (١)



العلوم الطبية تستحوذ على حصة الأسد من المنشورات العلمية العربية (٤٤٪) ، وتتفاوت هذه الحصة بين قطر وآخر ، اذ انها تتراوح بين ٣٤٪ في مصر و٧٨٪ في قطر . ويظهر ان الاقطار التي تأسس فيها البحث العلمي قبل غيرها تتجه الى البحث العلمي في حقول اخرى ، بينما يسيطر الطب على البحث العلمي في الاقطار الحديثة العهد بالبحث العلمي ، اي ان البحث العلمي يتناول في قطر ما اول ما يتناول في المواضيع الطبية ، وهذا متوقع . لأن كثيرا من المنشورات الطبية ما هو الا نتيجة مباشرة للممارسة العملية للطب ، ولامكانية القيام بالبحث العلمي بالاعتماد على المختبرات والاجهزة الموجودة اصلا للممارسة العملية . ويساهم في ذلك ايضا التدريب الجيد الذي تموله الدول الناشئة لاطبائها ، وطول مدة هذا التدريب . ويلفت النظر في هذه الناحية مركز لبنان والسودان ، فمع عراقة البحث العلمي فيهما نجد ان الطب يستحوذ على نصف المنشورات العلمية في لبنان وثلاثة ارباعها في السودان . واذا تذكرنا ان هذا حاصل في قطرين يشكوان من الحرب الأهلية المزمنة فقد يعني ان البحث العلمي في الطب هو ايضا اكثر تأصلا واصعب اجتثاثا عندما تضعف الأبحاث العلمية الاخرى .

تأثير البحث العلمي العربي :

للبحث العلمي الأساسي فوائد مباشرة ، هي نتيجة نشر المقالات العلمية ، وهذا ما قد يمكن قياس بعضه ، لكن لعل الفوائد غير المباشرة أهم في الدول النامية . فمجرد قيام الأستاذ الجامعي ببحث علمي - سواء نشره ام لم ينشره - يحافظ على مستواه العلمي كأستاذ ، كما يفتح الباب امام قيام دراسات عليا وتدريب لعلماء شبان .

وينشر العلماء مقالاتهم في المجلات العلمية لكي يتمكن العلماء الآخرون من الحصول على هذه المعلومات والبناء عليها وتطويرها إما في المجال البحث العلمي الاساسي او التطبيقي .

ويصعب كثيرا قياس تأثير المنشورات العلمية على العلم التطبيقي ، اذ ان كثيرا من نتائجه قد يبقى سرية ، وحتى المنشورة منها قد لا تحتوي على اشارات كاملة لمصادرها . ويمكن الاستثناء الهام للسرية هو في مجال العلوم الطبية والتي تؤلف المنشورات فيها ما يقارب نصف المنشورات العربية ولهذا يظهر ضعف تأثير هذه المنشورات على صناعة الأدوية العربية او ممارسة الطب في العالم العربي او سياسات وزارات الصحة . لكن قياس تأثير منشور ما على البحث العلمي الاساسي ممكن بالرجوع الى فهرست المصادر الذي يعدد المنشورات العلمية التي تذكر مقالة ما كمصدر اعتمدت عليه . وهنا حاولنا تصنيف المقالات التي ترجع الى عينة من المنشورات العربية الى ثلاثة اقسام :

١ ـ مقالات من نشر المؤلف نفسه (او الفريق نفسه) ، ويشترط فيها ان يكون احد مؤلفيها مذكورا مع التأليف في مقالة يمكن تحديدها . والعدد الذي حصلنا عليه هو الحد الأدنى ، اذ أننا قد لا نستطيع التعرف على مؤلفين من نفس الفريق

٢ ـ مقالات نشرها مؤلفون من اقطار عربية

٣ ـ مقالات نشرها اجانب .

ثم حاولنا ان نجيب على السؤال من الاتجاه الآخر ، اي الى من يرجع المؤلفون العلميون العرب في مقالاتهم . ولذلك اخترنا عينة عشوائية من مقالات نشرها علماء عرب في العلوم المختلفة ، وصنفنا المصادر التي رجعت اليها هذه المقالات التصنيف المذكور اعلاه فتبين لنا ان البحث العلمي العربي مازال مشرذما ، بحيث ان ابحاث عالم عربي قلما تؤثر على ابحاث عالم عربي آخر الا في العلوم الاجتماعية ، وهذا متوقع لحداثة العلم الطبيعي في الوطن العربي ، ولضآلة حجمه ، ولأنه لم يصل الى درجة (الكتلة الحرجة) عندما تتفاعل اجزاؤه مقللة بعضها بعضا ولتكون العديد من المنشورات العربية

المهمة في العلوم الاجتماعية منشورا باللغة العربية .

ولعدم وجود السياسة العلمية الهادفة الى زيادة تفاعل العلماء العرب . وعدم وجود الخطة العلمية الهادفة الى تركيز البحث العلمي في مواضيع محددة ولذلك مايزال العلم العربي - اكثره على وجه التقريب عدا العلوم الاجتماعية - مرتبطا بأصوله الغربية - اي اننا ما نزال في طور التبعية العلمية للغرب

نموذجان للنظام العلمي التقني :

كثيرا ماتلجأ المرء الى استنباط النماذج . في محاولة لفهم النظم المعقدة . والتمكن في التعامل مع المشكلات فيها . والنموذج المنشود هو تبسيط لعمل النظام المعقد عبر الامكانات . مع حذف ابعاد الاسس عن الواقع . وهذا امر ليس ممكنا دائما . فالبساطة هي في جميع الحالات ابتعاد عن الواقع المعقد . والتعقيد في [illegible] نموذج [illegible] وتصويره يعتمد على التوفيق او معادلة بين التبسيط والابتعاد عن الواقع . ولكل شخص حق في ان يقبل النموذج المعروض عليه او يرفضه . والنموذج الناجح هو الذي يتفق عليه كثير من الناس ويسهل عليهم الفهم والتفكير في النظام الذي يمثله ذلك النموذج ومهما يكن النموذج لأي نظام فلا يمكن التفكير فيه بمعزل عن النموذج الذي يمثل النظام نفسه . وفهمها للمحسوس والظواهر التي يعرضها المجتمع وهذا بدوره يعتمد على نظرة المجتمع من ذلك النظام

يتبع النموذج ١ الكلاسيكي - يمثل النظام التقني من الدراسة التاريخية لتطور التقنية في البلدان الغربية . ومن دراسة تطوير [illegible] هذه التقنية ويقسم هذا النموذج النظام التقني الى اربع مراحل . وهي : البحث الاساسي والبحث التطبيقي والتطوير والانتاج

ولا شك ان هذا [illegible] [illegible] [illegible] . [illegible]

[illegible]

[illegible]

الاساسية . ومسائلها للعلوم التطبيقية . واولوياتها وخصوصها التطوير . وثمرتها الانتاج . فاذا قبلنا هذا النموذج تصبح استراتيجية تطوير النظام التقني واضحة . ويجب ان تبدأ بتقوية العلوم الاساسية . فكل دعم للبحث العلمي الاساسي سيقود عاجلا او اجلا الى الثمرات التقنية (شكل ٢) .

ويزيد من قبول هذا النموذج انه يعطي التبرير للاكثرية الساحقة من المهتمين بدراسة النظم التقنية - من العلماء الاساسيين او الذين مارسوا البحث العلمي الاساسي - سبب علمية تمس انفسهم

اما النموذج الثاني الذي نود ان نعرضه فهو مستمد من النظر في عمل النظام العلمي التقني في البلدان المتقدمة . وفي البلاد النامية . وهو ناتج اساسا عن مقارنة بين النظامين . في محاولة للتعرف على المعيقات التي تحد [illegible] في انظمة البلاد النامية التي تتحكم في [illegible] . وقد [illegible] هذا النموذج بالاشتراك مع الاستاذ يوسف الشيرازي في [illegible] في التعريب . وقد توخى واضعو هذا النموذج في التعبير ملامح الصورة . في [illegible] [illegible] [illegible] . ويتألف النموذج من ثلاث دوائر . تمثل كل واحدة منها حقلا من حقول العمل في المجال العلمي التقني . وهي :

١ - البحث والتطوير

[illegible] الابحاث الاساسية والتطبيقية والابحاث الابداعية و الابحاث التطويرية [illegible] او [illegible] [illegible]

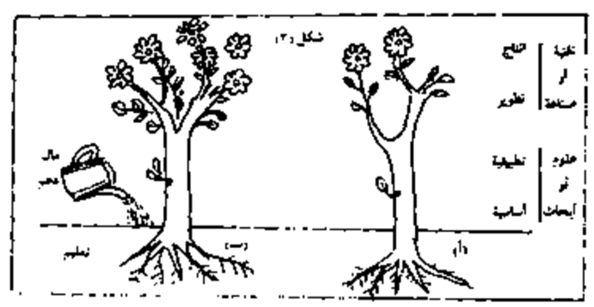
٢ - التعليم و[illegible]

في جميع مراحله واشكاله . ومن [illegible] [illegible] غير [illegible] [illegible] لا يقود الى [illegible] [illegible] [illegible]

٣ - [illegible]

[illegible]

[illegible]



فروع المعرفة او الانتاج

ويشتغل كل عنصر في احد هذه المجالات ، عامل في مؤسسة أو جزء من مؤسسة ، سلطة قد تقع في مجال واحد من هذه المجالات ، أو في أكثر منها ، أو في ثلاثتها معا (شكل ٤).

وتتميز الدول المتقدمة عن دول العالم الثالث بعدة عوامل:

١ - حجم العناصر : فهي اكبر بكثير في البلاد المتقدمة.

٢ - وجود هذه العناصر داخل المجالات : بحجمها هامشية في الدول المتأخرة ، وتتواجد عناصر كثيرة في العالم المتقدم ، تتولى القيام بأكثر من مهمة فهي التي تقع ضمن دائرتين او ضمن دوائر ثلاث . بين تصور هذه العناصر في العالم المتقدم.

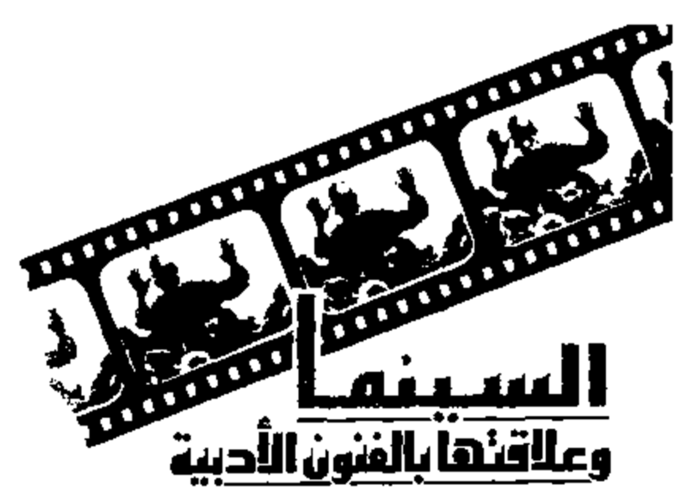
٣ - ترابط العناصر بحيث تؤلف شبكة متكاملة يشد بعضها ازر بعض ، بحيث لا تضيع الجهود في احد المجالات الثلاثة ، بل تنصرف الى المجالين الآخرين.

وتنتمي طرق الربط المعروفة التشجيع للاختصاص ، والاستعمال المشترك للمراكز ، والتنقل الدائم المباشر بين مؤسسة واخرى ، كما تنتمي مراجع بوظائف التنسيق او الاستعمار ، بحيث تشمل الوظائف الثلاث ...

بحيث ان العناصر في دول العالم الثالث منفصلة عن بعضها بعضا تماما . واذا كان لأي منها ارتباط فهو مع نظيرته العربية لا مع العناصر الاخرى في المجتمع نفسه . وتخلو النظم واللوائح التي تسير عليها مؤسسات العالم الثالث منها تقريبا من نصوص تبيح التعاون بين هذه المؤسسات والعناصر الاخرى في المجتمع.

ولعل مجمع العلوم الطبية هو خير مثال في الدول المتقدمة برهن بصورة كبيرة على كون الانتاج فيها وهو التطبيب والبحث العلمي والتدريب للمساعدين في حقل العمل (الأكاديمي) العملي . فالحقول الثلاثة متواجدة بشكل طبيعي في مجال الطب.

والمهم في الامر ان (الاستراتيجية) التي يتبعها اصحاب القرار في تطوير النظام العلمي في بلد ما تعتمد على النموذج الأكثر التصاقا بهم . فاذا ما اختاروا النموذج الاول اصبحت (استراتيجيتهم) تقوم على دعم البحوث الاساسية بشتى انواعها ، اما اذا اختاروا الثاني فعليهم اختيار مواضيع يحصرون فيها الدعم ، بتيسير التواتر للحصول على الكتلة الحرجة ، واكتساب التواصل ، وأهمها وصل العناصر ، لذا اختارت اكثر الاقطار العربية النموذج الأول مناسبا . نظرا لمحدودية القدرات . حصر البحث العلمي في مجالات : تظهر بعد علاقات بصاحبها ولا يمكن ان تظهر □



السينما وعلاقتها بالفنون الأدبية

بقلم : محمد صوف

عندما أطلت السينما كانت همها ، يعني بالدرجة الأولى بالصورة ، وباستعمالات دقيق لعدسة تصوير ، بغية التقاط صورة متحركة لشخص أو حيوان أو شيء ما . تقطع العدسة بدقة متناهية اللون والشكل ، هادفة إلى إعادة إنتاج أمينة للواقع . ومع ذلك تظل هذه العملية جزئية ، إذ لا تتمتع بالصورة ساعة عرضها سوى العين . وبعد ظهور تقنية الصوت ونجاحها صاحبت الصورة ، وأنصتت الأذن تبعه ، لكن المتعة بالصورة والصوت عبر حاستي البصر والسمع لا تقف تلقائيا ، ولن تأتي كذلك ، إذ لا بد من شخص يختار ويفصل ، ثم يتدخل بمعرفته وذوقه ورؤيته ورؤياه . ووجود هذا الشخص خلف العمل ينفي إمكانية الإعادة الأمينة لإنتاج الواقع ، بل ويسحب إلى إدخال عناصر جديدة ، توهم بالحقيقة ، في حين أنها غير ذلك ، كالممثل والديكور إلخ . إنها لا تعيد إنتاج الواقع ، بل تنقله من خلال الموضوع ، والإيقاع ، والتقطيع الفني ، والتمثيل ، والديكور ، والحوار ، والصورة . وهي هنا تتوافق مع فن الأدب . ولا تكمن حقيقتها إلا في الكلمة التي نعبر بها عن الواقع

وقد كان هذا التعبير في البدء عبارة عن مزج بين الصورة والحوار المكتوب . يرى المشاهد الصورة ويشاهد الممثل يتحركان في حديث لا صوت له ، ثم تختفي الصورة ليظهر له ما قالته الشخصية مكتوبا . وهو أسلوب يولد تعارضا بين التعبير الواضح والتعبير الغامض . ويفسح المجال لتدخل المؤلف في السرد السينمائي ، كي تسمح بتسلسل الرواية لكاتبها ، والحوار المكتوب في هذه الحالة ينحصر دوره في خدمة الصورة وإيضاحها ، وهو تابع لها ، لا يستمد وجوده إلا من وجودها ، وبانتفاء حاجتها إليه يفقد كل مبرر في ضرورته . وبعد أن تطورت التقنية وبدأت

تسمح للصوت بأن يصاحب الصورة ، تطورت الحاجة إلى الصوت ، وأصبح التعبير السينمائي دونه ناقصا ، إذ يعتبر غياب مزج الصورة والصوت والموسيقا والمؤثرات الصوتية بترا ، وقد سمحت تقنية الصوت للصورة أن تنطلق دون حمل عبء التعبير المكتوب ، وأصبح الفنان يستطيع إنجاز تركيب سريع متلاحق للقطات التي تلتقطها العين ، وتتفاعل معها ، دون إحراج ، وأعطى هذا الأمر - بدوره - للسرد السينمائي طاقة ، تمكنه من تحقيق تناغم حول مستوى الإيقاع ، وثراء تعبيري ، وخصب إبداعي ، يتولد من تضافر جهود الصورة والصوت .

فالصوت إذن قد أضاف للسينما شحنة جديدة ، جعلته يتجاوز دور الحوار المكتوب في خضوعه للصورة ، وأصبح يحظى بتفاعل جدلي معها ، وأحيانا يتوازى معها في الفاعلية ، وحينا آخر يصبح عنصرا مضادا لها ، حسب ما تقتضيه الضرورة الإبداعية ، وهدف التبليغ الذي يسعى إليه السينمائي . ويتم التعبير السينمائي عبر تركيب وأسلوب يأخذ فيها ميزة اللغة ، فهو كاللغة المكتوبة ، يستعمل الفصول والجمل والنقط ، والفواصل المصورة تأخذ في قاموس السينما مصطلحات كالوحدة الدرامية واللقطة ، واللقطة الكبيرة ، إلخ ، واستعمال هذه المكونات يجعل فن السينما أسرع من فن الكتابة في ترجمة الفكرة والخيال ، وإعطاء رؤية جديدة للعالم بواسطة إسراع حركة الصورة أو إبطائها مؤدية وظيفة شعرية ، أو بتوجيه انتباه المتلقي ، واختيارها لزوية توجه نحوها الاهتمام ، دون أن تغير الواقع باستعمالها للقطة الكبيرة أو لتقنية الترتيب للمشاهد

السينما والملحمة

فالملحمة عمل أدبي يخلد موضوعا وطنيا كبيرا ، ونوع ثري من الأنواع الأدبية ، وإن كان تراثه محدودا ، حيث أنه قد يتعرض للجهل خارج البلد المعني بالأمر . وفيه الأسطورة تمنح للسرد ميدانا واسعا ، يتحرك فيه بإمكانيات كبيرة . وأشهر ملاحم التاريخ هما الإلياذة والأوديسا ، حتى أن بعض النقاد وصف الأولى بأنها قصيدة كل الحروب ، والثانية بأنها قصيدة كل الرحلات . وطابع الملحمة يجعلها أسطورة جاءت من الزمن القديم ، وبالتالي يجعل من حقائق الحربين العالميتين - الأولى والثانية - ما يمنع أن يجعل أي عمل أدبي عنها صفة الملحمة ، وكذا ثورة أكتوبر في الاتحاد السوفياتي . ولعل أقرب الوقائع الكبرى في التاريخ إلى الملحمة هي احتلال الغرب لأمريكا ، والحروب الأهلية التي أعطت الميلاد لشخصيات ملحمية ، أصبحت أساطير يرددها الأمريكيون ، دون أن ننفي ملحميتها معارضة ذات أهمية ، نظرا لقدمها ، ولاعتداء شخوصها من أبطال وشهود ، وهذا سبب جعل السينما الروسية تكتفي بتقديم بيير الأكبر وإيفان الرهيب ويلاحظ على هذين العملين أنهما معنونان باسمين لشخصيتين تاريخيتين ، وذلك لأن الملحمة تعتمد على وجود شخص كمحور ، تدور حوله الأحداث ، ولا يبتعد بطل الملحمة كثيرا عن النجم السينمائي الذي جعله نظام النجوم ، الستار سيستم ، يحظى بهالة من الاهتمام والإقبال . فشخصية (زورو) و (درتاكنيان) و (روبان دي بوا) و (أوليس) شخصيات لها علاقة ملحمية بدوكلاس فيربانكس ، وجون وين ، وجان ماريه . والتركيز على شخصية واحدة تتمحور حولها الوقائع مسألة حيوية بالنسبة للشريط السينمائي ، تجعل منها نقطة التقاء مع الملحمة ، ووجود هذه الشخصية يعطي بالضرورة وجود شخصيات تحرك الصراع ، أشهرها شخصية الخائن التي تسعى إلى تحطيم البطل ، بينما يسعى البطل إلى القضاء عليها ويكبر عنصر الفرجة والإثارة .

نظرة قصيرة على الإلياذة والأوديسا تجعلنا نكتشف أبي تطلاد بالمواضيع السينمائية ، من صراعات

فردية وجماعية ، ومبارزات بين الأبطال وأعداء الحق المقوتة ، (أوليس ضد الطامعين في الحصول على زوجته) ، والمطاردات (هكتور وأخيل) ، وكذا لحظات الوداع المؤثرة ، والمشاهد اللامألوفة كما في الجزيرة العجيبة ، والانتصار على الوحش رغم طاقته التي تفوق طاقة الإنسان ، والزوجة المخلصة بنيلوب . ويحمل نسيج الإثارة من الملاحم سيناريوهات وحيلة ، تتمازج فيها بساطة التركيب وسيابية الأحداث ، حيث تتابع الحلقات مترابطة مشدودة إلى موضوع رئيسي ومركزي . ومن هذا تولدت فكرة المسلسل ، والمسلسل ليس سوى نتاج للتقسيم الملحمي

السينما والرواية

إن السرد - بطبيعته - يقترب من المادة (الدرامية) أكثر من اقترابه من المادة الروائية ، إلا أن الرواية تعبير مشروع على تناول السرد وتطويره وإدخاله في إطار [illegible] . تستطيع الرواية تقطيع السرد [illegible] بشكل تدريجي ، يصعب على السينما إيراد [illegible] . ومن هنا تأتي صعوبة نقل رواية إلى الشاشة شبيهة بتحويل العمل الروائي إلى دراما [illegible] شيء يصبح حركة . [illegible] السينما [illegible] هذه [illegible] في زمن محدود جدا [illegible] الشريط [illegible] في حين [illegible] الرواية [illegible] أو ربما شهورا ، [illegible] أن [illegible] ثلاثة [illegible] من الرواية ، [illegible] التي [illegible] زمنية معينة ، [illegible] حياة شخص وتطوره [illegible] . [illegible] النوع الذي [illegible] من سرد [illegible] ، [illegible] أزمة [illegible] له ، [illegible] الرواية [illegible] السينما من حكايات [illegible] دلالة [illegible] لا تحكي [illegible] الزمنية الممتدة بالتفاصيل الروتينية ، ولا تعرض حياة شخصية بدقة [illegible] بل تلتقط من [illegible] اللحظات [illegible] في [illegible] وتختص [illegible]

مختارة من عمل ضخم . ومهما حاولت السينما أن تجتهد في تقديم المهم من رواية « الحرب والسلام » لتولستوي ، أو من رواية « دافيد كوبر فيلد » لشارل ديكنز ، فإن العمل يظل الصورة [illegible] قاصرة عن عطائه أكثر [illegible] به . لكن رواية الأزمة التي تركز على فترة قصيرة حاسمة من حياة فرد [illegible] حاسمة [illegible] تقترب أكثر من السينما ، وتيسر عملية النقل إلى الشاشة وتحويل السرد إلى حركة . [illegible] الأعمال الأدبية التي نجحت السينما في [illegible] وعرضها تنتمي إلى هذا النوع من الرواية . [illegible] السينما في تعاملها مع رواية الحركة أكثر من [illegible] للتعامل مع الرواية التحليلية ، إذ أن هذا النوع يتحصر في سرد أزمة عناصرها الزمن [illegible] سلوك شخصياته الخارجي ، الظاهر للعيان

ومع ذلك فالفن السينمائي [illegible] في تعبيره على حس المتلقي ، وهو في هذا يتأثر بالفن الروائي الذي يعتمد [illegible] على ذكاء القارئ وتفاعله مع النص . [illegible] الروائي لا [illegible] كل شيء ، [illegible] بين السطور [illegible] على القارئ أن يكتشفها ، كما أن [illegible] المكونة للعمل السينمائي [illegible] [illegible] ، [illegible] التشريح ، [illegible] لا [illegible] سرد [illegible] ، [illegible] الثقة [illegible] ، [illegible] الثقة بين الرواية والقارئ .

السينما والشعر

أما الشعر [illegible] لا [illegible] في السوق [illegible] إلا من طرف هواة القصيدة ، ويتعامل [illegible] ولا أشكال بجمهور . ويبقى السؤال [illegible] هل يصح أن نجري في حقل علاقة مع نوع أدبي لا [illegible] إلا القلة ؟ حاولت السينما أن [illegible] مع القصيدة [illegible] الشريط [illegible] ABSOLU ، وكان [illegible] [illegible] قصيدة

مصورا . وما تزال أفلام القصيدة تفتقر إلى إقبال الجمهور الواسع . في حين أنها تلقى تشجيعا خلال المهرجانات . وربما أن في كل فنان جزءا من شاعر فإن بعضهم يحرص على إدخال الشعر في الفيلم التجاري بإدخال شخصية شاعر في الحبكة ، وبالتالي تضفي نفس شعري للفيلم في خضم الحركة والتوتر ، ليصبح الشعر جزئيا لكنه على الأقل حاضر . وكلما خرج الفيلم من إطار الحكاية العادية ، ومن السرد المنطقي أمكن له أن يعانق القصيدة كما في فيلم « الجميلة والوحش » ، و« العودة الخالدة » ، حيث يمهد غياب عنصر السرد المكثف الأصالة الشعرية . وتفرض (تيمة) الصورة نفسها حين يحولها الشاعر في نسق لا يخضع لمنطق السببية ولا للعقل . وقد سجل فلاهيرتي FLAHERTY . رائد الأفلام الوثائقية . جمالية شعرية ناصعة ومثيرة . ولعل أنجح الأعمال الشعرية التي لا تخضع لمنطق هي الرسوم المتحركة التي تحملنا صورها إلى عالم جديد ، والتي توفق في النقل البصري إلى الرؤية الشعرية ، وكما في القصيدة لا ينخدع شاعر الصورة أو مخرج فيلم القصيدة بانفعالاته ، بل يسهر على إعطاء الإيقاع والأسلوب المناسبين لترجمة إلهامه ، ولا قيمة لجمال الصورة إذا لم تهدف إلى التعبير عما يفرضه الإلهام . وتبليغ الرسالة التي يرمي الشاعر إلى إيصالها . ومن هنا يأتي نجاح فلاهيرتي في نانوك ، وموانا ، ولويزيانا ستوري . إذ أخضع التجربة الشعرية لعلاقتها مع الواقع . وحرص على قيمة الإيقاع في تبليغ الدلالة وترجمة الأحاسيس .

السينما والمسرح

أما المسرح فهو أقرب الفنون الأدبية إلى السينما ، من حيث التركيب ، ومن حيث ضرورة الزمن التي تتحكم في الحبكة والشاشة ، ثم إن أعظم الأفلام السينمائية بنت (سيناريوهاتها) على موضوع حاد وأدبي ، حافل بالتعبير الحي ، يمنح للفنان إمكانيات العطاء . والممثل بانفعالاته و (ميتافيزيقيته) أعطى مادة خصبة للأفلام التراجيدية ، وميزة التراجيديا أنها تتلخص في أزمة رئيسية محورية تتنامى وتتطور .

في حين أن الكوميديا تخضع الفيلم للروتين الفرجة وإثارة الضحك التي تتحقق عبر التعبير بالصورة ، وعن طريق الحركة الكثيفة . وتلاحظ في الأفلام الكوميدية الشهيرة أن الإيقاع يحتل الصدارة في العمل الفني ، انطلاقا من ميليس MELIES، ومرورا بماكس ليندر MAX LINDER، إلى شارلي تشابلن CHARLES CHAPLIN وكلما تخلت السينما عن تكثيف الحركة واعتمدت التعبير على الطباع البشرية بتقديمها سقطت في « تستيم » المسرح ، إذ يصبح الحوار سائدا . ولهذه تكمن قيمة الفيلم الأساسية ولعلها الوحيدة والحدث والحركة يشكلان الركيزة الأساسية للفيلم الضاحك ، وقد عرف تاريخ السينما أنجح ما أعطت (الكوميديا) وهو ذلك النوع الذي يتخذ شخصية نمطية . ويعمل على تبرير تصرفاتها عبر الحركة والحدث . مثل أفلام « شارلو » و« الثنائي » لوريل وهاردي » و« الأخوة ماكس » ، وقد وصلت شهرة هذه الأفلام إلى درجة (الكليشيه) ، كما أن الشاشة استفادت كثيرا من مسرح « الفودفيل » أو مسرح الشارع ، حيث تصبح الحبكة آلية . وتخلق مشاهد موازية لتناقضات مثيرة ، تعتمد على المنطق المقلوط ، وعلى سوء التفاهم ، وهما من أنجح ما يثير ضحك المتلقي .

يبقى الحوار . وهو العنصر الأساسي في المسرح . غير ذي مكانة في السينما لأن الصورة تطغى ، ولأن (الفيلمية) تقتضي تسجيل الحوار بعد التصوير . محافظة على تطابق حركة الشفتين مع الصوت ، وقد تخلت السينما عن قوة التعبير اللغوي المثير للمواقف والانفعالات في المسرح ، معوضة ذلك بالصورة البليغة الناطقة دون أن تتكلم . غير أن هذا لا ينفي تأثير جودة الحوار في الفيلم ، بل ينتزع منه فقط صفة الأولوية التي تجعل منه ضرورة على الخشبة بدونها لا يتحقق العمل المسرحي □



الموصل

تبحث

استطلاع : صلاح حزين
تصـوير : طالب الحسيني

حين بلغنا الموصل كانت المدينة الخضراء تودع ربيعها الأول ، لتستقبل ربيعها الثاني . فلكل مدن العالم ربيع واحد ، وللموصل ربيعان ، واحد في الربيع ، وآخر في الخريف ، وبين الربيعين تتزين المدينة وريفها بالثوب الأخضر الموشى بآلاف الورود الحمراء والصفراء والبيضاء ، مستقبلة السكان المحتفلين بأعياد مدينتهم الزاهية .



حين يأتي الربيع يخرج أهل الموصل إلى الغابات القريبة، والجبال الخضراء، ومساقط المياه المجاورة، ويرقص الشباب والفتيات، ويتقافز الأطفال بين الأشجار، ويتمرجحون فوق الخشب الذي استطال ليجاور أحجامهم الصغيرة. ويتأمل الكبار في الأفق الممتد فوق السهول والجبال التي شهدوها صغارا ويافعين. هاهي الجبال والسهول والغابات تواصل عادتها القديمة في استبدال ثوب بثوب، ولون بلون. ويموت أجيال، وتأتي أجيال، ويزول الناس البسطاء كما زال ملوك آشور العظام، وكما زال البابليون والسلوقيون والفرس والتتار، وكل الغزاة الذين مروا بهذه المدينة العتيقة. ولا تزول الجبال والسهول والغابات والمياه الجارية، بل تبقى شاهدا على جبروت الإنسان وضعفه، وعلى عنفه وغلوه، وعلى حياته وموته الذي تعددت أسبابه.

حين بلغنا الموصل كانت الحرب هناك أيضا، فقد كانت المدينة تودع شهيدا سقط في الحرب التي اشتعلت في الجنوب، فاكتوى بنارها الشمال، وألقت بظلها على كل شيء. لكن متى انتهت الحرب هناك؟ ومتى غادرت الحرب أرض الموصل؟ لقد بنيت الموصل بالقرب من أطلال مدينة نينوى القديمة، حاضرة الآشوريين الذين لم يخل عصر ملك من ملوكهم من حملة أو أكثر. حتى طغى الجانب العسكري من نشاطهم على ماعداه، مما جعل بعض الباحثين لا يرون فيهم غير أمة من الجند والقادة المقاتلين والملوك القساة المستبدين، ويتهمونهم باتباع سياسة النار والحديد مع الأقوام المجاورة، رغم ما عرف عن بعض ملوكهم العظام من اهتمام بالعمارة والفنون والأدب التي حفظ منه كثير.

بعد الآشوريين جاء البابليون، ثم السلوقيون، فالساسانيون، والقوم الآخرون غيرهم. ثم جاء الفتح العربي الإسلامي. وفي كل عهد من هذه العهود كانت الحرب هناك لا تبارح. لذا كان السور المنيع الذي يحمي المدينة إحدى ضروراتها. فكان سور نينوى القديم، ببواباته الخمس عشرة التي تحمل أسماء الآلهة الآشورية، مثل بوابة شمش، وأدد، وسن، وغيرها. ثم بعد ذلك كان سور الموصل الشهير بعده الذي لم يبق منه الآن غير تلك القلعة الحصينة المسماة «أشطابيا» الواقعة على ضفاف دجلة، تروي قصة الغزاة الذين وقفوا على أعتابها دون أن يقتحموها. قال عنه ابن بطوطة: «إنه من أسوار الدنيا العظام. وإنه لم ير مثله في أسوار الدنيا إلا السور الذي على مدينة دهلي حاضرة ملك الهند». وزارها الرحالة الأندلسي ابن جبير فكتب: «وصف المدينة عتيقة، ضخمة، حصينة، فخمة، قد طالت صحبتها للزمن، فأخذت أهبة استعدادها لحوادث الفتن. قد كادت أبراجها تلتقي انتظاما لقرب مسافة بعضها من بعض».

حين هدمت المدينة سورها

ومع ذلك فإن التاريخ يروي لنا حادثة طريفة، اضطر فيها أهل الموصل إلى هدم سور مدينتهم بأيديهم. فقد ذكر المؤرخون أن الموصل ثارت على هارون الرشيد سنة ١٨٠ هـ، فجرد حملة على المدينة، وهدم جزءا من السور، وأرسل مناديا في المدينة يطوف «من هدم ما يليه من السور فهو آمن»، فهدم الناس سور مدينتهم بأيديهم.

وظلت المدينة بلا سور فترة طويلة من الزمن قبل أن يبنى من جديد، ليهدمه المغول، ويعاد بناؤه ثانية، وتنهبه الغزوات المتعددة والزمن، فيتحول إلى أطلال وأنقاض بعدما دخلت الحروب عصر المدفعية الثقيلة والطائرات والصواريخ، وبعدما عجزت أسوار المدن عن حماية سكانها. فقامت بلدية الموصل ببيع ما تبقى من أنقاض السور بعد عام ١٩١٥، فكان ذلك فصل الختام في تاريخ السور الحصين، وبداية عهد جديد للمدينة التي شهدت فجر التاريخ. فماذا سجل التاريخ عنها؟

« هي محط الركبان ، ومنها يقصد إلى جميع البلدان ، فهي باب العراق ، ومفتاح خراسان ، ومنها يقصد إلى أذربيجان ، وكثيرا ماسمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة : نيسابور ، لأنها باب الشرق ، ودمشق ، لأنها باب الغرب ، والموصل ، لأن القاصد من الجهتين قل مالا يمر الا بها .. وما عدم شيء من الخيرات في بلد من البلدان إلا وجد فيها » . هكذا وصف ياقوت الحموي الموصل في زمن غير هذا الزمن . فماذا عن تلك المدينة العراقية الواقعة على بعد ٢٦٨ ميلا إلى الشمال من بغداد اليوم ؟

لقد قدم لنا ياقوت المدينة باعتبارها جسرا يربط بين حضارات مختلفة ، في أماكن مختلفة من العالم ، ولذا كان اسمها الموصل ، يقول ياقوت « فقالوا سميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق ، وقيل وصلت بين دجلة والفرات ، وقيل لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة ، وقيل بل الملك الذي أحدثها كان يسمى الموصل » .

غير أن هناك من يقول أن الموصل ما هو إلا تحريف لكلمة « موسيلا » ، وهو الاسم الذي أطلقه على المدينة القائد اليوناني « زينفون » ، حينما مر بها بصحبة عشرة الآف مقاتل في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد

وفي الواقع أن الموصل مدينة متعددة الأسماء والأوصاف ، فقد سماها الآراميون حصن عبرتا ، وسميت هي ونينوى بالحصنين ، كما سميت بالحدباء لاعوجاج دجلة عندها ، ولحدبات الأرض القائمة عليها ، ووصفت بالبيضاء والخضراء وبالخضراء لاخضرار بقاعها وحدائقها بعد سقوط الأمطار ، ولقبت أيضا بأم الربيعين ، لأن خريفها معتدل كربيعها

وحين بلغنا الموصل كانت أعياد الربيع الأول قد انتهت ، فعادت المدينة إلى السكون بين ربيعيها .



موصل

سباق مع الغروب

لاتخيل في الموصل إلا نخيل الزينة في الشوارع الفسيحة والساحات الكثيرة التي تزين المدينة وتعطي عن الاختناق . وبهذا تختلف الموصل عن مدن العراق الجنوبية المكتظة بالنخيل ، وليس في الموصل ذلك المشهد الأخضر الكبير الذي يميز جنوب العراق ووسطه ، بل الخضرة القصيرة والشوارع التي اصطفت بزوق المنظر لبهجته ، والساحات التي انبثقت مهابتها المدافن ، والأبنية الحديثة العصرية والجسور التي تربط شطري المدينة القائمين على نهر دجلة الذي يخترقها ، وعلى أطرافها تتشابك أشجار الغابات ، فوق بساط من العشب الطالع من الأرض الحمراء ، بساط يفترشه سكان المدينة حين يخرجون إلى الغابات للاحتفاء بالربيع ، بساط لخفة الأطفال وتأمل الشيوخ ورقص الشباب حين يخرجون في استجابة عفوية لنداء الطبيعة الخاص

في داخل المدينة كانت الحياة تسير ، والناس والسيارات والعربات والتركيات والباعة والمتنزهون والمتنزهون والمتسكعون والواقفون على الأرصفة يمارسون عادة الانتظار التي ألفها البشر منذ الآلاف

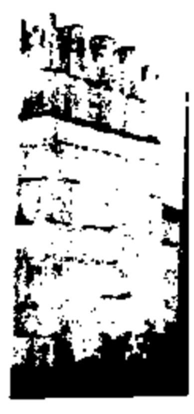












السنين .

كانت الشمس تؤذن بالمغيب ، ودجلة يواصل سيره على عهده منذ آلاف السنين ، ولم يكن أمامنا وقد وصلنا المدينة في آخر النهار إلا مراقبة الغروب الجميل ، لكن الأبنية العالية داخل المدينة ، والغابات الكثيفة خارجها ، كانت تحول دون استمتاعنا بمشاهدة المنظر الخالد ، وركبنا السيارة ، واتجهنا نحو الأفق ، في محاولة للظفر بمشاهدة الشمس الغاربة . ومن ضفة النهر وعبر غابات الموصل ، ومن خلال أغصان الأشجار المتشابكة شهدنا غروب شمس الموصل خلف نهرها الخالد في مشهد جليل وجميل ، والتقط زميل المصور ما أراد من صور لهذه اللحظة التي تمر كأسرع من حلم . وعدنا إلى الفندق للمبيت قبل أن تبدأ يوم عملنا الأول في الصباح التالي

استيقظت المدينة في اليوم التالي على صبح ربيعي رائع ، لمسات البرد الخفيفة كانت تذوب سريعا في حرارة الشمس التي بدأت تزداد رويدا رويدا ، لتمحو بقايا اليوم الذي انقضى ، وتعطي النهار وهجا جديدا . وتحت شمس النهار الساطعة كان أهل الموصل يغادرون منازلهم نحو مراكز العمل ، غير مبالين بكل هذا الجمال الذي ألفوه ، وكانت الحوانيت تفتح أبوابها والمركبات تسير كسلى في شوارع المدينة المستيقظة ، والساحات والشوارع تمتلئ بالقادمين من أطراف المدينة ، ومن القرى المجاورة . يتوجه العاملون إلى أعمالهم ، والطلبة إلى مدارسهم ، والفلاحون إلى حقولهم القريبة وتبدأ دورة الحياة اليومية

في ذلك الصباح الربيعي كنا على موعد مع مزاحم الرويعي مدير آثار النمرود في مديرية آثار نينوى . فالموصل هي عاصمة محافظة نينوى التي أخذت اسم مدينة نينوى القديمة ، إحدى عواصم الدولة الآشورية ذات المجد القديم . أما النمرود فهو الاسم الذي أطلقه العرب على مدينة كالحو العظيمة . وهي عاصمة المملكة الآشورية الثانية الواقعة قرب الموصل . ومع أن السيد الرويعي اختصاصي في الحضارة الآشورية القديمة إلا أنه يعرف المدينة بمبانيها وشوارعها الحالية وأزقتها الضيقة وأسواقها القديمة معرفة تامة

ومن مكتبه الواقع في سفح تل كانت تقوم عليه في مضى أجزاء من نينوى القديمة . بدأنا رحلتنا نحو ساحات الموصل الرئيسية التي تشكل امتدادا لبوابات سور الموصل المنيع الذي تحدثنا عنه . فأحياء الموصل هي امتداد للأحياء القديمة التي كانت تقود إليها . وأبواب السور القديمة مثل باب سنجار وباب البيض وباب الطوب وباب السراي وغيرها . ومن أحد هذه الأبواب ـ من باب الطوب ـ دلفنا إلى المدينة القديمة . لنرى ماذا فعل الزمن بالموصل . وماذا فعلت الموصل لتتحدى الزمن ـ وهي التي يعود تاريخها إلى الألف السادس قبل الميلاد ـ حين كانت قرية زراعية صغيرة تدعى نينوى.

في سوق الهرج

اخترقنا الأبنية العتيقة والأزقة الضيقة المليئة بالعربات والناس بملابسهم التقليدية ، مشترين وبائعين وعابرين ومتسكعين ، ودلفنا إلى أسواق المدينة القديمة التي تراصت الحوانيت فيها جنبا إلى جنب ، حتى وصلنا ساحة صغيرة وقفت بها عربة ، وفوق العربة جلس شاب لم يبلغ العشرين ، وقد بدا بملابسه التي تتكون من عمامة وقميص وسروال فضفاض كأنه خرج من حكايات ألف ليلة وليلة . أنه يمثل في ذلك الجيل الذي حفظ للمدينة تقاليدها ، ولمهن أسوارها فيحافظ على ما يمكن أن نطلق عليه إذا تمكن نموذج الحياة الجديدة من اختراق هذا الجزء العريق من مدننا العربية . إن الحياة تجري خارج هذا الجزء الموصلي القديم ، وخارج المدينة الحديثة ، وخارج العراق والوطن العربي ، لكنها تجري هنا بإيقاعها الخاص وأسلوبها المميز . ويحتوي هذا الجزء

الحريق الذي كان يوما مركزها المزدهر أن يبقى على ما كان عليه من مجد غابر . لكن المزمن طواه بين طواياته . والتطور الذي هو سنة الحياة متطلبه الخاص الذي لا يقف عنده حنين الناس إلى القديم الأصيل والعريق ، بل يعرض نفسه على خط الحياة بصورة باترة .

في السوق وقف رجال يتداولون على شتى مسابح والعاديات والمشغولات اليدوية مختلفة ، رجال وشباب من مختلف الأعمار ، رتفعت من خلال حواراتهم ضجة أهل الموصل المميزة مقربة من لهجة منذ شباب سورية ، ويعتمرون رجبة الموصلي التقليدي الشبيه بزي الرجب في بلاد الشام ، احتذوا النعال واجتذب أسماع قوله من مشغلهم ، تحت حزام جلدي قد نمتلئ حوله سروال أبيض عريض.

حتى الرجال المنتشرين ترجمه هذا أحد حواراتهم التي تجيب بمساحيهم التفصيلية ذات الألوان الداكنة المختلفة .

اقتربنا من مجلسهم ، وبسطنا قنعت ، طالبين التحدث إليهم ، وأخذ بعض الصور لهم ، فرحب بعضهم بالحديث لكنه اعتذر عن الصورة معللا أنه لا يحب التصوير ، وقبل بعضهم الآخر بعد مساومة أن تؤخذ له صورة بزاوية معينة اختارها هو ، ووقف آخرون لا يبالون بالصورة التي التقطها لهم زميلي المصور ، واستمر غيرهم ليته وهو يرجوهم كما شاء ، في حاول بعض الشبان الصغار الدخول في محيط الصورة ، وهم يشيرون بأيديهم إلى أشخاص وهميين موشين لهم ويبتسمون ابتسامات ثنيئية متنوعة ، وقليل كثيرون ليروا ما يحدث في سوق الهرج ، وكان طريفا أن نعرف أن هذا السوق قد سمي بهذا الاسم لوجود المنادين على بضائعهم بصوت عال ، وحيث يكثر الهرج والمرج

اغترق تجمع شخصي تطوع ثورا للحديث والشرح ، ولعل عبء كلمته في أن تأخذ ما تشاء له من الصور ، وصاح بعضهم : أبو علي السوالي . .

وبدا أبو علي السوالي بلحيته البيضاء الخفيفة وعينيه الأليفة ، وقد لمعتا بعدد من الصور الخاصة التي أحاطت بوسطه ، وامتدت من صدره إلى ظهره عبر كتفه ، وحمل قربة السوس (العرقسوس) ، وداعب بأصابعه المشربة الأكواب النحاسية التي يصب بها السوس لزبائنه ، فكشفت لنا كثر عن حديث شعير

وبدأ أبو علي السوسي يتحدث بطلاقة وذربة ممتعة : إنه حسين السوسي ، يبيع السوس في هذا السوق منذ كان في الحادية عشرة من عمره ، وهو الآن في الستين ، وفي الشتاء يتحول عن بيع السوس لبيع القهوة العربية ، لذا فهو شخصية معروفة مألوفة في سوق الهرج ، يبحث عنه الصحفيون والمصورون ليلتقطوا له الصور التي تثبت التراث القديمة ، ويسألونه عن ماضي السوق كم عرفه صغيرا ، وعما حل به مع الزمن الذي طال بعد كل شيء . إنه جيل آخر من الرجال الذين حفظوا تراث المدينة العريقة ، حتى بعد انتشار التوسع والمستلزمات ، ودخول الأسواق الجديدة و (الدوتيكات) والوكالات التجارية العربية إليها وبدا لنا أبو علي السوالي والقى القادم من حكايات ألف ليلة وليلة منسجما تماما مع الدكاكين القديمة التي امتدت بشكل طولي على جانبي السوق . وبداية سوق جديد ، ويوما بعد يوم يا الأوروبي وأجهزة التصوير كأننا غرباء عن المشهد كله

من سوق الهرج إلى سوق الحبالين الذي يتصل به الطريق الآتية من سوق الهرج . في أحد الحوانيت الضيقة وقف أحمد يونس ، يرتب حباله الملونة ، ويعلق ما تشابك منها ، ليعرضها على الطين صورة ، إنه يبيع الحبال في هذا المحل منذ ٤٠ سنة ، وقبلها كان والده يرعى المحل حتى توفاه الله

وسألت أحمد يونس عن صناعة الحبال وبيعها ، أي مهنة الحبالين التي لا نعرفها أجيالنا جيدا ، فأجاب : إن مهنتنا تبور ، فلم يبق هنالك من يستخدمون



• شيخ موصلي
بمقعد عربي ملابسه
(يسار) [illegible]
[illegible] من أشهر تماثيل
الموصل ([illegible])
الموصل القديمة تبرز
[illegible]
الموصل ساحات وتماثيل
و[illegible] حديثة في
الموصل حديثة .







الخيل والجياد في الموصل ، بعضهم يستخدم البغال ، لكن هؤلاء أصبحوا قلة لا يقيمون سوقا . وتركت محمد يونس وأنا أقلب في ذهني فكرة اختفاء الجياد التي اشتهر بها العرب ومايزالون . لقد مضى عصر الفروسية فهل لا تختفي الجياد ؟

ومن سوق الحبالين إلى سوق البزازين (الأقمشة) ، إلى سوق العطارين ، سوق الصفافير ، وسوق السراجين ، وغيرها من المهن التقليدية التي أفادت الموصل لكل منها سوقا ، والحال هو الحال ، فهي القديمة تختفي وتندثر ، ويعاني الباقون من وضع السوق الذي لم يعد كما كان ، فهجر بعضهم حوانيتهم ، وهجر آخرون مهنهم ، بينما بقي آخرون متمسكين بها في وجه الحياة الحديثة الزاحفة إليهم في عقر أسواقهم



[illegible]

دار التوتنجي

ومن صخب الأسواق تلك أكملنا جولتنا في الأحياء القديمة ، في حي القليعات ، وهو من بقايا مدينة نينوى الآشورية ، وباب السراي ، والسرج خانة ، وسوق الصغير . نفس الأزقة الضيقة تتكرر فيه عبق الآثار ، ومجاري المياه على الطريقة القديمة تسيل على امتداد الممر الضيق ، والأبواب المزخرفة وشناشيل النوافذ التي تقاربت على الالتقاء لضيق الأزقة . ومع أن هذه الأحياء مازالت باقية إلا أن أحياء قديمة غيرها هدمت ، لتقوم مكانها شوارع فسيحة ، وبنايات حديثة ، وأسواق تعرض البضائع الاستهلاكية ، وغيرها

وحتى يحافظ الطراز الموصلي التقليدي في بناء البيوت استملكت المؤسسة العامة للآثار عدة بيوت قديمة ، بهدف ترميمها ، وإعادة بنائها حسب الطراز الأصلي الذي يعكس الهندسة المعمارية الموصلية ، من حيث ترتيب الغرف والردهات والسراديب . ومن هذه البيوت دار التوتنجي التي كان يملكها أحد أعيان الموصل في سالف الزمان . وحين وصلنا الدار كانت الأشغال وأعمال الترميم قائمة فيها على قدم وساق

تتكون الدار الموصلية التقليدية من قسمين ، وكل قسم من طابقين ، ويفصل بين القسمين العلويين باب صغير . وتلك هذه البوابة الرئيسية التي تتفرع عند دخول الدار إلى بوابتين داخليتين . تؤدي كل منهما إلى قسم من قسمي الدار . فالقسم الأول : وهو القسم الخارجي خاص بالضيوف الذين يمكنهم ربط خيولهم في الدور الأرضي الذي تتوسط ساحته بئر للمياه ، وزير مليء بالشعير لإطعام الجياد . وفي الدور العلوي غرف للنوم ، وأخرى للسهر والمسامرة . أما القسم الداخلي الذي يفصل بينه وبين القسم الخارجي باب صغير فيسمى حرم الدار . أي دار العائلة التي تحتوي على الإيوانات وغرف النوم والسرداب الذي تتوسطه نافورة صغيرة . وفي الدور العلوي ثمة الأقواس المطلة على الفناء تحضن العائلة في أمسيات الصيف ، متنعمة بنسيمه العليل . وفي الداخل هناك المخزن الذي يوضع فيه تموين الدار ، والمطبخ ، وغرف النوم . ثم فناء الدار الذي زينته كتابات

بالخط الكوفي الجميل. وعنصر البناء الرئيسي في الدار الموصلية هو المرمر الموصلي الذي يكثر في أطراف المدينة. وحدثنا أن تتبع بعد الحفاظ الذي جاء لترميم بناء دار التوتنجي، وقد وقف عند سقفه والحجلة، وشدت بزخرفته، يتميز باللون الأبيض ذات الكتابة فوق شريط أزرق اللون، تمتد بعرض جهات القاعة الثلاث، فقرأت:

يالكاشف الكربات عن شاكيه
يا راحم العبرات من باكيه
خلوتي وأنا حنين في الحشا
لا أعرف السبب ولا أدريها
وتعطفت في المهد طفلاً مرضعاً
ورزقني بالتعهد والتربية
صلى عليه وآله وصحبه
وعلى البتول وبعلها وبنيها

وخرجنا من دار التوتنجي عبر الأزقة الضيقة التي سقفت أجزاء منها، ونحن نتساءل عن السحر الكامن في الأماكن القديمة، هل هو في بساطة حياتهم، أم في طرقهم في الحياة وموقفهم البعيد عن الفقر والغنى، أم في طريقة التعبير عنها. أم هو حب نحن نسقطه على شيء مضى وانقضى، ونرسم صورة زاهية لعهد لن يعود.

الموصليات

غير بعيد عن دار التوتنجي تنهض الموصل الحديثة، بشوارعها الواسعة، وبناياتها العالية، ذات الهندسة المميزة، وساحاتها الخضراء الفسيحة التي تزينت بالنوافير والأضواء والتماثيل التي تسجل جوانب من حياة الموصل القديمة، مثل الفلاحات وحاملات الجرار وغير ذلك من أعمال فنية. وفي إحدى هذه الساحات وقف نصب معدني ضخم لإناء جميل متناسق التكوين والأضلاع، إنه نسخة مكبرة، لأشهر إبريق موصلي صنعه من النحاس الأصفر المطعم بالفضة شجاع بن منعة الموصلي سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣٢ م). ويرمز هذا الإبريق إلى أزهى عصور الموصل، وأكثرها ازدهاراً ورخاء، وهو عصر الأتابكيين الذين أنجبوا عماد الدين زنكي، ونور الدين زنكي، ومهدوا لظهور صلاح الدين الأيوبي الذي كان له شرف توحيد مصر وسوريا والعراق، وهزيمة الصليبيين، واستعادة القدس منهم، تلك تلك قصة أخرى.

وقد وصف المؤرخ الشهير ابن الأثير - وهو من أبناء الموصل - حكام المدينة من الأتابكة، فكتب يقول إنهم «نعمة أنعم الله بها على أهل تلك العصور». فلقد نشطت فيها العلوم والفنون، ونبغ منهم المؤرخ عز الدين بن الأثير، وابن يونس الفيلسوف الشهير، وأبناء جبل المشهورون بالفقه، والهروي السائح، وابن عصرون، وآخرون غيرهم.

وازدهرت فيها صناعة التحف، حتى صارت مثلاً في الدقة والإتقان، واشتهرت هذه الصناعات في أوروبا باسم الموصلي (MOSLINE) نسبة للموصل. وهو ما أطلقه الأوروبيون أيضاً على النسيج الموصلي الذي عرفوه جيداً في القرون الوسطى.

الحدباء

وفي عهد الأتابكة أيضاً بني الجامع النوري نسبة إلى نور الدين زنكي، والذي اشتهر بمئذنته المائلة نحو الشرق. وهي واحدة من أشهر المآذن في العمارة الإسلامية، أطلق عليها اسم الحدباء لاحديدابها، وميلانها الذي يشاهده زائر الموصل من كل مكان في المدينة. ويبلغ ارتفاع المئذنة نحو (٤٥ متراً)، وتحيط بها من الأعلى إلى الأسفل سبعة أشرطة زخرفية. كان كل منها يختلف عن الآخر بطريقة الزخرفة الظاهرية التي كان أساسها الآجر أو الطابوق. وداخل المئذنة سلالم درجات، يصعد بها إلى الأعلى، ويتنزل إلى الأسفل، بحيث لا يلتقي الصاعد بالنازل. وفي



[illegible]





نفسير ميلان المئذنة معدنية بعان أن هناك احتمالين ، الأول أن يكون المهندس هو الذي صمم على بنائها بهذه الطريقة ، والثاني أن تكون الرياح الغربية هي التي أمالتها نحو الشرق . وليس بين الاحتمالات أن يكون هناك خلل في عملية البناء ، قد أدى إلى اعوجاجها بهذه الصورة . وسادرنا الجامع النوري الكبير الذي بني بين عامي ٥٦٦ - ٥٦٨ هـ ونحن نتساءل عما إذا كانت هناك احتمالات حقاً هندسي أدى إلى استهداف مئذنته كما هو الحال مع برج بيزا المائل في ايطاليا ، وهل هناك علاقة بين اسم المئذنة واسم الموصل ، حيث يطلق على كل منهما اسم الحدباء ؟ !

وإذ كانت الحدباء أشهر معالم الموصل فإن جامع النبي يونس هو أشهر جوامعها الكثيرة ، ويقع جامع النبي يونس فوق تل يسمى تل النبي يونس ، وهو أحد تلين كانت تقوم عليهما مدينة نينوى القديمة . أما الثاني فتل قوينجق المقابل له . ويقع تل النبي يونس لأن « يونان بن متى » ، صاحب الحوت الذي ورد ذكره في التراث العربي والتوراة ، ويذكر اسمه عاش في مدينة نينوى وبشر فيها . وفوق هذا التل يقوم مسجد النبي يونس الذي يعد من أهم الأماكن المقدسة في منطقة نينوى ، حيث يأوي إليه الزهاد والنساك والعباد ، وبخاصة في مواسم معينة من السنة . وقد مر المسجد بأدوار مختلفة من البناء ، وجدد بناؤه أكثر من مرة ، كما شهد الموقع نفسه تغيرات عديدة ، وأدوارا مختلفة ، فقد كان المسجد في بادئ الأمر معبدا أشوريا ، ثم اتخذ موضعا لعبادة النار ، ثم ديرا أو كنيسة مسيحية ، وأخيرا اتخذ جامعا إسلاميا ، ولذا فإن أقدم غرفة تعود إلى أيام الآشوريين وعندما دلفنا إلى تلك الغرفة وجدنا الحجارة الضيقة ، وقد اكتست بطبقة من السواد المتمكن منها ، ولما سألنا عن سر ذلك السواد قيل إن هذه الغرفة كانت « مطبخا في معبد آشوري » ثم سر هذا الطعام الآشوري العجيب وماذا عساهم كانوا يطبخون حتى يبقى السخام طوال هذه الآلاف من السنين ؟ !

وفي إحدى الغرف داخل المسجد القديم مقام

للنبي يونس . وقد علقت على جدران الغرفة التي تحتضن المقام عظام حيوان بحري يقال إنها عظام الحوت الذي ابتلع سيدنا يونس . ومن فوق المسجد حيث القباب المقببة بشكلها المخروطي وتسمو المئذنة الشاهقة تشهد مدينة الموصل بأحيائها العتيقة ، منبسطة أمامه ، يحتضنها [illegible] محاصرة الأشجار والغابات . وفي الأسفل على مقربة من المسجد رقد تمثال مهيب للثور المجنح ، المشهور به الحضارة الآشورية حتى صار رمزاً لها وظل سالماً من [illegible] وجوده هنا لأن سارقي تحف [illegible] الضريح [illegible] هذا التمثال قد عثر عليه أثناء حفر الأساسات لتوسيع المسجد . ويعتقد علماء الآثار من جديد أن التل الذي يقوم فوقه المسجد هو بعض ما كانت عليه مدينة نينوى الآشورية قبل آلاف السنين . وكلمة نينوى تكتب بلغة الآشوريين السومرية المسمارية ، وتكتب بالعلامة المسمارية الخاصة بكلمة مدينة ، وفي داخلها السمكة . حيث ساد الاعتقاد بأنها مدينة الآلهة نينا ، إلهة السمكة . وهناك ما يشير إلى أن لفظة « نون » وتعني بالآشورية السمكة هي أصل اسم النجم بأشكاله المختلفة يونان ويونس وهو النون والاسم الأخير تشتهر به مدينة الموصل دون غيرها من مدن العراق . وهناك من يبالغ بالقول فيقول بأنه من بين كل ثلاثة من أهل الموصل هناك اثنان يحملان اسم ذي النون

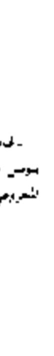
إذن فالموصل ليست حصراً بين حضارات ازدهرت في أماكن عتيقة فحسب ، بل حصر لا حضارات مختلفة وعصور متباينة في أزمان متعددة وهكذا توقفت رحلتنا عبر المكان ، وبدأت رحلة أخرى عبر الزمان ، لنتابع عصور مدينتنا ، وكان مزاحم الرويمي هو مرشدنا هنا أيضاً ، فهو اختصاصي بالحضارة الآشورية دون غيرها ، وهل يمكن أن يكون دليلنا غير واحد من أهل الاختصاص مثله ؟

عصر الحجاب الآشوري

تعد مدينة نينوى التي قامت على أطلالها الموصل واحدة من أقدم المدن في العالم . ويقدر لها تاريخ القدمة يعود إلى الألف السادس قبل الميلاد . عندما كانت نينوى قرية صغيرة . وقد دلت الأدوات والآلات المكتشفة فيها على أنها قد ظلت مأهولة منذ ذلك التاريخ ، لكنها كثيراً ما كانت تقع تحت حكم الأكديين والسومريين والبابليين . وفي أحد عهودها تعرضت نينوى لغارة قوم البابلية الأولى . وبزعامة [illegible] حمورابي في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد . وقد ظلت حكمها حتى ضم إلى آشور [illegible] سلطانه . وكانت فيه مدن وضواحي وعواصم . وكانت نينوى تتلقى اهتماماً خاصاً ، حتى غدت عاصمة للدولة ، كما تحدث الألواح المسمارية المكتشفة في المناطق المجاورة . [illegible] الحضارة الآشورية من الملوك العظام آشور . وشلمنصر . وسنحاريب الشاب الذي انتقل من مدينة خورسباد المجاورة إلى نينوى عاصمة حكمه . وأولى نينوى [illegible] له ولأحفاده

من أهم من حكموا نينوى ملكة آشور الأسطورية سميراميس التي يطلق عليها في العرب الاسم اليوناني سمير أميس التي جلست على العرش الآشوري مدة خمس سنوات ، باعتبارها وصية على ابنها القاصر . وهذه هي الحالة الوحيدة في تاريخ العراق الموغل في القدم الذي حكمته فيه امرأة .

وربما كان ذلك سبب نسج العديد من القصص والأساطير حول شخصيتها المثيرة . رغم اجماع المؤرخين تقريباً على أن الفترة التي حكمت فيها سميراميس كانت فترة ضعف وانكماش ، أدت إلى قيام ثورة في البلاد ، انتهت بقيام الامبراطورية الآشورية الثانية في عام ٧٤٥ ق . م



- [illegible]
[illegible]

- [illegible]
[illegible]



- [illegible]
[illegible] يلاحظ الثور الأسود [illegible]
[illegible] الأقصى [illegible]

- [illegible]
[illegible]





حين سرقوا النمرود

تقع آثار النمرود على بعد ٣٧ كم جنوب شرق الموصل . والنمرود هو الاسم الذي أطلقه العرب على مدينة كالخ او كالحو ، وهي عاصمة الامبراطورية الآشورية الثانية . ويعتقد بعض المؤرخين أن اسم نمرود جاء من القبائل العربية المجاورة التي تعزو بناء هذه المدينة إلى الملك الأسطوري النمرود . ويقول ابن منظور في لسان العرب : أن النمرود اسم ملك معروف ، أو هو نمرود الملك الذي أمر بإلقاء ابراهيم في النار .. وهي تسمية جاءت الكلمة التي هي في الأصل تحريف لكلمة « نينورتا » وهو اسم إله آشوري . ثم أصبحت صفة تدل على الجبروت والطغيان ، وهي تماثل كلمة « فرعون » التي يعنيها .

بنيت مدينة كالخو أول مرة في عهد الامبراطور شلمنصر ، فتحولت إلى خرائب . بعد أن فقدت أهميتها حتى جاء الملك آشور ناصر بال الثاني الذي حولها الى عاصمة ملكه في احتفال مهيب ، استمر عشرة أيام . وحضره ٦٩٥٧٤ شخصا كما تذكر الألواح المسمارية التي اكتشفت على جدران قصره المعروف بالقصر الشمالي الغربي . ثم نقشت على هذه الألواح أنواع الأطعمة التي تناولها هؤلاء في حفلتهم المشهورة ، ومنها أكلة تسمى « كوبي باني » ، ويرجح أنها أصل أكلة « الكبة » التي مازالت مدينة الموصل تشتهر بها

مررت بالزقورة القريبة من القصر ، ومعبد نينورتا ، ومعبد نابو المجاور الذي شيده الملك سمو أمين . والزقورة عبارة عن بناء ضخم ، بني فوق قمة معبد . كانت في الأصل ذات طبقات مدرجة في الصعود ، تنتهي عند القمة على شكل الملوية الشهيرة في سامراء .

على باب معبد نينورتا وجدت ثلاثة تماثيل ضخمة للثور المجنح ، نهشت رؤوسها اثنين منها ، أو رأسه سرقة . والثور المجنح الذي هو أشبه برمز للحضارة الآشورية في عهودها المختلفة حيوان غريب ، له رأس إنسان ، وأرجل ثور ، وجسد أسد ، وجناحا نسر . وقد كان هنالك اعتقاد بأن من شأن هذا التمثال أن يطرد الأرواح الشريرة

والغريب من التمثال الذي كان يواجه الداخلين بصدره وبرأسه للأمام . وحين تدور به تجد أنه قد نحت له ثلاث أرجل أخرى بارزة على الصخر ، بما يعني أن للتمثال في الواقع خمس أرجل وليس أربعاً . لقد واجه الفنان الذي صنع التمثال مشكلة فنية تمثل في البعد الثالث ، فقد وجد لها حلا تمثل في صنع خمس أرجل . وربما كانت تلك أول محاولة في التاريخ لحل مشكلة البعد الثالث في فن التصوير !

وحين دخلت القصر ، دهشت أولا بجمال التماثيل والرسوم وعظمتها ودقة الصنع فيها وشدة الشبه بينها وبين الرسومات الفرعونية . ودهشت ثانيا لأنني شاهدت أكثر من دليل حي على محاولات تخريب لسرقة بعض هذه التماثيل والرسومات البارزة على الجدران . فقد كان لصوص الآثار يعمدون إلى - السهولة - في عملية السرقة ، فيقطعون رأس التمثال أو جزءه العلوي من جسمه ، ثم يسهل تقطيعه وإخفاؤه ليباع بثمن بخس في سوق الآثار الرائجة . وقد شاهدت أكثر من تمثال لمخلوقات مجنحة أو الثور المجنح أو لتمثال آشور ناصر بال الثاني .

وقد دقت في الجزء العلوي منه الأزاميل بهدف اقتطاعه ، لكن المحاولة لم تكتمل لسبب أو لآخر لكن هذا السبب بالتأكيد لا يتعلق بصحوة الضمير حول سرقة تراث البلاد . وفي أوائل السبعينات

سرق لصوص الآثار رأس أسد معروف من مدينة النمرود ، وهربوه عبر سوريا ، لكن الشرطة العراقية تمكنت من استرجاعه في معاملة ، تحولت فيما بعد الى قصة مسلية

في بلاد عربايا

تقف مدينة الحضر بأسوارها الشامخة على بعد ١١٠ كم إلى الجنوب من الموصل . عمارة مرتفعة . وبوابات عظيمة . ومعابد شبه مكتملة . كلها من الحجر [illegible] . كنا نقترب من مدينة تتفتح معابدها وحجارتها التي احتفظت بشيء من النضارة رغم [illegible] . فقد كانت الحضر عاصمة مملكة عربية . تسمى بلاد عربايا . أي بلاد العرب . وربما سمعنا عن [illegible] [illegible] الحضر التي [illegible] ملك [illegible] امرأة [illegible] . [illegible]

اكتشفت في [illegible] بعض الألواح الفضية التي كتبت عليها باللغة الآرامية قوانين . تتعلق بعضها بالنساء [illegible] . [illegible] التي [illegible] . و[illegible] المرأة و[illegible] . وخصوصاً [illegible] والزواج والطلاق . وتتضمن هذه القوانين [illegible] عقوبات للزوجة التي [illegible] زوجها وهو في فراش المرض . و[illegible] [illegible] . مثل الاغتصاب و[illegible] و[illegible] الزوجية . [illegible] الاعتداء . وحددت [illegible]

[illegible] الأخرى [illegible] الإشورية [illegible] [illegible] كذلك [illegible] [illegible] . [illegible] لا [illegible] . و[illegible] [illegible] إلا في حالة الزوج من رجل [illegible] . و[illegible] خطوبة [illegible] عن أن يقوم [illegible] على رأس العروس [illegible] في يوم العيد . و[illegible] مدة أخرى من [illegible] القانون [illegible] حق الزوج [illegible] زوجته من شعرها [illegible] أذنها [illegible] في ذلك [illegible]

ومن [illegible] في [illegible] هذه القوانين [illegible] [illegible] هو الأقدم [illegible] في [illegible] مثل كثير من شخصيات التاريخ [illegible] الأسطورة [illegible] [illegible] الواقع [illegible] مدينة [illegible] . [illegible] . [illegible] [illegible] من

الأسطورة [illegible]

[illegible] . ... أي الحضر مدينة الشمس . وقد ازدهرت المدينة في القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد حيث [illegible] القبائل العربية بالتجمع حولها . وغدت هذه المدينة مركزاً دينياً مهماً . كانت القبائل العربية [illegible] [illegible] . و[illegible] [illegible] و[illegible] في [illegible] [illegible] . وقد [illegible] [illegible] العراق الأخرى مثل

[illegible] [illegible] [illegible] الحضر [illegible] و[illegible] [illegible] العربي . و[illegible] الآثار [illegible] [illegible] قبل الإسلام . وقد [illegible] الحضر كمملكة عربية و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأول عام [illegible] م و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] . وقد [illegible] الأساطير [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأسطورة [illegible] ابنة ملك الحضر و[illegible] في [illegible] [illegible] . [illegible] [illegible] من فتح المدينة . [illegible] . و[illegible] في السور [illegible] . [illegible] [illegible] و[illegible] الأسطورة و[illegible] [illegible] [illegible] الزوج من زوجته [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] . [illegible] [illegible] [illegible] . [illegible] الزوج [illegible] إلى [illegible] [illegible] كل هذا [illegible] [illegible] لا [illegible] . وكانت نهاية [illegible] [illegible] . [illegible] الأسطورة التي لا [illegible] [illegible] [illegible] . [illegible] الحضر [illegible] في [illegible] . و[illegible] [illegible] القبر

[illegible] الحضر [illegible] الذي كان [illegible] به بعض سكان مدينة الحضر الحديثة القريبة من الحصن القديم . وبعض السائحين الأوروبيين الذين كانوا [illegible] [illegible] في [illegible] هذه المدينة الشامخة التي شهدت في يوم من الأيام مجداً عربياً [illegible] . [illegible] [illegible] و[illegible] التي لم يبق فيها من حضاراتنا القديمة إلا القليل

سباق القيمة الفكرية والجمالية في أعمال النحات الكويتي

بقلم: حميد خزعل

أجساد آدمية مشدودة بالحبال، وصرخة ألم مكبوتة، ومربع مغلق على ما لا يحكى من الأسرار الرهيبة التي يعاني منها الإنسان. هذه هي مكونات أعمال النحات الكويتي سامي محمد.



إن الطريقة المفرطة بالغرابة التي يعالج بها هذا الفنان أفكاره هي الميزة الأساسية في خصوصيته التشكيلية. فهو ينتمي إلى ذلك النوع من الفنانين الذين يقدمون القيمة الفكرية والفلسفية على القيمة الجمالية، وتنبعث كل هذا الكم من الغرابة المرعبة في أعماله التي تشعر المشاهد بالقشعريرة المجنونة تجاه هذه الأجزاء الآدمية والحيوانية الممسوخة التي تكاد تشم رائحتها من خلال ثنايا الكتل البيرومرية تؤكد اتجاهه هذا.

والتساؤل الذي يطرح في محاولتنا للبحث عن الشخصية الخاصة لفكره هو: هل الصندوق شكل هندسي، أم مفردة تشكيلية لأعماله المحيرة، وأشكاله المحورة من هذا الشكل الهندسي ذي الأضلاع الأربعة، أو هذا المكعب الذي يأسر الفنان تحت حرج هذا السؤال.

والحلول الضمنية التي المخترعة لإعطاء مفرداته سمة الترابط التي تعتبر سمته الأساسية في نجاح العمل الفني من الناحية التشكيلية أضفت على أفكاره بعدا فلسفيا مميزا، وأبعدته من مهمة الاستعانة بمفردات أخرى. كان يجب إيضاحها لمكوناته، حتى يصل حل المعادلة، أو النقطة التي تتيح له التوصل لإبراز هذه الأفكار، ذات الرؤية التحليلية الغريبة.

يحاول بعضهم وضع أعمال سامي محمد ضمن المدرسة «السريالية». إلا أن هذا التبويب ناقص مبتور، بالرغم من أن الخطوط العامة لأعماله توحي بأشكال سريالية. إلا أنها تختلف في مضمونها عن الفلسفة «الميتافيزيقية» التي يعتمد عليها الخط السريالي في تحقيق مفاهيمه، وأشكاله التعبيرية المختلفة، فرازنة - لا واقعية - مضامينه.

إن من أهم الأسباب التي أعطت المشروع لربط هذه الأعمال بالسريالية هو نزوعها إلى تشكيل عناصرها، ومفرداتها، بصورة مغرقة بالمأساوية التي تتجاوز الواقع، وتتفوق عليه في أحداث الصدمة،

لكن لا يمكن بأي حال إدراج هذا الفنان ضمن أصحاب الخط السريالي. فهو وإن عمد إلى ترميز عناصر أفكاره في معالجاته التشكيلية إلا أنه قد التزم خطا واقعيا في التعبير عن مأساة الوجود، وهو قضية الإنسان في معاناته، وصراعه مع الحياة. ولقد استطاع أن يستغل الإطار الرمزي لأفكاره استغلالا جيدا تمكن من خلاله من تشكيل أعماله بمضمون إنساني.

ففي مجموعة «الصندوق» و«صرخة من الأعماق» و«محاولة خروج» و«الصراع» و«المقاطعة» التي رمز بها إلى القيد، نجد معالجة ناجحة لهذا المفهوم، حتى عبر الرموز، وطرحها بطريقة مبدعة، مما جعل مفرداته في كتل متماسكة، أعطت المضمون الذي أراد التعبير عنه. واستعمل المسطحات الخارجية للصندوق في اختزال العضلات المشرحة فقد المفردات لتقوم بدورها بالتعبير عن هذه الأفكار مضفية تجربته الخاصة في حرفته لمفهوم حيز تشكيلها، متحاشية للنتيجة التي برزت عن شكل هذه الكتلة المترابطة في قالب واحد، تخرج فيه الأشكال من نقطة حية. وتعطي إحساسا بالتوالد التلقائي الذي يتمثل في بناء أشكال جديدة، تعزز قوتها لنا وضعها.

أما مجموعته المسطحة «الصراع (١)» ١٩٧٩، و«الصراع (٢)» ١٩٨٠، و«المعتقل» ١٩٨٠، و«الحبل الأزرق» ١٩٨٦ - وهي منفذة بخامة الحبر الصيني على الورق - فهي لا تبتعد فكريا عن مضمون مجموعة «الصندوق» الذي استبدل هنا بالحبل، لتؤدي نفس الغرض في التمثيل البصري عن القهر الإنساني بشكله العام. ولا تبدو المقارنة الزمنية لولادة أي من المجموعتين قبل الأخرى ضرورية هنا، فالترابط الفكري، ووحدة الموضوع، تلغي فكرة التسلسل الزمني، وكلتا المجموعتين تعتبران تطويرا لمحاولة أولى، تمثلت في مجموعة «مكبس»، إن جاز لنا أن نطلق عليها هذه التسمية التي نفذت في سنة ١٩٧٩،

ثم تفجرت لدينا لتولد مجموعة الصندوق ، ثم الحبال . ودمج المجموعات الثلاث في رؤية تشكيلية واحدة يبرز اهتمام الفنان في معالجة قضية علاقة الكتلة التي تعبر عن احتواء حيز « محتوى » بالمحيط الخارجي « كفراغ » . وارتباط هذه الأحداث فكريا ووقتيا بالانسان الذي هو بطل الحدث الوحيد عند سامي محمد

الانسان والعصر :

عندما نستعرض أهم مجموعة في أعمال هذا الفنان التي يدور من خلالها تحليلنا لفكره في العمل التشكيلي تبرز أمامنا أشياء كثيرة مختلفة ، لكنها تظل معلقة على معنى واحد ، وهو قضية « الصراع » !

ولكن أي صراع ؟

إن تركيز الفنان على الجانب الانساني في معالجته لأعماله قد أبرزت بشكل واضح تلك العلاقة القائمة بين الانسان ومشكلات العصر الحديثة ، وهي مشكلات لا حدود من تنويعها ، والبحث في تواجهها ، وأشكالها . فالمعاناة تأخذ شكلا واحدا ، والقهر والإذلال لها ألف وجه ، لكن تلك الوجوه عندما تنطبع على وجوه ضحاياها تأخذ صفة واحدة

إن بين التعبير المثيرة التي انتهجها في تحقيق ترابطه جاءت إضافة انسانية جديدة لبحث العلاقة بين الفنان والمجتمع

من أهم ما يميز سامي معرضه المعلقة ، بإمكاناته الفكرية والتشكيلية ، فهو يحسب هذه الإمكانات بدقة رياضية ، ويحدد تماما متى يبدأ ، ومتى يقف ، فالتمادي في التعبير بفكرة معينة ، مضمونا وشكلا ، سيؤدي الى إفقاد قيمتها الفنية ، ويحولها الى قضية مستهلكة تشكيليا وفكريا ، وقد تأخذ هذا الأمر بالاعتبار . فالصندوق أولى مجسم حركاته لهذه الفكرة حدسية ، وبحوثه التشكيلية والفكرية ، واستطاع أن يكون مرحلة كبيرة من مرحلة الفصة بهدوء اتزانه . لذلك كان حتميا أن ينتهي هذا البحث التشكيلي للفنان ، ليبدأ مرحلة أخرى من البحث . وهكذا جاءت مجموعة « صبرا وشاتيلا » ، وهي عبارة عن عملين لا يبتعدان في مضمونهما عن الخط العام للتزامه الفكري بقضايا الانسان ومعاناته . بل إن هذين العملين يعتبرات تأكيدا لهذه الالتزام الانساني . فالميزة المهمة التي برزت من خلالها هي إشهار المضمون . وتقديمه للمشاهد ، فبعد أن أخرج شخوصه من الصندوق لم يجد لزاما أن يستخدم الرمزية بحدة ، كما أن التعبير عن مأساة مخيمي صبرا وشاتيلا يحتاج الى كثير من الصراحة في حركة المفردة التي لا تكن بعيدة عن حركة المفردات التي احتواها الصندوق ، والتي تعبر عن قضية عامة ، قد تحتاج الى قليل من المعالجة لشرح لفكرته . فالتجربة كانت تهدف الى إحداث صدمة للتعبير الانساني بقدر صورة المأساة التي أحاطت بضحايا صبرا وشاتيلا . وكان التعبير التشكيلي هو الوسيلة لتحقيق هذه الصدمة الفكرية ، وقد ساعد الفنان في ذلك قوة الفكرة ، وطريقة التشكيل في إضفاء طابع الهدوء النسبي على حركة الأشكال ، بدلا من الحركة الرياضية المعقدة

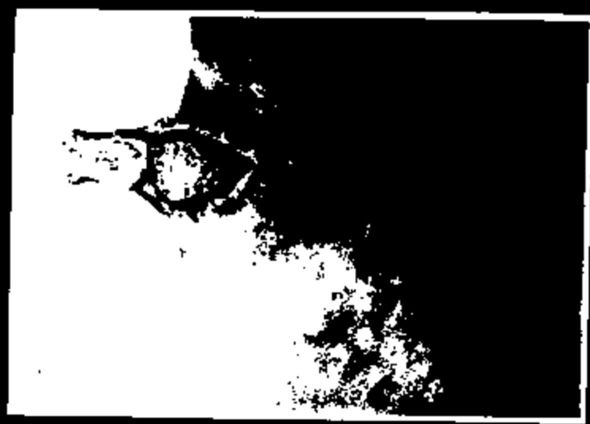
ولقد كان لتهدئة الحركة المقصودة فعل ايجابي في تقديم العملين تقديما مقبولا . فضلا عن أنها خرجت بإيجاز الصدمة العنيفة التي استدفها الفنان في عمليه المذكورين

التواصل الفني والفكري :

من أهم العوامل التي أعطت أعمال سامي محمد التشكيلية قوة الثبات على أرضية صلبة هو تركيزه الشديد على ايجاد صيغة بصرية وفكرية بين كل خطوة وأخرى يخطوها ، مما جعل لأعماله اطارا واحدا وإن اختلفت طرق التشكيل والأداء حسب ما تتطلبه صياغة الفكرة التي تولد في ذهنه . ففي مجموعة « العكس والصندوق » اتجه لعلاج قضية العلاقة بين الكتلة والفراغ ، ومعالجة حركة هذه الكتلة كشكل









يؤدي دورا « روائيا » في أعماله ، خلال حيز معين ، يخلقه هو ، ويتحكم في حجمه وماهيته ، « الكبير والصندوق » ، ثم يأتي في تلك التي تمت بمجموعة الأعمال هذه ليعالج جانبا آخر من جوانب رؤيته الفلسفية لقضية الانسان ، لكنه لم يندفع تماما الى بحثه الأول ولم ينسلخ عنه كذلك ، وهو العلاقة بين الكتلة والفراغ ، بل لقد تمكن من ايجاد مفهوم جديد ، خاصة لهذه العلاقة التي تمثلت في علاقة العمل بالفراغ المطلق .

فأعماله : (المربع الأزرق ، والحبل الأزرق ، والمعلق ، والصراخ) قد حرر فيها بطل أعماله ، وأخرجه من حيز محدود الى فراغ اللوحة ، في حركات متشنجة ، حيث بدا منهكا ومستسلما لمصيره المأساوي . إن (الصندوق) بجدرانه المسطحة المغلقة بسرية تامة لم يساعد على ايجاد حلول تشكيلية وفكرية ناجحة ، تخدمه في تحليل هذه العلاقة بين أشكاله وفراغاته ، كما أنه لا يريد أن يحيد عن رؤيته الفلسفية لهذه القضية ، فكان لزاما عليه الجهاد بشكل ناجح بصياغاته التشكيلية ، يؤدي نفس الغرض الذي كان يؤديه (الصندوق) ، ويتعايش مع هذه المرحلة بانسجام ، ويخدم هذا الشكل المرعب الذي يصور علاقة الانسان « بالقيد » . فالنظر يتمعن الى هذا الجسد البشري المعلق بوحشية ، والملتفة أجزاؤه بعضها ببعض بهذا العنف اللاإنساني يثير الغثيان . ويعطي أساسا للتواصل الفكري بين (الصندوق) و (الحبل) ، باعتبارهما رمزين لمجموعتين أو مرحلتين من مراحل تطور الفنان ، ثم تأتي بعد ذلك مجموعته التالية بقطعتين من البرونز ، باسم صبرا وشاتيلا ، بالاضافة الى قطعة من الرخام ، باسم « يكفنون القتلى وهم أحياء » . التشكيلان الجثة النهائية لهذه الرؤية ، وللموقفان بشكل مدروس الواقع الذي كان مفقودا في الأعمال التي سبقت (صبرا وشاتيلا) .

لقد كانت حلوله الأخيرة ملائمة ، من حيث تشكيل العلاقة في أعماله التي تحررت من حيز (الصندوق) مع الكم الهائل من الفراغ المحيط بها من كل جانب . فأسلوب التعبير الأماني يفرض عليها أشكالا عنيفة من (الحركة) ، تتناسب مع الدور الذي تلعبه في العمل ، وهذه الأشكال الحركية تحتاج - بالتالي - الى مساحة فراغية شاسعة ، تزج من خلالها كل هذه التشنجات المنهكة ، والانتفاضات الجسدية التي تنم عن ألم وقسوة لا نهاية لها . □

فلنترجم

يقول الاستاذ ميخائيل نعيمة في كتابه (الغربال) . نحن في مرحلة من تطورنا الأدبي والاجتماعي ، تنبهت فيها حاجات روحية كثيرة ، لم نكن نشعر بها قبل احتكاكنا الحديث بالغرب ، وليس عندنا من الاقلام ما يفي بسد هذه الحاجات ، فلنترجم . ولنجل مقام المترجم ، لأنه واسطة التعارف بيننا وبين العائلة البشرية العظمى ، ولأنه يكشف لنا أسرار عقول وقلوب كبيرة ، تسترها عنا غوامض اللغة ، فيرفعنا من محيط ضيق الى محيط نشرف منه على العالم الأوسع .

بقلم : محمود المراغي

المجتمع العربي : نموذج مصر

قديما كانت الخليقة تتجمع حيث تتوفر أسباب الحياة . الماء والزرع والأمان والطمأنينة ، وحديثا اختلف منطق الأمور ، فأصبحت أسباب التجمع السكاني متعددة ، فهناك جاذبية النشاط الاقتصادي ، أيا كان نوعه . وهناك جاذبية المدينة بما توفره من فرص عمل ومتع وخدمات أكثر

لقد أصبح الناس يتجمعون ويتفرقون لأسباب شتى ، تستدعي التأمل والدراسة ، كما تستدعي طرح سؤال : هل يختلف الأمر بين دولة وأخرى ؟ وهل يختلف منطق التجمعات البشرية ، ونموها وسلوكها من بلد عربي إلى آخر على سبيل المثال ؟

مصر نموذج عربي

من المؤكد أن البيئة تختلف من قطر عربي إلى آخر ، وكذلك عنصر الثروة ، ودرجة النمو . ومع ذلك فإن هناك أوجه شبه كبيرة ، والدليل هو آخر تعداد شامل لسكان أجرته مصر .

في ليلة (١٧ - ١٨) نوفمبر ١٩٨٦ - وهي ما يسميها رجال الإحصاء « ليلة العد » - كانت صورة المجتمع العربي في مصر على النحو التالي :

(٥٠.٥) مليونا من البشر يسكنون في جزء يسير من الأرض المصرية ، ويهجرون معظم الأرض التي يكسوها اللون الأصفر . وقد نما عدد السكان بين عامي تعدادي (٧٦ - ٨٦) بنسبة (٢.٨ ٪) سنويا في المتوسط ، وزاد عدد المهاجرين منهم ، كما زاد عدد المتعلمين والأصحاء والأطفال . ونلاحظ الآتي :

أولا : أن المجتمع العربي في مصر - وهو ربع المجتمع العربي في الوطن العربي على وجه التقريب - قد حافظ على نسبة نمو سكاني عالية ، وهو نفس الأمر في معظم الأقطار العربية . بل إنه نفس الأمر في معظم البلدان النامية ، وذلك على عكس ما يحدث في العالم الصناعي المتقدم . حيث انخفضت نسبة النمو إلى أقل من ١٪ في معظم البلدان ، وإلى الصفر في بعض البلدان التي تعادل فيها القادمون والراحلون من البشر

معنى ذلك أن المشكلة السكانية - في مصر وبقية الأقطار العربية - ما زالت قائمة ، وأن جهود تنظيم الأسرة لم تقدم شيئا يذكر ، وأن أحد معدلات قضية مستوى المعيشة - وهي العلاقة بين الموارد والسكان - ما زالت خارج السيطرة

ثانيا : يلفت النظر ارتفاع نسبة المهاجرين بالأرقام المجردة ، فقد تقول إن عدد المهاجرين للعمل في الخارج يقترب من تعداد بعض البلدان ، لكن الأهم هو الأهمية النسبية ، وهي في مصر (٤.٥٪) ، وهذه النسبة قد تبدو صغيرة ، لكن أثرها كبير بالنظر لطبيعة المهاجرين ، فقد بلغ عدد الفنيين خريجي الجامعات منهم (٤٩) ألفا عام ١٩٨٣ ، أو ، بالنظر للأهمية الاقتصادية حيث تحويلات هؤلاء المصريين أكثر من (٢٠٪) من موارد البلاد بالعملات الأجنبية . وعلى الجانب الآخر يأتي التأثير السلبي بانسحاب هؤلاء من قطاعات عمل قد تحتاجهم ، ويعودون من الخارج بأنماط استهلاك تفوق طاقة المجتمع .

والنموذج هنا ليس مصريا خالصا . لكنه نموذج متكرر في السودان واليمن ، وبدرجة أقل في تونس والأردن وغيرهما

ثالثا : تأتي حكاية الحضر والريف ، والقلب والأطراف ، وفيها أيضا تتشابه مصر مع معظم الأقطار العربية ، حيث يتزايد سكان الحضر ويقل سكان الريف ، ويتزايد سكان ما يمكن تسميته بقلب الدولة ، بينما تظل الأطراف والحدود قليلة السكان ، قليلة الكثافة .

في مصر يشكل سكان القاهرة (١٢.٥) من السكان ، فإذا أخذنا ما يسمى القاهرة الكبرى ، أي النطاق الاقليمي للقاهرة الذي يضم أجزاء من محافظات أخرى فإن النسبة ترتفع إلى ٢٠٪ ، والرقم يقترب من عشرة ملايين نسمة ، لكن - في نفس الوقت - تبدو الآثار العكسية لازدحام المدينة ، وتزايد متاعبها ، فتسجل القاهرة نسبة نمو بين (٧٦ و ٨٦) أقل من النسبة العامة للتزايد ، وتتراجع قليلا نسبة التزايد في الحضر بشكل عام ، بينما تحتفظ الحدود بأهميتها النسبية الضئيلة ، حيث لا يتجاوز سكانها (١.٢ ٪) من السكان .

ظواهر اجتماعية

في نفس الوقت تبرز في التعداد مؤشرات توضح مسيرة المجتمع ، فيرداد بتحسن الصحة عدد الأطفال تحت سن ١٢ سنة ، ويزيد متوسط العمر ، بينما لا تتغير سنوات العمل ، وهو ما يعني في لغة رجال الاقتصاد

ارتفاع نسبة من يعوله كل مشتغل ، وربما ينعكس ذلك على مستوى حجم الأسرة ، ويتراوح بين (٤.٩) أفراد في الحضر ، و (٥.٣) أفراد في الريف ، و (٦.٣) أفراد في محافظة صحراوية كمطروح ، وهو متوسط مرتفع

ومن الأرقام ذات الدلالة تراجع الأمية ، إذ تقترب من (٥٠٪) ، وتزايد أعداد المتعلمين ، وتضاعف أعداد المتخصصين ومن هذه الأرقام أيضا تفاقم مشكلة الاسكان ، حيث يشغل كل غرفة فرد ونصف

لكن - مع ذلك - هناك ما يقرب من (٢) مليون شقة مغلقة ، بعضها بسبب السفر ، وبعضها بسبب ارتفاع السعر

أليست هذه الظواهر في معظمها عربية عامة ؟ □

■ إذا سألت كريما حاجة فدعه يفكر ، فإنه لا يفكر إلا في خير ، وإذا سألت لئيما حاجة فعاجله ، فإنه إن فكر عاد الى طبعه .

(الإمام علي)



د. فاطمة المرنيسي   علاء الدين محسن

■ « الديمقراطية » قضية .

وهاجس مستمر في تاريخنا العربي .

■ العقل العربي يجب أن يهاجر . ويبدع في

أي مكان . وأي ثقافة في العالم .

ضيفة « العربي » في « وجهاً لوجه » لهذا الشهر هي الباحثة المغربية الدكتورة فاطمة المرنيسي التي تعتبر أحد أبرز الأسماء الفاعلة في حركة الثقافة المغربية اليوم .

وعلى الرغم من أن تخصصها هو علم الاجتماع تعتقد أن البحث الاجتماعي إذا كان صحيحاً أنه يهتم بدراسة ظواهر آنية ، بالاستقصاء والتحليل ، فإن هذا التحليل لا يمكن أن يخلص إلى نتائج أقرب ما تكون إلى الدقة ، بدون العودة إلى « ماضي » اللحظة الراهنة التي يجري بحثها .

وانطلاقاً من هذا الاقتناع وجدت نفسها تصبح باحثة في التراث العربي ، إضافة إلى تخصصها في علم الاجتماع .

محاولاتها لفهم الظواهر والسلوكيات والمفاهيم الاجتماعية بالعودة إلى التراث ، من أجل وضع « اللحظة » ضمن سياقها التاريخي ، بما يكفي لفهم صيرورتها ، أعطت لبحوثها تميزاً خاصاً ، يمكن أن تجد ملامحه أيضاً في حوارها حول مناقشة تراثها ومسائله .

وبسبب ثقافتها الفرنسية الانجليزية وجد من يأخذ على أبحاثها احتواءها على شيء من « النكهة الاستشراقية » ، إلا أن الدكتورة فاطمة المرنيسي تقول في حوارها مع « العربي » : « إنني امرأة خطفت حق الكلام من الرجل ، ولأننا لم نتعود سماع صوت امرأة تتكلم ينظر إلي بدهشة واستغراب » . وكأنها ترد بذلك على كل ما يقال بصدد أبحاثها .

صدر كتابها الأول « خلف الحجاب » عام ١٩٧٥ باللغة الانكليزية ، وهو ما يزال « خلف الحجاب » للأسف ، إذ لم يترجم إلى العربية بعد ، في حين ترجمت لها كتب أخرى صدرت في بيروت والرباط ، منها : « الحب في حضارتنا الاسلامية » ، و « السلوك الجنسي في مجتمع إسلامي رأسمالي تبعي » ، و « نساء الغرب » ، و « كيد النساء » ، ومن كتبها الأخرى التي صدرت بالفرنسية ولم تترجم بعد : « المغرب كما ترويه نساؤه » ، و « الحريم السياسي » ، وهو آخر كتاب صدر لها ، أما كتابها القادم فهو عن « سلطانات العرب » ، وقد نشرت بعض فصوله ـ خلال عام ١٩٨٦ في إحدى المجلات المغربية الصادرة بالفرنسية ـ التي حاولت فيها الاحاطة بمفهوم الجمال في الحضارة الاسلامية

وفي هذا الحوار مع « العربي » يتعرف القراء العرب لأول مرة على جوانب من السيرة الذاتية لهذا الصوت النسائي المغربي « المشاكس » ، إضافة إلى محاور أخرى تتعلق بالجديد من أبحاثها وانشغالاتها .

أما محاورها فهو الزميل صلاح الدين محسن ، الكاتب الصحفي العراقي ، مراسل « العربي » في المغرب

ولدت في زمن مهم ، ومدينة مهمة :

● إن سيرة حياتك ـ على العكس من أبحاثك الاجتماعية والتراثية ـ غير معروفة للقراء ، فهل يمكن أن نعود بالذاكرة قليلاً إلى الماضي ؟

ـ أنا « مباركة ومسعودة » ـ كما يصف المغاربة الناس المحظوظين ـ فأنا ولدت في زمن مهم ، ومدينة مهمة ، فالمدينة فاس ، والزمن سنوات الأربعينيات ، وآنذاك كانت هذه المدينة عاصمة

مجتمع شرعي ، وتتصارع فيه القوى [illegible] والسياسي والعسكري ضد الاستعمار الفرنسي .

وقد فتحت عيني على مسافة ٣٠٠ متر من القرويين ، في مدينة عربية إسلامية ، تعيش ثورة ثقافية حقيقية . ومن مظاهر هذه الثورة التي ما تزال عالقة بذاكرتي أن أمي كانت ترفض الاكراه في الحب ، والانصراف [illegible] شأنها شأن باقي النسوة اللواتي كن يحاولن [illegible] لأزواجهن . [illegible] سوف لن تجد الفقهاء هذا اليوم ، لأنه [illegible] علال الفاسي في القرويين ، فقد خرج علال الفاسي من السجن هذا اليوم . [illegible]

لم تكن هناك ثورة تهم الرجال فقط ، بل ثورة ثقافية حضرية شاملة ، شاركت فيها جميع الطبقات ، وفي وسط هذا الجو ، وهذه الثورة ترعرعت .

والعائلة الاسلامية [illegible] قبلها كان قادة التنشئة هم رجال الثورة ، [illegible] هم الذين يؤسسون المدارس . وقد درست في إحدى مدرستين أنشأهما الأستاذ مولاي ابراهيم الكتاني [illegible] معهد [illegible] . وكانت المدرستان [illegible] للجنسين ، ومفتوحتين على مختلف العلوم ، إذ كنا ندرس الرياضيات والقرآن والأدب العربي واللغة الفرنسية . ثم انتقلت بعد ذلك إلى مدرسة الأستاذ بن عبد الله ، وهو من الفقهاء ورجال الدين الذين قادوا هذه الحركة التعليمية الحديثة .

يهمني الحديث عن هذه المرحلة المبكرة من حياتي وتعليمي ، لأنها كانت أساسية في تكويني ، ولأنها جعلتني اكتشف مبكرا أن ليس هناك تناقضا أو عدم انسجام بين أن يكون المجتمع إسلاميا ، وبين أن يكون ـ في الوقت نفسه ـ ثوريا ، يعني إعادة النظر في بنياته ، وطرح مشاكله على بساط البحث ، ومعرفة جميع الناس على مختلف طبقاتهم واحتمالاتهم وتراتبهم بطريقة ديمقراطية ، من أجل التوصل إلى حلول لتلك المشاكل ، إني أؤمن بعقلك ، لأنني [illegible] وعشته .

● من أثر فيك بعمق من أساتذتك في تلك المرحلة ؟

ـ أثر في مدرس الشعر العربي الذي كان يدرسنا إياه الأستاذ شفيق [illegible] الأستاذ [illegible] الأدب العربي فقط ، بل علمني طريقة للوقوف في وجه العالم . والأستاذ شفيق جاء من منطقة [illegible] ليعمل في مدرسة [illegible] المستعمرون . لكن هو [illegible] ويتقدم [illegible] وهو مرفوع القامة [illegible] . لقد علمني أن من الممكن أن تكون عربيا وسط النظام الاستعماري الذي يحاصرك . وهذا المعلم هو ما يجعلك تواجه [illegible] . والأستاذ شفيق لم يكن يدرسنا قصائد [illegible] القيس وعمر بن أبي ربيعة فقط ، بل كان يعلمنا كيف نواجه العدو الأجنبي دون خوف ، وهذا شيء أساسي أثر في بعمق .

ليس هناك عقل عربي وآخر غربي

● [illegible] الآخر [illegible]

ـ غالبا ما أسافر إلى أقطار توصف عادة بأنها متخلفة ، لكنني لا أحسها كذلك ، إذ لا يخطر على بالي ، ولا يمكن أن أتصور أنه هناك من يظن أنني أعاني من نقص في عقلي أو ثقافتي لمجرد أنني عربية ، فأنا أعرف غنى ثقافتي وتاريخي وتراثي . [illegible] الاحساس بالامتلاء ، والوقوف على أرض ثقافية صلبة أنا مدينة به لتلك المرحلة الأولى التي كانت مؤثرة في حياة المغرب ، وحياتي . وأنا لا أعتبر أن هناك عقلا عربيا وعقلا غربيا ، بل أعتبر أنني ، أنا

فالطفل الفرنسي - مثلا - ينتمي إلى مجتمع غربي ضمن العالم الأوسع، وهذه الكرة الأرضية تبدو ملكا للغرب. لقد أدى لي الحق فيها، ولي الحق في ثقافة هذا العصر، لأنني أمتلك حضارة يمكنني أن أساهم بها على الصعيد العالمي.

لقد طلب مني البعض من المثقفين حول الشرق والغرب، إذ كيف يمكنني أن أقول: «أنا في مواجهة مع الغرب» في حين أنني أستعمل السيارة والتلفاز والحاسوب «الكمبيوتر»؟ فالقضية ليست في أن تكون ضد الغرب أو معه، لكن القضية في سؤال يقول: كيف يمكننا أن نجد مكانا لنا في هذا العالم اليوم، وكيف يمكننا مثلا المساهمة في حضارة التلفزة؟

والعرب لا يمكن أن يكونوا فقط بالاكتفاء عن الذات، وبناء الصحراء، ودرس الجدود. لا بد من التحرر من ذلك، ليس فقط بالانفتاح، وإنما بأن نأخذ من حضورنا الثقافة ما نقدر به الغد.

* وهل تطبيق الاستبداد في الشرق يمكنه أن يواجه «ديمقراطية» الغرب، وتنهض كما قلت؟

- في كتابي الأخير «الحريم السياسي» أتناول بالبحث عن حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - الثلاث سنوات الواقعة ما بين غزوة أحد وفتح مكة التي كانت زاخرة بمظاهر صاخبة حول مختلف الأسئلة، من خلال محورين هما: الحوار بين السيد والمسود، والحق بين المرأة والرجل.

لقد تطلب مني هذا الكتاب خمس سنوات من العمل، وتعتبر أنه يتضمن الفكرة التي تقول بأن العالم العربي ليس له في ذاته تقاليد من ممارسات حرب «الديمقراطية»، وأنه نقل المفاهيم «الديمقراطية» عن الغرب. واعتمد في الكتب على نصوص ووثائق استخرجتها من السيرة النبوية لابن هشام، ومن الطبري - تاريخ الطبري -.

أحد هذه النصوص يعود بنا إلى معارك الفتنة الأولى بين عائشة والإمام علي - كرم الله وجهه -. فقد كان طلحة والزبير يخطبان في أحد مساجد البصرة، فقام لهما رجل من عبدالقيس، فقال له طلحة: أيها الرجل أنصت حتى نتكلم. وقال له عبدالله بن الزبير: «ومالك والكلام؟» لكن الرجل تكلم. وقال: «يا معشر المهاجرين، أنتم أول من أجاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان لكم بذلك فضل، ثم دخل الناس في الإسلام كما دخلتم. فلما توفي رسول الله - عليه الصلاة والسلام - بايعتم رجلا منكم، والله ما استأمرتمونا في شيء من ذلك، فرضينا واتبعناكم، فجعل الله عز وجل للمسلمين في إمارته بركة. ثم مات - رضي الله عنه - واستخلف عليكم رجلا منكم فلم تشاورونا في ذلك، فرضينا وسلمنا. فلما توفي الأمير جعل الأمر إلى ستة نفر، فاخترتم عثمان، وبايعتموه عن غير مشورة منا، ثم بايعتم عليا عن غير مشورة منا، فما الذي نقمتم عليه فنقاتله؟ هل استأثر بفيء أو عمل بغير الحق، أو عمل شيئا تنكرونه، فنكون معكم عليه، وإلا فما هذا؟»

فهموا بقتل ذلك الرجل، فقام من دونه عشيرته، فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى من كان معه فقتلوا سبعين رجلا

تاريخ الأمم والملوك للطبري. الجزء الخامس. ص ٤٧٩.

وهذه القصة بالنسبة لي تحمل صوتا هو من أهم الأصوات المطالبة «بالديمقراطية». فكيف يمكن بعد ذلك القول بأن قضية «الديمقراطية» وحقوق الإنسان غريبة على تاريخنا، وأن الاستبداد هو فلسفة الشرق؟

لقد قلت في جوابي السابق: إن علينا أن نواجه العالم بالعودة إلى تاريخنا. والتمعن المقنع في هذا التاريخ من شأنه أن يجعلنا نعرف أن الديمقراطية كانت باستمرار مطلبية وحاضرة ضمن هذا التاريخ. فنحن

لسنا مجموعة من فاقدي الذاكرة ، بل لدينا ذاكرة مكتوبة ، يمكنها أن تعطينا قوة متى عرفنا كيف نستعملها لنعيش العصر .

نحن اليوم نعيش العصر بشكل ما ، ويغيب للأسف حضورنا الفعلي ، هذا هو حصيلة الركائز وصراعات . فالحرب اللبنانية مثلاً لقد دفعت بالمثقفين اللبنانيين الخلاقين نحو أوروبا ، وهكذا فعاليتنا تمت بطريقة مؤلمة ، لكن فيها مع ذلك جانب إيجابي ، رغم أنه رمزي ، يتمثل في أن العالم أصبح يتعامل مع هذه الطاقات العربية الخلاقة

هناك من يتحدث عن هجرة العقول العربية ، وسلبيات هذه الهجرة ، لكنني لا أتفق مع هذا الرأي ، لأن العقل العربي يجب أن ينتقل ويعمل ويبدع في أي مكان وأي ثقافة في العالم .

والسؤال الذي يجب أن يطرح بصدد هذه العقول العربية المهاجرة خارج أوطانها هو كيف يمكن لنا أن نربط جسراً للإبداع بين الداخل والخارج . أتوقف هنا وفي ذهني أن الصين لها أقليات في جميع الأقطار الأسيوية ، وهي تستعملهم كوحدات جماعية أو كعناصر مفردة ، وتدعمهم ثقافياً ، وتنمي بينها وبينهم علاقات اقتصادية وثقافية . لتحقيق هدفين الأول يتجلى في استمرار محافظة هذه الأقليات على الروح والحضارة الصينيتين والثاني هو تمكين الأقليات الصينية من القيام بدور سياسي وثقافي في البلدان التي تعيش فيها

لقد زرت ماليزيا ، وذهلت عندما رأيت أن الماليزيين من أصل صيني هم الذين يقودون البلاد ويقتنونها اقتصادياً

ويجب أن لا يفهم من مضمون جوابي هذا على أنه دعوة للاستيلاء على العالم ، لأني أدعو في العمق إلى المساهمة في خلق عالم له أصوات ثقافية متعددة بما فيها الصوت العربي .

الرجل العربي تعيس ؟

● أبحاثك الاجتماعية والتراثية [illegible] عن المرأة ... [illegible] ، [illegible] الرجل العربي ؟

ـ لست أنا من سيقول رأيا في الرجل العربي ، لكن الكتاب والسينمائيين والروائيين والمغنين العرب هم الذين عندما نقرأ أعمالهم أو نشاهدها أو نسمعها نجدها تتحدث عن رجل تعيس . لا ينال حظه من الحنان ، وعلاقته بالمرأة دائماً علاقة مفرقة يخاف منها لأنها مخادعة ، تهجره وتختار حبيباً آخر ، وهمها هو البحث عن الرجل الغني

وبعبارة أخرى فإن الإنتاج الثقافي هنا هو الذي يعبر عما يجول في خاطر الرجل ، وإحساسه إزاء نفسه

لقد استرعى ذلك الخطاب الرجالي عن الرجل العربي انتباهي ، وفي النهاية وجدت أنه ليس صعب فهمه ومعرفة أسبابه ، فالعلاقة المريضة المبنية على عدم التوازن التي أحد طرفيها مفهوم المفترق لا يمكنها سوى أن تنتج رجلاً كهذا ، ومن الخطأ أن نعتبر الرجل العربي غير مفهوم ، بينما الطرف الآخر الذي يعيش معه علاقة الحب والعشق مقموع فيها ، إنه يستهلك علاقة مع أسياد لا حقوق له ، وعلاقتهم بالتالي علاقة السيد بالمسود ، كما يحس الرجل مسلوب الحق بالسعادة من خلال الحب ، وهذا يجعلني أقول أن الرجل العربي غير سعيد عاطفيا

● أي صنع تعبير في موقف هذا ؟

ـ في سلسلة مقالات نشرتها مجلة « كلمة » المغربية ، بالفرنسية تناولت مفاهيم الحب والجمال ، وضمنها تساءلت لماذا ارتبط مفهوم الجمال بالصمت ، ولماذا يجب أن تكون المرأة الجميلة

صامتة . ومن اين أتى الينا هذا التصور ، وما علاقة مفهوم الجمال بمفهوم الصمت ، وهل هو سياسي ويقابل الحق في التعبير .

غريب ان يصبح الجمال رقابة ، بوليسية ، تمارسها المرأة على نفسها ، كي تكون محبوبة ، وأي نوع من الرجال ذلك الذي يحب امرأة تمارس على نفسها مثل هذه الرقابة . لقد قالت لي خالتي بأنني اذا اردت ان اكون جميلة فيجب ان اصمت ، لكنني عرفت رجالا احبوني لأنني اتكلم ، وهذا معناه ان الرجل احيانا يفلت من قبضة العقلية السائدة ، وهي عقلية تحاول تبرير مواقفها بالعودة الى مرجع هو التراث . لكن هل تراثنا الحقيقي كذلك حقا ؟

إنني متشبعة بالتراث النبوي ، والنبي - ﷺ - مثلا كان يحب عائشة ، ويحب خديجة وام سلمة ، ولقد انزعج النبي (ﷺ) مرة ايما انزعاج لأن عائشة وصفت خديجة بعد موتها بالعجوز ، انزعج لأنه رفض أن تمس خديجة التي كان يحبها حتى بعد موتها . ولك ان تتصور اي احترام واي علاقة جميلة كانت تربط النبي (ﷺ) بنسائه ، فكيف يقال لي اليوم انه ليس من صميم حضارة الرجل العربي ان يحب المرأة الا اذا كانت .. صامتة ؟ هذا احد الأمثلة من النبع الذي اعنيه .

لقد خطفت حق الرجل :

* وهل تكتبين في قضايا المرأة على الأخص احتجاجا على هذا القمع ؟

- اهتمامي بالمرأة هو استمرار لصيرورة تاريخية ، تتجلى في ان هناك دائما خطابا عن المرأة . إنني اكتب في هذا الموضوع استمرارا للصيرورة من تراث حضارتنا . ولقد انجزت مؤخرا لليونسكو بحثا حول كيفية تعامل الكتّاب العرب مع المرأة العربية ، وارفقته بوثيقة ، وهي لائحة كان قد وضعها صلاح الدين المنجد ، وجمع فيها ما ألفه العرب عن النساء ، وقد بلغ ذلك ثمانين كتابا . وهذا الرقم لا يعبر بالطبع عن مسح شامل .

استخلص من ذلك ان كتابتي عن المرأة امر طبيعي . وفي حالتي فان ما هو غير طبيعي يتمثل في كوني امرأة تكتب في قضايا المرأة ذاتها ؟ لأن هذا الخطاب عن المرأة كان دائماً من قبيل حكرا على الرجل ، بل هو من امتيازاته .

ما حدث اذن ، هو انني امرأة ، خطفت ، حق الكلام حول هذا الموضوع ، ولأننا لم نتعود سماع صوت امرأة تتكلم ينظر الي بدهشة واستغراب ، ولو كنت امرأة تتحدث بصوت خافت ، وتعيد ما قاله الرجل من قبل ، وتكرس ما هو سائد ، لقيل عني بأنني امرأة عظيمة . ☐



النحو - قواعد

تقول الأديبة العراقية الدكتورة نازك الملائكة : إن قواعد النحو العربي ليست إلا صورة من القوانين المنظمة التي تخضع لها الجماعات ، والجماعة التي تضع قواعد لغتها لابد أن تضع قواعد تفكيرها وسلوكها ، وإن لزوم القاعدة النحوية صورة من إحساس الأمة بالنظام ، ودليل على احترامها لتاريخها ، وثقتها بنفسها ثقة كاملة أصيلة .



أفضل أصدقاء الإنسان

بقلم : سمير صلاح الدين شعبان

في عام ١٩٥٤ م انطلقت إحدى سفن الأبحاث الفرنسية من عدن باتجاه الخليج العربي ، للتنقيب عن النفط فيه . وبينما كانت السفينة تودع الميناء لمح القبطان في الأفق بقعة كبيرة من سطح البحر ، يرتفع فيها الزبد ، وكأن الماء « يغلي » ! فاعتقد القبطان في بادىء الأمر أن هذا الزبد المرتفع نشأ من ارتطام الأمواج « بشعب » أو جدار صخري ، وبغية التأكد رجع القبطان إلى خارطته « ليشاورها » ، فارتسمت على وجهه ملامح الدهشة ، إذ لا وجود لمثل هذا « الشعب » في تلك المنطقة !

اقتربت السفينة من ذلك الزبد شيئا فشيئا ، فوقعت عينا القبطان على مشهد لم تر مثله ، وربما لن تراه عين بشر .. « رقصة باليه مائية » ، يشارك فيها ما يزيد عن ١٠٠٠٠ دلفين ، كل دلفين يقذف نفسه في الهواء كالصاروخ ، مستمتعا بقفزاته التي تنتهي

والمنظر يثير كثيرا من المزيد . وتساءل القبطان كيف اجتمع هذا العدد الهائل من الدلافين ، في هذا الزمان وفي هذا المكان ؟

سفينة أخرى كانت تمخر عباب البحر في الشرق الأقصى بسرعتها القصوى . وتأرجحت مقدمة السفينة إلى الأعلى ، ثم إلى الأسفل . لتدفع أمامها موجة عالية . وفجأة لاحظ القبطان أن هناك من يسابقه . مجموعة من الدلافين ، في أثر السفينة من كلا الجانبين . وتنطلق بسرعة مساوية لسرعة السفينة . وتزيد عنها أحيانا .

الدلفين القائد ، يأخذ زمام المبادرة . وينطلق كالسهم أو الطوربيد إلى مقدمة السفينة . وحتى يصل إلى قمة الموجة التي تدفعها السفينة أمامها . يسترخي فوقها . ويترك لها تدفعه إلى الأمام . ثم ينطلق تحت الماء ، ويختفي عن الأنظار . ويسرع الدلفين التالي ، بركوب الموجة .. وبعد قليل يصبح المكان المجاور للدلفين الثالث . وهكذا دواليك . كي يتسنى المجال لجميع الدلافين المشاركة في هذه اللعبة المرحة .

يحدث كل هذا والدلافين منطلقة بسرعة لا تقل عن ٥٠ كيلو مترا في الساعة . وهي تتسابق متقافزة على جانبي السفينة . وكأنها تحاول أن تحاكي السفينة . حتى إنها طائرة فوق سطح الماء . وقد لاحظ القبطان أن ألعاب الدلافين هذه جماعية . تشترك فيها الجميع دون استثناء . وأن الجميع يبدون الحركة والتصرف في نفس اللحظة . ويتساءل القبطان كيف يتم تحديد لحظة البدء ؟ وهل للدلافين لغة خاصة بها ؟

شاهد الأستاذ « البروفسور » (ريني بوسنيل BUSNEL) في عدد من المناسبات أرتالا من الدلافين ، يزيد طولها عن (٣٥ - ٤٠) كيلو مترا . وقد أحاطت الدلافين مرة بسفينة من كل جانب ، أثناء إحدى رحلاته في البحر الأبيض المتوسط . وقد رتبت الدلافين نفسها . بحيث يتمتع كل منها بحيز يقارب ٢١ ياردة مربعة فقط من سطح البحر . وقد قدر « بوسنيل » عددها بخمسة ملايين ! فما الذي يدفع الدلافين إلى السعي لمرافقة السفن ، بهذه الأعداد الكبيرة ؟

ومرة كان الغطاس الأمريكي « فورد لايبهانت » يراقب نشاطات الحيوانات البحرية عن قرب ، على عمق ٣٠ قدما ، مع شريكه « السلفادور » . فشعر بحركة خلفه فالتفت ليجد نفسه وجها لوجه مع دلفين . لا تفصله عنه إلا مسافة بضعة سنتيمترات ، يداعبه ! ورفع يده « لايبهانت » ليلمسه . تراجع قليلا الدلفين . فأحس الغطاس خيبة مرة . لكنه بقي ثابتا بدون حركة . عندها عاد إليه . وكأنه يدعو الغطاس إلى مبادلته الشعور نفسه بالثقة . ومرت لحظات طويلة . والاثنان يحدقان ببعضهما البعض ويتعجبان !

كان هذا الدلفين مشهورا لدى غطاسي تلك المنطقة . وكان كثير التردد عليهم ومداعبتهم . وقد أطلقوا عليه اسم « سانتي » ، وفي كثير من الحالات كان يسمح بإمساك زعنفته ويجر الغطاس خلفه كالطفل . لكن يحلو لـ « سانتي » أن يقترب بأقصى سرعته ، فيداعب مرحه المتعمدة ، حتى يجد نفسه أمام سمكة القرش التي هي حيوان وحشي يبحث عن ضحية للأسنان .

ظل « سانتي » يسبح ويلعب مع الغطاسين المشهورين قرابة سنة كاملة ، لكنه اختفى فجأة ، كما جاء فجأة ، ولا أحد يدري إلى أين ذهب .

حياة الدلفين

يعيش الدلفين في جميع محيطات الأرض ، وفي عدد من الأنهار ، في أمريكا الجنوبية (مثل الأمازون) ، وفي آسيا (مثل الغانج) ، ورغم أن مظهره الخارجي يشبه الأسماك ، لكنه من الحيوانات الثدية (اللبونة) التي ترضع صغارها . والدلافين ـ وتسمى أحيانا بوربويس PORPOISE ـ عبارة عن حيتان صغيرة مزودة بأسنان

اكتشف علماء الأحياء البحرية حتى الآن ما يزيد عن ٥٠ نوعا من الدلافين والبوربوس، يختلف بعضها عن بعض في كثير الصفات، مثل الحجم والشكل والوزن، وعلى سبيل المثال فإن «دلفين الهوارد» صغير جدا، لا يزيد وزنه عن ٤٥ كيلوجراما، وطوله ١٥٠ سنتيمترا. أما أكبر أنواع البوربوس، وهو «الأوركا ORCA»، فقد يصل وزنه إلى حوالي ٩٠٠٠ كيلوجرام، ويطلق عليه أحيانا اسم «الحوت القاتل»، ويصل طوله إلى ٩ أمتار. إلا أن أكثر الأنواع المشاهدة ومرة هو ما يسمى بالدلفين «العادي»، والذي يعود الفضل في معرفة كثير من الحقائق عن الدلافين والبوربوس بشكل عام.

وبما أن الدلفين من الثدييات «اللبونات» فهو مضطر إلى تنفس الهواء، لذا يضطر للظهور بين حين وآخر للتنفس، بواسطة منخره الوحيد الموجود قمة رأسه، وعندما يظهر الدلفين يفتح منخره، ليزفر الهواء المتراكم في رئته، ويستنشق هواء نظيفا، ثم يغلق المنخر، ويغطس في الماء مرة أخرى.

يصعد معظم أنواع الدلافين إلى سطح الماء لتتنفس مرة كل (٤-٦) دقائق، وحتى عندما تكون نائمة فإنها تتحرك بصورة لا إرادية إلى السطح لتتنفس، ويضطر بعض أنواع الدلافين، مثل «دلفين أنف الزجاجة»، للتنفس مرة كل ٢٠ ثانية.

وهناك أنواع أخرى تتمكن من حبس أنفاسها مدة تصل إلى ٣٠ دقيقة أحيانا.

الدلفين «متلائم» مع بيئته المائية بشكل كبير، فجسمه مغلف بطبقة سميكة من الدهن، تحميه من برودة مياه المحيطات البحرية، وجسمه انسيابي كالطوربيد، مجهز طوليا يسهل انزلاقه في الماء، وزعانفه الموجودة على جانبي جسمه تساعده على التوازن، وتغيير وجهته. أما زعنفة المؤخرة، فهي تحت عضلة الذيل القوي الذي يتحرك نحو الأعلى



والأسفل، لتدفعه إلى الأمام بسرعة هائلة، إذا لزم الأمر، وإلى جانب الزعنفة، يعود الفضل في تصنيفه ضمن أسرع السابحين، فهي التي تؤمن له سرعة تصل إلى ٥٠ كيلومترا في الساعة في بعض الأحيان.

هل هناك علاقة بين «ألوان» جسم الدلفين «وتلاؤمه» مع بيئته المائية؟

إن ألوانه تسمح له بالاختفاء عندما يشعر بالخطر، فمن ينظر إليه من الأعلى لا يقدر على تمييز لون ظهره القاتم، الداكن، عن لون مياه الأعماق القاتمة أيضا. وعند النظر إليه من الأسفل يتلاشى لون «بطنه» الفاتح مع اللون البراق لسطح الماء.

تسبح الدلافين بمجموعات كبيرة تحميها حماية إضافية ضد الأخطار المختلفة، ويتراوح عدد أفراد مجموعة الدلافين بين بضعة حيوانات وعدة آلاف، وقد يتجاوز عدد مجموعة منها في بعض الأحيان-



... الدلافين عن ... صعب ...

١٠٠٠٠ دلفين ! وعندما تسبح الدلافين بشكل مجموعات فإنها تبقى على اتصال مستمر فيما بينها ، عن طريق إصدار الأصوات المختلفة . وعندما يشعر أحد الدلافين بالخطر يصبح حالة النجدة من رفاقه .

يعرف عن الدلافين أنها تهب مسرعة لإنقاذ الدلافين المجروحة ، أو المريضة ، أو المصابة بعارض ما ، إذ كثيرا ما يصعب على الدلفين المصاب الصعود إلى سطح الماء للتنفس ، وهنا تبادر الدلافين على حمل المريض منها إلى السطح على زعانفها ، وتسبح معه إلى السطح .

يروى عن قيام الدلافين بإنقاذ بعض الغطاسين من الغرق بالطريقة نفسها حكايات كثيرة ! لكن هذه لا تشكل الطريقة الوحيدة للتضامن بين الدلافين وتكافلها . فعندما تلد أنثى الدلافين تسارع إناث القطيع الأخريات لمساعدتها في عملية الولادة نفسها أولا . ثم تساعدها في دفع وليدها نحو سطح الماء للتنفس ، علما بأن الوليد الجديد يطفو إلى سطح الماء فور الخروج من البطن للشهيق الأول ... وإلا مات غرقا ، وسبب حزنا لأمه ولرفيقاتها !

تضع أنثى الدلفين مولودا واحدا بعد مضي سنة كاملة تقريبا على عملية الإخصاب . وتتم الولادة غالبا في أواخر الربيع من كل سنة . وبعد الولادة مباشرة تقوم الأم بدفع وليدها ، تساعدها الإناث الأخريات ، برفق إلى السطح . وقد تساعد الأخريات أيضا في الإمساك بالوليد الجديد أثناء عمليات الرضاعة الأولى . تستمر الأم بإرضاع وليدها قرابة ١٠ أشهر . والأم مزودة بعضلات خاصة تمكنها من عصر حليبها في فم رضيعها .

تم تدريب عدد من الدلافين الذكية الأمريكية على القيام بعدد من المهام والحيل في أحواض مائية خاصة . يشرف على عدد كبير من هذه الأحواض البحرية . وهناك يقفز عدد منها عبر حلقات معلقة في الهواء ، أو يقفز لاقتناص سمكة من يد المدرب الواقف على حافة الحوض . وغير ذلك كثير فمن أين لها هذا الذكاء ؟

الرؤية السمعية

يرى [illegible] الدكتور [illegible] كينث نوريس (K. NORRIS) من جامعة كاليفورنيا في (سانتا كروز) [illegible] لإثبات العلمي على أن مقدرة الدلفين المدهشة على الرؤية تحت الماء ، إنما تتم بواسطة حاسة السمع . ففي عام ١٩٥٩م قام (نوريس) بربط عيون أحد الدلافين ، ثم وضعه في مساحة مصمتية . لكنه فوجئ بالدهشة عندما وجد أن الدلفين شق طريقه بكل سهولة ويسر كأنما يعرف طريقه وهو معصوب العينين »

تجيب الدكتور (نوريس) عن هذا السر قائلا : بأن الدلفين يطلق أصواتا خاصة [illegible] تخرج [illegible] بين التجويف الأنفية الموجودة داخل حجيرة [illegible] وهذه [illegible] [illegible] الصوت تنطلق بين [illegible] وبعد ذلك [illegible] « الصدى » [illegible] ويلتقط قطرات من « المطاطات » [illegible] يتم تركيز هذه الأصوات [illegible] « عدسة » من الدهون الموجودة في جبهته تماما كما تقوم العدسات الزجاجية بتجميع [illegible] الضوء في نقطة تجمع (محرق) رئيسية

ويستطيع الدلفين مثل هذه النبضات بين فينة وأخرى ، ويتصنت ، عله يعثر على طعامه المفضل ، مثل سمك البوري أو أحيار [illegible] كميات كبيرة منه بشهية واضحة ، وتساعده [illegible] على الاهتداء إلى الطريق الصحيح ، وتجنب الحواجز . وقد لاحظ العلماء من هذه الطقطقات ، التي يصدرها الدلفين يزداد ، كلما أصبح على مسافة أقرب من فريسته . وقد وجد الدكتور (نوريس) أن الدلفين قد تمكن بمساعدة طريقة « تحليل الموجات » هذه ، من التحديد الدقيق لموقع كبسولة (فيتامينات) تحت سطح ماء الطرف الآخر لحوض مائي كبير »

وقد أعرب (نوريس) عن اعتقاده بأن البشر سيكتشفون - يوما ما - المهارة الكاملة للدلافين « في التقاط الصور الصوتية » . ويشير إلى أنه أصبح من الثابت الآن أن بمقدور الدلافين التعرف على طبيعة الأجسام وحجمها ، ويعتقد بأن هذه القراءات الصوتية المشابهة الحساسية قد تسمح بإدراك تحاسس الدلافين الأخرى وانفعالاتها »

وقد وجد (نوريس) أيضا أن الدلفين [illegible] أذني [illegible] فتحة أكبر [illegible] رأس [illegible] الأذن الحقيقية [illegible] رقيقة من عظام الفك [illegible] الأصوات خلالها ، وأن [illegible] تجيب خطأه عن فكرة [illegible] الملامح الأساسية للدلافين [illegible] تحدثت عنه . وظلت [illegible] حتى خنقت [illegible] الوثائق في فمها وأعادته إلى [illegible] وكأنما تريد أن تقول له [illegible] هذه حيلة [illegible] ا.

[illegible] حكايات طريفة عن ذكاء الدلافين [illegible] وعلى سبيل المثال ، فقد عود [illegible] MULLEN . J) دلافينه على ، تنظيف مسابحها) وكلما أحضر الدلفين للمدرب قطعة من الأوساخ نال سمكة بوري مكافأة على النظافة ، لكن الشك اعتراه ، عندما أصبح أحد الدلافين ، المسمى « السيد سبوك » ينال المكافأة تلو الأخرى ، جزاء إحضاره قطعا من الأوراق الممزقة ، وأخيرا وجد المدرب أن « السيد سبوك » كان ينال مكافأة في كل مرة على قطع من الورق البني المتشابهة ، الممزقة من كيس واحد ، وفتش المدرب في الحوض فوجد أن « السيد سبوك » كان قد خبأ كيس ورق في إحدى زوايا الحوض ، وأنه كان ينزع منه قطعة صغيرة في كل مرة ، ويقدمها للمدرب « الكريم » »

تجرى دراسات حثيثة في عدد من دول العالم على

الدلفين ، لمعرفة مزيد من المعلومات حول براعته وخصائصه . وقد وجد الدكتور « سام ريدجواي - S. RIDGWAY » أن للدلفين عددا من « المعدات » ، مثل البقر ، والماعز . وقد وجد بعد دراساته المكثفة في « مركز الحصل الحربية » في « سان دييغو » أن الدلافين تركز النوم في المخ ، مثل الحصان تماما ، وأنها بحاجة إلى ساعات محدودة من « النوم » ، مثل البقر أي من ساعتين إلى ثلاث ساعات ، كما وجد أنها قادرة على النوم مع إبقاء إحدى العينين مفتوحة ، كما يبقى نصف المخ مستيقظا !

يجمع علماء هذا المركز تصب أعينهم استخدامات أقرب إلى الحياة العملية ... ويشير « وينشارد سوك » الذي يرأس قسم الحمل الحيوية إلى أنه قد فرق تجهيزاتنا « الالكترونية » لانتمكن من محاكاة عشر مقدرة الدلفين السمعية تحت الماء .

ويقول إن البحرية الأمريكية ترغب في تصميم هذه القوة ، بغية ابتكار أنظمة صناعية قادرة على التصنت تحت الماء ، انطلاقا من تقليد الدلافين .

تقوم الدلافين بإصدار عدد من أصوات الاستكشاف ، متحدث في ذبذبات أعلى بكثير من تلك التي تقدر الأذن البشرية على سماعها ، أو قلنا إنها موجات « فوق صوتية ULTRA SOUND » .

وقد نجح مهندسو البحرية الأمريكية في تسجيل النبضات التي يولدها الدلفين ، ولكن بواسطة الأجهزة « الالكترونية » ، وبثها ونشرها تحت الماء ، وبعد ذلك يقوم حاسب « الكتروني » باستقبال الأصداء المنعكسة ، وتحويلها إلى موجات تتمكن الأذن البشرية من سماعها ، وهكذا يمكن للمطلعين من البشر وهم مغمضو العينين من التمييز بين الأجسام الموجودة في الماء ، مثل الدلفين تماما !

يكمن الهدف النهائي لمثل هذه الاختبارات في التوصل إلى حلة سمعية سائمة « الكترونية » بالكامل ، لاتتحمل منها قدرة حواس الانسان إطلاقا ، ويستخدمها الغطاسون مثلا ، أو تستخدم في توجيه « الطوربيدات » إلى أهدافها المحددة سلفا .

يوجد في مركز الأبحاث هذا أنثى دلفين عجيبة ، تطلق عليها اسم « كاي KAE » ، وقد اشتركت ذات يوم مع مدربها « ارل مور تشيسون - E. MURCHISON » في لعبة « عشرون سؤالا » .

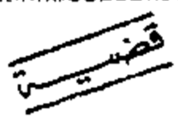
قام المدرب بعرض ستة أجسام مختلفة الأشكال والأحجام ، كل جسم على حدة في الماء ، وعلى بعد ٣٠ قدما من « كاي » ، في الوقت نفسه كان أحد المدربين يستمع إلى الأصوات تحت الماء بواسطة مكبر صوت ، وسأل « ابرل » ... « هل هناك شيء ؟ » ، صدرت « كاي » بإصدار « طقطقاتها » الرادارية ، حتى اطمأنت وتأكدت ، وبعد ذلك استدارت لتعطيه « الجواب » ، وقد ضربت الكرة الحمراء التي تعني ضربها لها : « نعم » ، وبما أجابت « كاي » ... صح حصلت على مكافأتها .

وازداد اعجاب الحاضرين « بكاي » ، عندما أجابت إجابة صحيحة على السؤال الثاني متفق وحدة عليها . وقد كان السؤال « هل هو اسطوانة ؟ » . وقد قام « ابرل » بعرض اسطوانات من أحجام مختلفة ومن مواد مختلفة أيضا ، منها ما هو مصنوع من الخشب ، أو الفولاذ ، أو اللدائن ، أو الألمنيوم ، ومنها ما هو مصمت « خال من التجويف » أو مجوف ، وفي كل مرة كانت « كاي » تشغل « رادارها الصوتي » ثم تعطي الإجابة الصحيحة ... « نعم » .

ثم أنزل المدرب قطعة حديد بشكل زاوية ، فتم ضربها كذلك ، وضربت طقاعة من بحضرها . وأجابت ... « لا » ... وهذا يوحي بأن هذا الحيوان يدرك فعلا « المفهوم التجريدي » للاسطوانة .

كانت التساؤلات التالية في برنامج التدريب « هل هو معدني أم لا ؟ » ، « هل يتحرك ؟ » ، وبالاعتماد على هذه التساؤلات التي تكفي الإجابة عليها بنعم أو بلا ، سيتمكن العلماء من معرفة المزيد عما يدركه الدلفين بواسطة « راداره الصوتي » . □





تعريب التعليم الجامعي

أجرى الحوار : أبو المعاطي أبو النجا

قضية التعريب قضية قديمة متجددة ، ذات اتصال وثيق بإشكالية الأصالة والمعاصرة ، من أهم عناصرها قضية تعريب التعليم الجامعي ، التي تتميز فيها جامعة دمشق بموقف قومي رائد وجريء . حول هذا الموقف تجري مجلة العربي هذا الحوار مع أستاذين كبيرين في جامعة دمشق هما : الدكتور عادل العوا - رئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب والدكتور عدنان تكريتي - أستاذ [illegible] بكلية الطب . وفي هذا العدد ننشر الجزء الأول من الحوار مع الدكتور عادل العوا .

■ لجامعة دمشق موقف متميز [illegible] من قضية التعريب ، وتجربة [illegible] جامعة [illegible] عدد من مواد العلوم باللغة العربية [illegible] في [illegible] هذه القضية [illegible] أو الأطر الفكرية التي [illegible] عليه هذا الموقف في جامعة دمشق ؟

- ليسهل تحديد هذا الإطار نوضح في البداية ماذا نقصد بمصطلح « التعريب » ، ونفرق بينه وبين مصطلح « الترجمة » . فحين نقوم بترجمة كتاب أو نص من أي لغة إلى اللغة العربية مثلا فهذه ترجمة . والترجمة هنا هي عملية نقل المعرفة ، وهنا ينبثق سؤال : ماذا نريد من هذه الترجمة ؟ فإذا كنت أريد

من قبل هذه الحركة أن تتيح الفرصة للثقافة العربية لكي تتحاور مع ثقافة جديدة ، وأن تتلاقح معها ، فتثمر الثقافي وتزدهر ، وتصبح أكثر قدرة على الإسهام في الثقافة العالمية ، وفي النهضة العلمية العالمية ، فهذا هو التعريب ، إذن فالتعريب مصطلح يجب أن يطلق على ما نقصده من عملية الترجمة ، وهو أن تتصل الثقافة العربية المعاصرة على المستوى المعروف عالميا ، وأن تغتني بما تملكه ، بحيث تساهم في تقدم المعرفة الإنسانية بشكل عام .

إذا نظرنا في هذا الإطار إلى حركة النهضة العلمية العربية القديمة التي تمت في العصر العباسي في عهد المأمون من خلال إنشاء بيت الحكمة قلنا إن الروح العربية في نهضتها هي التي أرادت أن تتفاعل مع ما هو موجود في الثقافات العالمية آنذاك ، وهذه الروح هي التي قادت إلى حركة الترجمة ، وقد كانت الترجمة هي الوسيلة لتغذية هذه الروح المتفتحة ، المتطلعة إلى ما حفلت به الحضارات القديمة ، سواء في أقصى الشرق في فارس والهند ثم في أقصى الغرب في « اليونان » ، أو ما كان يسمى آنذاك بالمعجزة اليونانية .

بداية التعريب في جامعة دمشق

● كيف يمكن أن نحدد بداية هذه الحركة ، أعني حركة التعريب بالمفهوم الذي أشرتم إليه في الجامعة السورية في العصر الحديث ؟

- في الواقع أن روح التعريب موجودة في سوريا ، وأكاد أقول إنها موجودة قبل القرن الحالي ، ففي زمن السيطرة العثمانية كانت الروح العربية الكامنة تعبر عن نفسها بالجهد الذاتي إلى الترجمة من اللغة التركية ، ومن اللغة الألمانية ، وسواهما ، وفي مختلف فروع المعرفة ، والتجربة السورية المعاصرة لا يمكن فهمها إلا بإضافتها إلى التجربة العربية الكبيرة في عهد المأمون ونسبتها إليها ، حين استطاع أن يبلور النهضة بتمازج الثقافات القديمة من خلال الجهود التي قام بها بيت الحكمة الذي نظم جهود الترجمة التي كانت قبله ، وجعل منها مؤسسة تنسق جهود العلماء لغاية واضحة وتوجهها .

فالتجربة السورية في إطار التعريب إذن قديمة ومستمرة ، ووثيقة الصلة بنزوع الروح العربية للنهضة والتحقق ، فإذا جئنا إلى جامعة دمشق وجدناها قد أخذت - منذ نشأتها - تستجيب للحاجات الاجتماعية والثقافية في سوريا ، فأصبح التعليم فيها منذ وجود الانتداب الفرنسي باللغة العربية . أنشئت أولا أثناء الحرب العالمية الأولى كلية أسمها مدرسة الآداب ، أغلقها الاستعمار الفرنسي بعد ثلاث أو أربع سنوات من إنشائها ، لنمو الروح الوطنية بين طلابها ، ثم أنشئت كليتا الحقوق والطب ، وكان التدريس فيهما باللغة العربية ، وكان الأساتذة الرواد رائدين في نقل المصطلحات في مجال الحقوق والآداب والطب ، وقد ترجمت آنذاك بعض المعاجم المتخصصة في الطب ، وطبعت في جامعة دمشق ، وفي تلك الفترة أيضا أنشئ المجمع اللغوي في دمشق ، للعناية باللغة العربية ، ولوضع المصطلحات العلمية ، ثم حدث تنظيم الجامعة سنة ١٩٤٦ بعد الاستقلال ، ومنذ ذلك الوقت بدأت قضية التعريب والترجمة تطرح بصورة فعالة ، ليس على مستوى كليات الآداب والحقوق والطب فقط ، بل على مستوى جميع الكليات النظرية والعملية .

صعوبات على الطريق

● بطبيعة الحال واجهتكم وأنتم تقومون بهذه المهمة في التعريب صعوبات وعقبات كثيرة ، ولعلها تواجه كل المهتمين بقضية التعريب في وطننا العربي ، سواء فيما يتعلق بمنهج وضع المصطلح ، أو بمجاراته لما يجاري التطور الحاصل في شتى فروع المعرفة ، أو في تأليف الكتب العلمية باللغة العربية ، أو في الترجمة . . . الخ . نود أن توضحوا لنا طبيعة هذه



د . محمد خسرو

الصعوبات ، وكيف نواجهها ؟

- لقد كانت هناك صعوبات مختلفة وما تزال ، ولكن بعضها يرجع إلى العنصر الإنساني بالدرجة الأولى . إننا نسمع عما يسمى بالترجمة الآلية ولا نريد أن تكون ترجمتنا آلية ، ولو بأفضل الإمكانيات ، لأن العلوم الإنسانية تحتاج إلى العنصر الإنساني ، لا سيما في مجال الأدب والفكر . إذ يمكن أن نترجم معادلة رياضية أو كيميائية بطريقة آلية اصطلاحية ، أما اللغة في العلوم الإنسانية والنصوص الأدبية فهي تحتاج إلى الإنسان ، لفهم النص وتذوقه وقراءة ما بين السطور .

فإذا عدنا إلى الصعوبات التي تتعلق بالعنصر الإنساني أمكننا أن نشير إلى أن من أهمها تنوع ثقافات أعضاء هيئة التدريس بالجامعة ، فبعضهم استكمل دراسته العليا في بلاد تدرس باللغة الإنجليزية ، وبعضهم درس باللغة الفرنسية أو الروسية .. إلخ . ونود أن تصبح هذه الصعوبة وسيلة لإخصاب عملية التعريب وإثرائها . لكننا اليوم نتغلب على هذه الصعوبة بالممارسة العملية . فالمصطلحات التي نتفق عليها أو نقرها نسعى إلى تعميم استخدامها ، ونشرها بين الجميع على اختلاف خلفياتهم الثقافية .

ومن الصعوبات أيضا الاختلافات التي تظهر أحيانا بين ما يراه « المجمعيون » وبين ما يعيشه الجامعيون ، سواء فيما يتعلق بمنهج وضع المصطلح ، أو أولوياته ، فالمجمعيون يسيرون في عملهم بإيقاع هادىء ، وفق مناهج محددة ، قد يستغرق الوفاء بمتطلباتها وقتا طويلا ، بينما يجد الجامعيون أنفسهم أمام ضرورات عاجلة ملحة ، حيث يتطلب الوفاء بمنهج دراسي محدد وضع مصطلحات جديدة ، لم يتطرق إليها المجمعيون بعد . كنا نحب أن نترجم - مثلا - كتبا تتصل بالفكر العلمي الجديد ، وقد ترجمت - سابقا - كتابا يتصل بفلسفة الهندسة المعمارية ، فكنت أجد نفسي أمام مصطلحات جديدة ، لم يتطرق إليها المجمعيون بعد . فكنت - كقاعدة - أرجع إلى زملائي في كلية الهندسة أو في كلية العلوم أحيانا « بالهاتف » ، - مناهج وضع المصطلح من نحت واشتقاق ... إلخ معروفة - فأبحث وإياهم عن أفضل المقترحات لترجمة مصطلح أجنبي محدد ، وأختار من هذه المقترحات ما يؤدي المعنى بدقة ، ومع سهولة الاستعمال بهذه الطريقة نتغلب على بعض هذه الصعوبات . ولا أقول أننا قد تغلبنا عليها كلها .

تعاون غير تقليدي

● أرجو أن تأذن لي بشيء من التعليق على ما تفضلت بذكره من صعوبات ، ولعل ذلك يقودنا إلى أوجه جديدة لها . فمجمع اللغة العربية مثلا في القاهرة يقوم بالإضافة إلى عمله بإعداد المعاجم اللغوية العامة مثل « الكبير » و « الوسيط » و « الوجيز » و « مجموعات المصطلحات العلمية » بتنظيم المصطلحات التي يتم إقرارها في مختلف فروع المعرفة في كتيبات خاصة ، ويمكن أن تصبح عند اكتمالها معاجم متخصصة في مختلف العلوم الإنسانية

والعلوم البحتة، كالفلسفة والتربية وعلم النفس والفيزياء والكيمياء... الخ. فهل تصلكم مثل هذه الكتيبات أو المعاجم من مجمع اللغة في القاهرة؟ فقد يكون في بعضها بعض ما تبحثون عنه. وإلى أي مدى يستفيد عملكم من أعمال المجامع الأخرى، ولا يكرره؟ وهذا الأمر يقودنا إلى صعوبة جديدة، لعلها «التنسيق بين عمل الجهات المختلفة في قضايا التعريب ووضع المصطلح العربي». فقد قامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بوضع معجم متخصص، هو «المعجم العسكري» في وقت قياسي، بفضل الدعم المادي المعطى به هذا المشروع. وتعز هذه الحالة تثير أيضاً بالإضافة إلى مشكلة التنسيق مشكلة الدعم المالي الذي يجب أن يعطى به مثل هذه الجهود، لتعطي ثمارها في الوقت المناسب، كما أن مسألة الاختلاف بين ما يراه المعجميون وما يريده الجامعيون قد تحد نوعاً من الحل، وبخاصة أن معظم الأحيان أعضاء من أعضاء المجامع اللغوية هم من أساتذة الجامعات، وكذلك كل الخبراء العاملين في المجامع اللغوية.

- لقد طرحت أكثر من ملاحظة في إطار واحد، والكلام عنها يثير الشجون لدى كل من يهمهم أمر قضية التعريب. فكلها تفاصيلها مهمة للغاية وتقدم أمثلة لتسهيل الأمر على كل من يهمهم أمر هذا البحث. ومتابعته بين المجامع اللغوية العربية والمؤسسات المعنية بشئون التعريب. فالواقع أن هناك تعاوناً فعلياً، بطرق قد لا تكون كلها روتينية، أو مقصودة. فمجمع اللغة العربية في دمشق حريص كل الحرص على التنسيق مع جهود مجمع اللغة العربية في القاهرة ومع غيره من المجامع اللغوية في جميع الأقطار العربية وعلى الاستفادة من جهودها، فقد كان المرحوم رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق الأستاذ حسني سبح دائب الاتصال بزملائه في بقية المجامع العربية، وبخاصة بزميله الدكتور ابراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة. حتى خارج إطار المؤتمرات السنوية.

كنت في زيارة للجزائر، وعندما جلست وأنا في الطائرة أن هناك محاضرة للدكتور ابراهيم مدكور قد أزف موعدها نزلت من الطائرة إلى مكان المحاضرة مباشرة. فبالرغم من كل الظروف يحصل الاتصال حول العمل الثقافي ولا ينقطع. أضرب مثلاً آخر: في القاهرة ترجم إخواننا بإشراف الدكتور عبدالرحمن بدوي «مفردات لمعجم متخصص فلسفي»، وضعه فرنسي عرض بعض الوقت في القاهرة، اسمه «اندريه لالاند»، واسم المعجم «المعجم الفلسفي والتقني للمفردات الفلسفية والتقنية». أقول إنه ترجموا المفردات فقط ولم يترجموا المعجم، وطرحوه في كتيب، ونحن هنا نستعمله، ونوصي طلابنا وزملاءنا بقراءته، ليعرفوا كيف يتم اقتراح ترجمة بعض المصطلحات الفلسفية والتقنية. هذا بالإضافة إلى كتب أخرى متخصصة في مختلف العلوم الانسانية وغيرها، تأتينا من مختلف الأقطار العربية. وهذه كلها وسائل عملية ممتازة تحقق التواصل والتعاون، وتفيد كمقترحات أولية. ونحن نتابع من هنا أعمال مكتب التعريب في الرباط وتصلنا مطبوعاته، ومجلته «اللسان العربي». وهذه مجرد أمثلة، تؤكد أن التعاون والتواصل قائمان بين المعنيين بقضايا التعريب. أما مسألة الاختلاف بين المجمعيين والجامعيين فهي ليست مسألة اختلاف أشخاص، وأنا معك أن معظم المجمعيين الآن من أساتذة الجامعة. لكن الاختلاف هو في إيقاع العمل، وفي أولوياته، فالأستاذ في الجامعة مضطر للبحث عن حل عاجل لمصطلحات مطروحة عليه في زمن محدد، أما المجمعيون فيعملون عملاً وفق إطار خاص أو عام، قد لا يستجيب للمتطلبات المتعجلة، لأنه يمد خدمة الأجيال القادمة، ويتم في أناة، لاستيفاء كل قواعد البحث في المعاجم القديمة والحديثة، ليتم وضع مصطلح قابل للاستمرار والتعميم

اجتياز الفجوة المتزايدة .. كيف ؟

● اسمح لي أن أعود قليلا إلى ما تفضلت بالإشارة إليه في بداية هذا الحوار ، من أن قضية التعريب تعني في النهاية توفير فرص التلاقح والحوار بين ثقافتنا العربية والحركة العلمية العربية وبين الثقافات المعاصرة ... الخ

من هذا المنطلق نفسه تنبعث بعض المخاوف والمحاذير ، فمن الواضح أن معدلات الحركة الثقافية والعلمية في حضارتنا العربية ما تزال متخلفة إذا ما قورنت بنظيراتها في العالم المتقدم ، وثمة هناك فجوة بيننا وبينهم ، خاصة في العلوم البحتة والتطبيقية ، وتدريس العلوم في الجامعة باللغة العربية قد يؤدي إلى زيادة هذه الفجوة القائمة ، حيث لا يتمكن الطالب الذي درس العلوم باللغة العربية من متابعة حركة البحث العلمي في الخارج .

في الوقت الذي ما تزال فيه حركة البحث العلمي عندنا في بدايتها ، نقول وجهة النظر التي تثير هذه المخاوف : إن القياس على ما حدث في عصر المأمون حين أنشئ بيت الحكمة قياس غير دقيق ، فالمترجمون في بيت الحكمة كانوا يترجمون عن ثقافات وحضارات في حالة سكون ، ثقافات ثاوية في الكتب ، يمكن بعد وقت طويل أو قصير أن تتم ترجمتها كاملة ، أما نحن في وضعنا الراهن فنلاحق تيارات ثقافية وفكرية تموج بحركة علمية متصلة في تطورها وتقدمها ، ولهذا فمخاطر زيادة الفجوة ، وربما اتساعها ، يظل قائما

ـ هذه ملاحظة مهمة ، وابتداء يجب أن نفرق بين ما نريد أن نأخذه من الغرب من أجل تقدمنا المادي ، وما نريد أن نأخذه من أجل تقدمنا الفكري والثقافي ، فمن الناحية المادية يتعلق بنا أن نتعلم أنماط التقنية الحديثة بكل مستوياتها ، أما الأهداف التي نستخدم من أجلها هذه التقنية فهي أهداف محلية وعربية وإنسانية . هنا نقول ، توجد هوة ، والهوة قائمة فعلا ، وإذا كان الأساس في اجتيازها هو قيام حركة بحث علمي ، وحركة تصنيع وتنمية ، تخدم أهدافنا العربية والإنسانية ، فمن المهم أن تكون هذه الحركة العلمية باللغة العربية . وأن تؤسس هذه الحركة بترجمة الكتب العلمية إلى اللغة العربية ، وبوضع المصطلحات العلمية والتقنية في اللغة العربية ، مهما تكن الجهد والوقت . أما بالنسبة للعلوم الإنسانية فلا توجد مشكلة هوة بالصورة الموجودة في العلوم البحتة والتطبيقية . وأمامنا تجارب الأمم في هذا المضمار . ففي اليابان قد أخذوا التقنية من الغرب . ودرسوها بلغتهم القومية ، وتفوقوا في ذلك على الغرب ، وعلى امريكا ، من ناحية العلوم الانسانية ، وكل ما يتصل بالشخصية القومية اليابانية : لم يأخذوا كثيرا عن الغرب ، بل تطوروا في مجالات العلوم الانسانية ، وأصبح لهم فيها إسهام واضح في الثقافة الانسانية

وعندنا نحن في مجالات العلوم الانسانية تراث كبير ، وقيم كثيرة ، يحتاجها العالم ، والمهم أن نعرف كيف نعرضها بلغة العلم الحديث ، ونطورها ، ففي مجال التصوف عندنا ـ لا أتكلم عنه كما آل إليه الحال في أمر الطرق ـ لو أخذناه في ضوء فكرة التحليل النفسي لوجدنا أن النفس الانسانية في الثقافة العربية قد تم تحليلها إلى درجات لا تقل إرهافا عما وصل إليه الآخرون ..

وعندما ننقل الآداب أو العلوم الانسانية من الغرب فإننا لا نسعى إلى تقليدها ، بل نتمثلها ونهضمها ، فتصبح جزءا من الغذاء لثقافتنا العربية النامية ، فتعطي ثمارا عربية أصيلة ، وأقدر على الاسهام في الحضارة الانسانية . فأجدادنا عندما أخذوا المنطق اليوناني استخدموه في علم الكلام وفي الفقه ، وفي القياس ، وهكذا

أما مسألة ضرورة أن يكون لدينا حركة بحث علمي ناهضة لترتكز حركة التعريب على أساس قوي منها فلا خلاف حولها ، لكن مسألة ضرورة الدعم المادي لجهود التعريب ، والتنسيق بين هذه الجهود

هي مسألة في غاية الأهمية ، بيد أن مثل هذه الأمور تبقى دائما نسبية ، ومحكومة بظروفها . وحاليا ستبقى هناك مسافة بين ما توفره أي دولة لهذه الأمور وبين ما يتطلع إليه القائمون به .

المثل الشعبي يقول : « طبيب ... أكثر مما ترى » ، وهذه في كل مكان . حتى في مصرنا ، ففي المركز القومي للبحوث بمصر ، درس أحد الباحثين واسمه « احمد مورات » قصة ... ووضع فيها كتبا ، ودعا ... إلى ... ، لكن للدولة أيضا ... والمثل اللاتيني يقول : « نعيش أولا ثم نتفلسف » . ولدينا هنا مشاكل ضرورات التنمية وضرورات الأمن ، ومخاطر « اسرائيل » ... الخ .

الإبداع في اللغة القومية

● حين كنت أناقش قضية التعريب في الجزائر مع الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم وجهة النظر التي تقول : « إن تدريس العلوم باللغة القومية أمر أساسي لإيجاد حركة بحث علمي عربية وتأصيلها ، ولتخريج جيل من المبدعين في الآداب والعلوم ، لأن الإبداع الحقيقي لا يكون إلا في اللغة القومية للمبدع . ونود أن نعرف رأيك في هذه القضية التي تتصل في صميمها بفلسفة التعريب .

- إذا أردنا أن نجيب بصورة دقيقة عن قضية الإبداع المهمة هذه فلابد أن نميز بين الإبداع في المجالات المادية والتجريبية ، والإبداع في المجالات الأدبية والفنية والعلوم الإنسانية . فمثلا في مجال « الالكترونيات » أو العلوم التجريبية ليس شرطا أن يكون الإبداع في اللغة القومية . لأن هناك لغة خاصة بالبحث في هذه المجالات . هناك لغة « البازيك » و « الفورتران » وهذه لغات عالمية .

أما بالنسبة للعلوم الانسانية فيوجد لدينا أمران : التفكير ، والتعبير عن التفكير . والتفكير لا يتوقف عند لغة معينة ، بل إن الفكر يبدع حين تتوفر الموهبة ، وحين يطلع المبدع على ما قاله الآخرون ، وعندئذ يتاح له أن يمضي قدما في الإبداع الفكري . أما بالنسبة للتعبير اللغوي فإذا كان المقصود به هو الإبداع اللغوي الجمالي فيجب أن يكون باللغة القومية التي تمكنه من أن يبدع بها جماليا ، لأنه يدري الشاعر بارتكازاتها ، وانعكاساتها العاطفية والجمالية . أما من حيث المضمون الفكري لهذا التعبير اللغوي فنستطيع أن نأخذ في عرضنا الرمزية في الأدب التي قال بها « رامبو » وسواه . فهي قد جاءت إلينا من الغرب ، فكان لها دورها العجيب في الثقافة والشعر الحديث ، فالشعر الحديث كله يريد أن يكون رمزيا . لكن إلى أي درجة يوفق أو لا يوفق فيها إذا كان التعبير الجمالي مستوفيا للشروط الفنية والأسلوبية ، ولا يوفق إذا لم يستوف هذه الشروط ، ويبقى مجرد رموز غامضة . □

الجزء الثاني من الحوار

مع الدكتور عدنان تكريتي

في العدد القادم

■ العقل ينظم الشعر ، والقلب وحده هو الشاعر . (أندريه شينيه)

■ الرجل القوي يعمل ، والضعيف يتمنى . (برنارد شو)

■ الأقارب والدواء نحتاج إليهما في اليوم العسير . (مثل حبشي)



تعقيب

بين طه حسين وأحمد أمين

كتب الأستاذ حافظ أحمد أمين في العدد رقم ٣٣٣ الصادر في شهر أكتوبر الماضي كلمة بمناسبة الذكرى المئوية لمولد والده ، العالم الأديب الدكتور أحمد أمين رحمه الله . وقد استهلها بالحديث عن أوجه الشبه في العلاقة التي جمعت بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده من جهة ، وبين طه حسين وأحمد أمين من جهة أخرى . وأن طه حسين يعد معادلاً للأفغاني ، وأن أحمد أمين يعد معادلاً للإمام محمد عبده .

ويلمح بعد ذلك إلى فساد الصداقة التي كانت بين عميد الأدب العربي وأحمد أمين أي مالك الحزين ، كما كانت تطلق عليه بعض الصحف . ويذكر أنها ترجع إلى أن طه حسين كان يريد أن يظل تفوقه طاغيا على صديقه ، بيد أن هذا الصديق لما تولى عمادة كلية الآداب خرج من دائرة نفوذ طه حسين . بتعبير الأستاذ حافظ . فقام بين الصديقين صراع ، أصيبت منه الصداقة بما فصم عراها

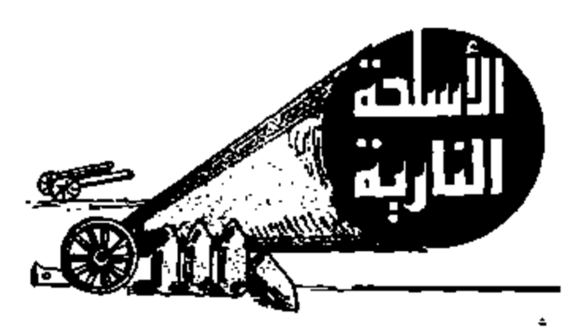
ولا مجال في هذه الكلمة لمناقشة ما ذهب إليه الأستاذ حول أوجه الشبه بين الأفغاني وطه حسين ، ثم بين محمد عبده وأحمد أمين ، إذ ما يعنيني مناقشته أسباب الخصومة أو الخلاف بين والده وعميد الأدب العربي ، فهو لم يحدثنا عن مدى هذه الخصومة ، ومظاهرها ، بل اكتفى بالإشارة إلى التباين بين الأديبين الكبيرين في المزاج ، وهو تباين لا يمكن معه أن تدوم صداقة أو تستمر مودة ، وأن أحمد أمين خرج من نفوذ صديقه في أواخر الثلاثينيات ، بعد أن أصبح عميدا .

فإذا كان التفاوت بينهما في المزاج هو مصدر فساد الصداقة فكيف كانت مع وجوده من قبل ؟ . ثم إن الربط بين تولي منصب العمادة وما حدث بين الصديقين من خلاف قد يوحي بأن أحمد أمين كان رجلا ضعيف الشخصية ، تابعا لغيره ، وأنه ثار بعد أن أصبح في مركز قوي . ولا أعتقد أن الرجل كان كذلك . وما عرفته بمعرفة لقاء عن طه حسين ، وما حدثني به يعني أنه كان يحب السيطرة على سواه ، بل إنه ، كما كانت زوجته تقول لي : رجل فيه طيبة وسذاجة ، يثق بكل من تربطه به علاقة ، ويصدق كل ما يقال له ، وهو يسعى لخير كل من يلجأ إليه . وكم شاهدت في بيته أساتذة ورجال صحافة لهم مشكلات مختلفة ومصالح متنوعة ، فكان ـ على الرغم من ضعف صحته وقلة حركته ـ يحقق لهم ما يريدون عن طريق الهاتف أحيانا ، وأحيانا أخرى عن طريق الرسائل الشخصية

والعميد كان يقدر صديقه أحمد أمين كل التقدير . ولما حدثني عن علاقته به قوله : « لقد عرفت أحمد أمين وهو يعمل في القضاء . وعرضت عليه العمل بالجامعة . وبعد انتقاله إليها توطدت الصداقة بيننا ، كما توطد التعاون العلمي ، فألفنا لجنة لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي سياسيا وعقليا وأدبيا ، على نحو جديد في المذهب السياسي فعهد إلى أحمد أمين بالكتابة عن الحياة العقلية ، وعهد إلي بالكتابة عن الحياة الأدبية . وقد نجح أحمد أمين فيما عهد إليه ، فكتب موسوعته المعروفة عن فجر الإسلام ، وضحاه ، وظهره ، ويومه ، وأذكر أني كتبت مقدمة لفجر الإسلام .

رحم الله الرجلين ، وجزاهما عن ما قدما خير الجزاء . □

الدكتور محمد دسوقي



أكبر تحد واجه القوى العسكرية التقليدية في أواخر العصور الوسطى

بقلم : الدكتور إحسان صدقي العمد

تعتبر الأسلحة النارية أكبر تحد واجه القوى العسكرية التقليدية في العصور الوسطى ، بل لعل تطور السلاح الناري من المدفعية إلى البندقية في أواخر تلك العصور كان أوضح شاهد على انتقال الفن العسكري إلى العصور الحديثة ، وما رافق ذلك من تسارع مذهل في تطوير أسلحة الفتك والدمار .

ترتبط الأسلحة النارية عموما باكتشاف البارود ، ومن ثم استخدامه في الأسلحة القاذفة والنارية . ويرجع ذلك إلى العمليات الكيميائية التي كان بعض العلماء يجرونها على عدد من المعادن والمواد ، بهدف تحويلها إلى معادن ثمينة ، إضافة إلى انتشار الحروب السياسية والدينية في العصور الوسطى ، والحاجة إلى سلاح قوي مدمر ، لهدم الأسوار والحصون والقلاع التي كان يستعصي الاستيلاء عليها في ذلك الوقت بالوسائل والأسلحة التقليدية

النار الاغريقية :

وربما كانت النار الاغريقية تأتي في مقدمة الأسلحة النارية التي اقتبسها العرب المسلمون عن الروم البيزنطيين وطوروها ، ومن ثم مهدت لظهور البارود . وقد لعب هذا السلاح الاغريقي دورا هاما في الحروب مع الفرنجة في العصور الوسطى ، وهو يتكون من مزيج من مواد حارقة ، أساسها النفط والكبريت وبعض الصموغ والدهون . وكانت تنطلق من اسطوانات نحاسية ، يقذف منها السائل مشتعلا ، أو تطلق على هيئة كرات مشتعلة . أسماها العرب بالزراقات التي كانت تبعث منها نار برعاد ودخان ، فتحرق السفن .

وقد استخدمت هذه النار في حروب المسلمين مع الروم البيزنطيين ، وبخاصة في حصار الرشيد العباسي لقلعة هرقلة في اسيا الصغرى ، حيث وصف الشاعر تأثير هذا السلاح في قوله

صوت هرقلة لما أن رأت عجبا
جو السماء ترامى بالنفط والنار

لكن المسلمين أدخلوا تحسينات على النار الاغريقية ، واستخدموا نوعا متطورا منها في عهد صلاح الدين الأيوبي ، وأحرقوا به أبراج العدو أثناء حصاره لمدينة عكا . في أواخر القرن السادس الهجري . الثاني عشر الميلادي

اكتشاف البارود :

ولقد شهدت الآلات القاذفة تطورا ملحوظا باكتشاف البارود الذي عرف في اسيا قبل الحروب الصليبية . وربما كان الصينيون هم مكتشفوه ، لكنهم لم يستخدموه كسلاح حربي ، بدليل أن المغول الذين فتحوا الصين لم يعرفوه عنهم . كما أنهم لم يستعملوه في حروبهم . بل اقتصر استعماله في الصين مثلا على إطلاق صواريخ الألعاب النارية

ويبدو أن من الصعوبة بمكان التوصل إلى رأي يقيني بالنسبة لتطور ظهور هذا الاختراع كسلاح فعال في الحروب ، لكن يستدل من كتاب « الفروسية والمناصب الحربية » ومؤلفه حسن الرماح المتوفى في أواخر القرن السابع الهجري ، أن البارود كان معروفا في مصر منذ زمن مبكر ، وقد أورد مؤلف الكتاب الحديث عنه في عدة صفحات . ذاكرا تركيبه من الملح والكبريت المسحوق ، ورماد الفحم والبرادة والنشادر والزرنيخ الأحمر والنيلة الزرقاء والفلفل ، وذكر النسب بين هذه المواد ، كما تحدث عن الصواريخ والنفط الطيار الذي يصعد منه لهب النار ، وأطلق اسم العراده على المادة المتفجرة التي يقذف بها المدفع

المسلمون يستخدمون الأسلحة النارية :

ويؤكد جوانفيل الذي رافق ملك فرنسا لويس التاسع في حملته على مصر في منتصف القرن السابع الهجري أن القوات الأيوبية استخدمت المدافع والصواريخ في تعذيب الفرنجة ويقول في مذكراته : إن المسلمين قد استخدموا في أثناء القتال آلة لم نستعملها من قبل ، يقذفوننا منها بشيء ملأ قلوبنا بالدهشة والرعب . تقذ مستقيمة . كأنها اسطوانة كبيرة ، ويتبعها من خلفها مثل الحربة الطويلة . ودويها شبه الرعد ، وكأنها جارح يشق الهواء ، لها نور ساطع جدا ، من جراء انتشار اللهب العظيم الذي يحدث هذا الضوء ، حتى أنك ترى كل ما في المعسكر ، كما لو كان في وضح النهار » وقد أكد بعض المتخصصين في تطور الأسلحة أن هذه الأوصاف انما تنطبق على المدافع التي أطلق عليها في ذلك العصر عدة أسماء مثل مكاحل البارود ، ومدافع النفط ، وصواعق النفط ، ومدافع النفط ، وصواريخ النفط ، او السهام ، وقوارير النفط التي تشبه القنابل ويذهب بعض الباحثين أيضا الى أن المماليك قد استخدموا هذا السلاح في موقعة معينة ، هي « عين جالوت » ضد المغول عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م ، وانه كان العامل الحاسم في انتصارهم في



● مدفع مغربي من الخشب كما ورد في كتاب «العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله» لمؤلفه الأندلسي.

تلك الموقعة. وتوالى ذكر هذا النوع من الأسلحة النارية في المؤلفات التي ظهرت في عصر المماليك، مثل «التعريف بالمصطلح الشريف» لابن فضل الله العمري، و«الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية» لمحمد بن منكلي، و«السلوك لمعرفة دول الملوك» للمقريزي، و«بدائع الزهور» لابن إياس، و«صبح الأعشى» للقلقشندي. ومع ذلك فإن المدافع التي كان يمتلكها المماليك ظلت تستخدم فقط في الأغراض الدفاعية، في حين بقي فرسان المماليك بوجه عام يحتقرون هذه الأسلحة، ويلتزمون بنظام الفروسية التقليدي في القتال، مما سهل على العثمانيين الانتصار عليهم فيما بعد

انتقال الأسلحة النارية إلى المغرب والأندلس:

وليس غريبا أن تنتقل تقنية صنع الأسلحة النارية بعد ذلك إلى المسلمين في المغرب والأندلس، حيث كانوا يواجهون أخطارا كبيرة على المستويين الداخلي والخارجي.

وتحدثنا بعض المصادر والمراجع أن المسلمين في المغرب استخدموا الأسلحة النارية في هجومهم على سرقوسة بصقلية في أوائل القرن السادس الهجري، وأن الموحدين قد استخدموها في هجماتهم لفتح وهران والمهدية ومراكش، وأنهم استولوا على قلاع أندلسية كثيرة بفضل الآت حصارهم المنيقة التي كانت تقذف كتلا هائلة من الحجارة وكرات ملتهبة من الحديد.

ويؤكد الدكتور أحمد مختار العبادي أن مسلمي المغرب والأندلس توصلوا في أواخر القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي - إلى اكتشاف خاصية أخرى للنفط كمادة دافعة متفجرة، وذلك إذا خلط بملح البارود أو النطرون وحصى الحديد، تحت درجة حرارة عالية، مما أدى إلى تطوير جديد في المدافع والأسلحة النارية.

وقد أورد ابن خلدون في مقدمته شيئا عن هذا التطور خلال وصفه لمهاجمة سلطان المغرب يعقوب المريني مدينة سجلماسة التي كانت في أيدي بني عبدالواد عام ٦٧٢هـ، حيث «نصب عليها هندام النفط القاذف بحصى الحديد، ينبعث من خزانة أمام النار الموقدة في البارود، بطبيعة غريبة، ترد الأفعال إلى قدرة باريها».

وما لبث هذا السلاح الناري القاذف المتفجر أن استخدمه مسلمو الأندلس في صراعهم ضد الأسبان، كما فعل سلطان غرناطة اسماعيل بن فرج، أبو الوليد عام ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م، مما أثر في معنويات قوات الأسبان المعادية التي انتشرت في

صنعوها كما تقول الحوليات الاسبانية : «شاهدت بأن ملك غرناطة يملك سلاحاً جديداً مبيداً».

ويتضح مما سبق أن الأسلحة النارية قد عرفت واستخدمت لدى المسلمين قبل الاوروبيين بحوالي نصف قرن على الأقل، وأن الأسبان والمتطوعين الاوروبيين في صفوفهم هم الذين اقتبسوا هذه الأسلحة عن المسلمين، فنقلوها إلى اوروبا، وطوروها خلال حرب المائة سنة بين انجلترا وفرنسا والحروب الايطالية في الفترة التالية، في وقت كانت فيه القارة الاوروبية على أبواب نهضة علمية شاملة، تلي تمكنت من تلقف السلاح الجديد، وعكفت على تجربته وتطويره.

التفوق الاوروبي في تطوير الأسلحة النارية :

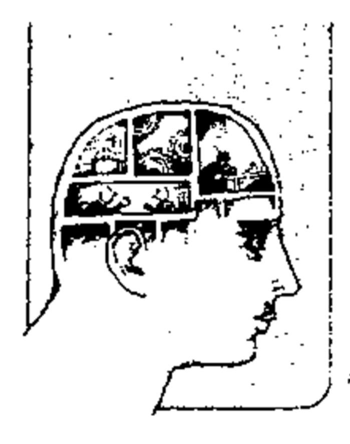
وقد أدى إقبال الاوروبيين على تطوير الأسلحة النارية الى تفوقهم في هذه الصناعة، وبخاصة في استعمار كثير من الشعوب في آسيا وافريقيا، وابادة شعوب اخرى، كشعوب الهنود الحمر في القارتين الأمريكيتين، بل ان هذا التفوق قد ظهر بشكل جلي أيضاً عندما عجزت الدولة العثمانية او تراخت في مجاراة التقنية العسكرية للدول الأوروبية، وهو امر أثبته ميادين القتال البرية والبحرية، حيث بدأ العجز العسكري العثماني واضحاً في اوروبا الشرقية منذ القرن السادس عشر الميلادي، كما أدى الى تراجع قوات المماليك والعثمانيين البحرية عن التصدي للقوات البرتغالية والاوروبية في المحيط الهندي، واستمر التراجع العسكري العثماني في القرون التالية، حتى انتهى بسقوط الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى.

وليس من شك في ان استمرار التفوق الاوروبي على المسلمين في صنع الأسلحة النارية المتطورة يأتي في مقدمة الأسباب التي تكمن وراء عدم انتصار العرب والمسلمين على اعدائهم في معظم المعارك البرية والبحرية التي خاضوها، وهي المعارك التي وصفها القائد العثماني البحري سيدي علي ريس «بأنها معارك البندقية والمسكيت» (أي البنادق).

وقد فطن كثير من المؤرخين ودعاة الاصلاح السياسي والعسكري الاسلامي الى هذه الحقيقة منذ وقت مبكر، ومن هؤلاء حسن كافي الاقحصاري الذي أكد في رسالته «أصول الحكم في نظام العالم» التي ألفها في اوائل القرن الحادي عشر الهجري، اواخر السادس عشر الميلادي، وقد أكد هذه الحقيقة بقوله : «إن أعداءنا كلما اخترعوا نوعاً من الأسلحة واستعملوه غلبوا علينا، ثم إذا أخذناه منه واستعملناه غلبنا عليهم بعون الله العلاّم لقوة الإسلام».

والواقع ان الاقحصاري قد وضع يده على السبب الحقيقي المباشر لتراجع العثمانيين في اوروبا الشرقية، ونعني به التفوق الاوروبي في الاسلحة الحديثة، وهو امر يكاد ينطبق على جميع ميادين المواجهة العسكرية غير المتكافئة التي اضطر المسلمون وغيرهم من الشعوب الى خوضها مع اعدائهم منذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا، وقد تأكدت هذه الحقيقة في جميع الحروب المباشرة التي خاضها العرب والمسلمون ضد قوى الاستعمار والصهيونية، وبخاصة في القرنين التاسع عشر والعشرين، وترتبط هذه الظاهرة - قبل كل شيء - بالفجوة العلمية والتقنية التي تتسع بين الدول المتقدمة، والدول النامية، ومنها الدول العربية والاسلامية.

والغالب الظن ان المعادلة سوف تبقى على هذه الحال، ما لم تظهر في الأفق بوادر توازن في القوة العسكرية بين الجانبين، مما يستغرق وقتاً غير قصير، لكن والى ان تتوازن المعادلة فليس امام الدول النامية المهضومة الحقوق سوى الحرب الشعبية المنظمة الشاملة التي تعمل فيها الأسلحة التقليدية الخفيفة على استنزاف قوى العدو المتفوق عسكرياً، وتجبره في النهاية على التسليم بالحقوق المشروعة للأمم والشعوب. □





بقلم : الدكتور فخري اسماعيل حسن

نخطىء كثيرا بالربط بين حجم الدماغ والذكاء . ونخطىء أيضا عندما نردد المقولة الشائعة بأن الانسان الذكي قوي الذاكرة . والواقع أن هذا الثلاثي ليس مرتبطا بعضه ببعض .

هذا المقال يلقي أضواء على العديد من المقولات الشائعة في هذا المجال .

يعتبر الدماغ - مصدر الذكاء والمكان الذي يحفظ فيه الذاكرة - أهم وأعقد أجهزة الجسم ، وهو عبارة عن نسيج شديد الرخاوة والليونة ويكتنف أنسجة المخ يقف على تركيبه الماء . تؤمن عظام الجمجمة القوية الحماية للدماغ من المؤثرات الخارجية ، ويفصل ما بين الدماغ اللين الحساس وعظام الجمجمة الصلبة القوية طبقة من الأنسجة ، تسمى السحايا . ويغلب على السحايا الملاصقة للدماغ الرخاوة ، وبالتالي لاتسبب له أي أذى ، بالاضافة لذلك يحيط بالدماغ النخاع الشوكي السائل الذي يحفظه من تأثير الجاذبية الارضية التي تجذب جميع الأجسام الى أسفل . ويعمل هذا السائل أيضا على امتصاص تأثير الصدمات التي تصيب الرأس ، فلا تؤثر على الدماغ الا اذا كانت على درجة كبيرة من العنف .

الذكاء .

إن كتلة دماغ الحوت قد تصل الى حوالي ٩كغم وبالتالي فإن دماغ الحوت أكبر لمجمعة الكائنات الحية قاطبة ، ونحن نعتبر أن الحوت ليس أذكى الحيوانات . لذلك يمكن القول أن كبر الدماغ لايعني الذكاء . ولايوجد نوع من العلاقة بين كتلة الدماغ أو حجمه والذكاء تلاحظ أن هناك نوعين من الوظائف التي يقوم بها الدماغ

١ـ السيطرة على عمل جميع أجهزة الجسم والتنسيق فيما بينها

٢ـ التفكير والذاكرة والقدرة على التحليل ، وغير

تلك من الوظائف التي تحدد مستوى الذكاء، ويطلق عليها تسمية الادراك ، أو العقل . فـإذا كان حجـم الكائن الحي ضخما ـ كما في حالة الحوت والفيل ـ فإن الدماغ قد يستنفد معظم طاقاته في ادارة هذا الجسم الضخم ، ولا يبقى للادراك والتفكير الا اليسير ، وبذلك ينخفض مستوى الذكـاء . لـذلك يبدو واضحا أن استخدام النسبة بين كتلة الدماغ وكتلة الجسم للكائن الحي كمقياس أو دليل للذكاء أفضل كثيرا من كتلة الدماغ المطلقة ، وسوف نطلق على تلك النسبة للاختصار اسم « نسبة الكتلتين » لقد حسب (هـاري جيـريسـون) ، من جـامعـة (كـاليفورنيا) نسبة الكتلتين لكثير من الكائنات الحية ، فوجد أنها تزداد حسب الترتيب الآتي . أسماك ، زواحف ، طيور ، ثم لبونات ، أي ان نسبة الكتلتين تكون أكبر ما يمكن للثديات ، وهذا يتفق مع تطور وتعقد الأجهزة البيولوجية لهذه الكائنات ، فاذا تساوت مثلا كتلة احدى اللبونات مع كتلة احدى الزواحف ، فإن دماغ الأول يكون أكبر من دماغ الثانية ، على الأقل بعشرة أضعاف ، وقد يصل الى مائة ضعف ، وبالنسبة للثدييات فان رتبة الرئيسات[1] تملك أكبر نسبة للكتلتين ، وتكون هذه النسبة أكبر ما بين (٢-٢٠) مرة من نسبة الكتلتين للثدييات من الرتب الأخرى ، ولا شك أن نسبة الكتلتين للانسان هي أكبر النسب قاطبة ، وتساوي في المتوسط ٢٪ أي ان كل ٥٠ غم من الجسم يقابلها غرام واحد من الدماغ ، ويبين الجدول الآتي متوسط كتلة الدماغ ، ونسبة الكتلتين لبعض الكائنات الحية

يلي الانسان في كبر نسبة الكتلتين ـ لاحظ الجدول ـ كل من الدلفين والشمبانزي ، والاعتقاد السائد أن كليهما ذكي نسبيا ، فالمعروف أن الدلفينات تستخدم الأمواج الصوتية كلغة تخاطب وتفاهم فيما بينها ، وتشبه لغة الدلفينات الى حد ما طريقة عمل جهاز السونار المستخدم في الكشف عن الأجسام تحت الماء ، وهذه الطريقة غير مفهومة بالضبط حتى الآن ، ولكن يعتقد بعض العلماء أن الدلفين يبث موجات صوتية مشابهة للموجات التي تنعكس عن الجسم المراد وصفه ، وعند استقبالها من قبل دلفين آخر فإن الموجات تنتج بالنسبة للدلفين ما يشبه رسما صوتيا للجسم المعني ، ويمكن القول ـ إن صح التعبير ـ أن الدلفينات تتخاطب من خلال صور سمعية . أما بالنسبة للشمبانزي فإن هنالك محاولات كثيرة لتعليمه لغات معينة ، بعضها باستخدام الحاسوب (الكمبيوتر) ، وبعض العلماء مفرطون في التفاؤل ، اذ يعتقدون أنه يمكن أن يوجد بعد عدة أجيال جيل جديد من الشمبانزي ، له القدرة على الكلام .

لابد من الاشارة الى أن هنالك بعض الاستثناءات للعلاقة بين نسبة الكتلتين والذكاء ، فمثلا إن نسبة الكتلتين لبعض الحشرات الصغيرة قد تصل الى نسبة الكتلتين للانسان ، أو حتى تفوقها ، ويعتقد أن هنالك حدا أدنى لحجم أو كتلة الدماغ ، وإذا ما نقص الدماغ عن ذلك فإنه يفقد معظم أو حتى جميع قدرته على الادراك والتفكير ، وبالتالي فان نسبة الكتلتين في مثل هذه الحالة لا تعبر عن الذكاء

	الانسان	الدلفين	الشمبانزي	الغوريلا	الفيل	الحوت
متوسط كتلة الدماغ	١٣٧٥ غم	١٤٠٠	٣٨٠غرام	٤٠٠غرام	٦ كغم	٩ كغم
نسبة الكتلتين بالتقريب	١ : ٥٠	١ : ١٠٠	١ : ١٥٠	١ : ٥٠٠	١ : ١٠٠٠	١ : ١١٠٠٠

(١) الرئيسات هي أعلى رتب الثدييات تطورا ، وتشمل الانسان والقرود

ليس كل كبير الدماغ ذكيا

لنركز الآن على الانسان ، فقد يتساءل بعضهم هل يمكن أن نحدد ذكاء الشخص بقياس نسبة الكتلتين له ؟ نلاحظ قبل الاجابة عن هذا السؤال ما يلي :

أولا : تقل كتلة دماغ المرأة عن كتلة دماغ الرجل بحوالي ١٥٠ غم ، وبما أن كتلة جسم المرأة في المتوسط أقل من كتلة جسم الرجل ، فإن ذلك يعني أن نسبة الكتلتين للانسان لاتعتمد على الجنس ، وكذلك الحال مع الذكاء ، فهو لا يعتمد على الجنس .

ثانيا : يولد الطفل بدماغ كبير نسبيا ، وفي المتوسط فان كتلة دماغ الطفل عند الولادة تساوي ٣٥٠ غم ، وهذا يجعل نسبة الكتلتين للوليد حوالي ١٢٪ أي ست أضعاف نسبة الكتلتين عند البلوغ . وينمو دماغ الطفل بسرعة كبيرة جدا ، وخصوصا في الثلاث سنوات الأولى ، حيث تعتبر سنوات المحاكاة والتعلم السريع التي قد تحدد مستوى الذكاء في المستقبل .

ويؤدي نمو الطفل مع حوله الى زيادة كبيرة في سمك القشرة الدماغية المخية وكتلتها وبالتالي يؤدي الى زيادة عدد الخلايا العصبية والنشيط الموجود منها ، مما يساعد على سرعة التعلم في المستقبل ، وزيادة مستوى الذكاء ، وعندما يتم الطفل عامه الأول تنخفض نسبة الكتلتين الى نصف قيمتها عند الولادة (حوالي ٦٪) ، وعند سن دخول المدرسة (٥ ـ ٦ سنوات) يكون دماغ الطفل قد أصبح ٩٠٪ من دماغه عند البلوغ ، بينما تكون كتلة جسمه حوالي ٢٠٪ من كتلته عند البلوغ . ونلاحظ من ذلك مدى أهمية سنوات الطفولة الأولى ، ليس فقط بالنسبة للنمو الجسماني ، ولكن بالنسبة لتأثيرها على الذكاء في المستقبل .

ثالثا : لايوجد ـ حسب معلومات الكاتب ـ إحصائيات شاملة دقيقة لكتل أدمغة بعض المشاهير ، وكذلك لمقارنة نسبة الكتلتين مع الذكاء الفعلي لهم . لكن هنالك بعض الحالات المعروفة ، فلقد كان دماغ (لورد بايرون) ـ من أشهر الأدباء الانجليز في القرن الماضي ـ مفرطا في الكبر (حوالي ٢٢٠٠ غم) ، وكانت بالتالي نسبة الكتلتين له كبيرة جدا . لكن لم يكن الحال كذلك مع (ألبرت اينشتين) الذي يعتبر بحق من أعظم العلماء . فلم تكن نسبة الكتلتين له كبيرا بشكل ملفت للنظر ، يتناسب مع ما قدمه للعلم في أوائل هذا القرن ، وهنالك كذلك بعض الأشخاص الذين عرفوا بدماغ صغير ، ومع ذلك كانوا أذكى من كثيرين ممن كانت كتلة أدمغتهم كبيرة ، ومن أشهرهم (أناتول فرانس) ، وهو أيضا كاتب عبقري ، ومع ذلك فكتلة دماغه تساوي ١١٠٠ غم ، أي أن كتلة دماغه تساوي نصف كتلة دماغ بايرون .

رابعا : لو كانت جميع أجزاء الدماغ متكافئة أو متساوية في الأهمية أو التأثير ـ كما تفترض بعض النظريات ـ لكان لحجم أو كتلة الدماغ تأثير كبير وفعال على مستوى الذكاء ، لكن الثابت أن أجزاء الدماغ غير متكافئة ، بمعنى أن أجزاء الدماغ غير متساوية في الأهمية ، فمثلا كتلة دماغ الانسان القديم المعروف باسم (نياندرتال) الذي وجد بالقرب من دوسلدورف بألمانيا ، تساوي ١٥٠٠ غم ، أي أكبر من متوسط كتلة الدماغ للانسان في الوقت الحاضر ، ولا يمكن أن يكون هذا الانسان البدائي الذي عاش قبل عشرات الآلاف من السنين أذكى من الانسان الحالي . إن الفرق المهم بين تركيب دماغ الانسان القديم ودماغنا هو أن الفص الأمامي من القشرة المخية في الانسان الحديث تقدم واتسع ، على حساب الفص الخلفي ويجب أن لا ننسى الاختلافات البيئية الاجتماعية في الحالتين ، وتأثيرها على الذكاء ، لاحظ

[illegible] في تحديد ذلك في الاعتبار . يمكننا [illegible] لنمو تركيب شبكة الخلايا بشكل مفرط . [illegible] بروز الذكاء ولكن ذلك ليس هو العامل الوحيد أو الفعال المؤثر في الذكاء وإنما هنالك عوامل أخرى . [illegible] ثبت حديثا أن الدماغ يحتوي على موجات كهربائية عالية في الصغر (مجهرية) ، لا تزيد ذبذباتها عن عشرين وحدة (الميكرون [illegible] واحد من مليون من المتر) . وتتكون هذه الموجات في الدماغ في أواخر مرحلة الجنين .

الذاكرة :

إن عملية حفظ المعلومات في الدماغ ، ثم استرجاعها عند الحاجة ، عملية معقدة وتتم - أساسا - في القشرة الدماغية (المخية) . وهنالك مناطق في الدماغ لخزن المعلومات للمدى القصير ، ومناطق أخرى مخصصة لخزن المعلومات للمدى الطويل[2] . يحتوي الدماغ باستثناء المخيخ الذي ليس له علاقة بالذاكرة ، على حوالي مائة بليون (١٠) [illegible] خلية عصبية (عصبون) . وتحاط كل خلية عصبية بعشر من الخلايا الغروية لتحافظ على هيئتها البنائية . وهنالك ثلاثة أنواع من العصبونات : العصبونات الحسية : لنقل المعلومات حول البيئة ، والعصبونات الحركية . وتنقل الانبعاث العصبي إلى خلايا العضلات والغدد ، وأخيرا العصبونات المتوسطة أو التشاركية ، ولهذه لها علاقة بالوظائف المعقدة الخاصة بالكائنات المتطورة الذكية ، مثل الإدراك والتعلم ، وعددها يختلف في الكائنات الحية ، تبعا لرقيها ، وتقدمها على سلم التطور .

لا يختلف تركيب الخلية العصبية عن الخلايا الأخرى كثيرا إلا أنها تحتوي على مقدار كبير نسبيا من الحامض النووي المعروف باسم حمض الريبونيوكليك [illegible] . ويتفرع من كل خلية عصبية ما بين ألف وعشرة آلاف من التفرعات الشجرية ، تشبه تفرع الأغصان في الأشجار ، وتتصل الخلية بالخلايا العصبية الأخرى لنقل الانبعاث العصبي للخلية . ويتفرع من الخلية [illegible] يتراوح قطره ما بين نصف وعشرين ميكرون ، يسمى المحور ، حيث ينتهي بفروع صغيرة ، يوجد في نهاية كل منها انتفاخ [illegible] يسمى بالزر التشابكي . تتصل الخلية العصبية مع خلية أخرى ، أو بعضو استجابة (غدة أو عضلة) . وينتقل الانبعاث العصبي باتجاه واحد من الخلية العصبية إلى الأعضاء .

إذا صح اعتقاد بعض العلماء بأن الدماغ البشري يستخدم نفس الطريقة المستخدمة في الحاسوب (الكمبيوتر) ، أي طريقة الأعداد الثنائية في حفظ المعلومات ، فإنه يمكن حفظ معلومة بسيطة[3] في كل واحدة من التفرعات أو الأزرار التشابكية للخلايا العصبية ، ويقدر العلماء كمية المعلومات التي يمكن حفظها في الدماغ بما لا يقل عن (١٠)[١٥] معلومة (واحد وأمامه خمسة عشر صفرا) . وقد يبدو هذا الرقم متخيلا ومبالغا فيه ، لكن إذا فكرنا في كمية المعلومات التي يستطيع الشخص العادي أن يتذكرها ، من أرقام وعمليات حسابية وحروف ومفردات لغوية ، وتواريخ وأشخاص ومعلومات عامة وذكريات ، لوجدنا أن الرقم قد يكون متواضعا تجاه عظمة الدماغ البشري . □

---

(٢) [illegible] [illegible] في الذاكرة ، [illegible] طريقة الأعداد الثنائية المستخدمة في حفظ المعلومات في حاسوب الكمبيوتر .

(٣) [illegible] في [illegible] حفظ في تركيب صغير تحت القشرة المخية ، يسمى [illegible] .

قصيدتان

للعالم الأسمر

كان عطا من لله
يأيكمو من آمال لعوب
ليطرح أثر سه في عظم
ملكمو بالبر
بيدكم خمر ولوب
عطا من كما سال سكمي لا
سطع
لعاس كسها لكي كا ملي
ملي لسلا عل مكركم
كا حلي صرعا
كسه
عسس مكه به سه

كا سهر
عسا كعه علس هعاله
بوحهه حب هوبله
سعد علبه عسر
عسا حبها عهر
جدمكه لسعر
بهدمكمو كا هد
بسن هه ح
طلقه عبيعه يعفه
سعد بك كه
كي بعو صدي عسه سلا
كه سه فسي خه

شعر محمود عبدالصمد زكريا

حين ملفك علّ
ستحمل صخب القلوب
وتهم نحو الذي ستحمل للطيور
ملك مسافرا من لون ولون
وفي الصباح عرس الصبحه
لون الصبحه أسمر
وفي العرس أخضر
وقد سلمت معوه ساحه لا أسرح

وها هي في سطر
وكأ لامحه مذنب كما
تمر هنا لمو
وكم مت شيء م حروب
حه ملفك ها
محك وهجمك صمت

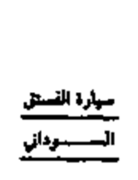
ياصبح ميلك سو الحصا
فمرند بمه عطك في لطفي
تحـ صوتك سطه كفك
بمعي في حسر للأحبه
ب لو عل حد هنا لدما
هنا كنت موه م

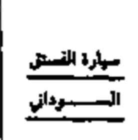
لأنك حطب علك لطو
وجمد لحما وحط لسر
لأنك حلم لسمر
بيام وحط
وصد لما لمأمل بالعسـ

تهمس في السر
يا سحر حلوا
في سبب صاحبي
وتصوب صاحبي
والله خلف طلك في
ومن وسلك يا سحر مروح
هل في ر علك يا سحر بطرك وحي
فهل أساوي ملح
وقد كنت عذبا ؟
ويريد ملحا
مرجع كل لحلما
كلع مد لمدى
ربدي مسكه للحروب
ومكسب عر صد ها
لحلمد سا حمد
حمه ملمه
كعم كا لمر عم لد
حم لمك سمر
مرف للمحه حد مصوها في مسك
عر للمكه حصر
وم للمكه حصر
هنا سب مر
مك
فكم مت شيء لحرب
حمه ملفك ها
وقد



الجديد في العلم والطب





سيارة الفستق السوداني

سيارة الفستق ، أو سيارة الصين ، [illegible] .

● طورتها احدى الشركات الاسترالية ، وسمتها سيارة الصين وكان الأولى أن تسميها سيارة الفستق .

أما تسميتها بسيارة الصين فلأن الشركة الاسترالية تستهدف غزو أسواق الصين بسيارتها الرخيصة .. فعدد سكان الصين يزيد على ١٠٠٠,١ مليون نسمة أي ما يعادل ربع مجموع سكان العالم تقريبا . والأسواق الصينية متعطشة لسيارة صغيرة قوية ورخيصة .. كالسيارة التي تنوي انتاجها الشركة على نطاق واسع قبل حلول سنة ١٩٨٩ .

وتقوم هذه السيارة محرك ديزل ذو سلندر واحد ، يعمل بزيت الديزل ، ولكنه يعمل أيضا بزيت الفستق السوداني ، وتقطع السيارة نحو ثلاثين ميلا بمقدار من الوقود لا يزيد على (ربع جالون) ولا يزيد طول السيارة على ٨ أقدام ، ولا يكاد يبلغ وزنها نصف طن .. ولكنها قادرة على حمل أي جسم ١,٥ طن ، والفضل في ذلك يعود الى جهاز تحويل الحركة ، والى علبة التروس وتبلغ سرعة السيارة القصوى ٣٠ ميلا في الساعة ، وذلك اثناء حملها ثلاثة ركاب (رجلين وفتى) .

وقد صممت سيارة الصين بحيث تلائم الطرق غير المعبدة ، وهي متطورة في الصين ، ويجرى تطويرها حاليا لكي يسهل عليها تسلق الطرق الجبلية بسهولة .

وتسعى الشركة الاسترالية الى تسجيل

برامج اختراعها .. المحرك وتحويل الحركة على الأقل .. وستعهد هذه الشركة إلى الجهات المعنية في الصين بصنع هيكل السيارة ، أما صنع المحرك والمحول فستحتفظ به لنفسها ، وتنوي الشركة انتاج (١٠٠٠٠٠) سيارة في السنة .. ستبيع ما يمكن بيعه منها في أسواق الصين وفي مقاطعة جيانسكو بالتحديد .. وإن تردد في تصديرها إلى الأسواق الأخرى .. وتقدر تكاليف السيارة الواحدة بنحو ٢٥٠٠ دولار على أبعد تقدير .

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

الطرق الجديدة في معالجة السرطان

● تحدثنا في عدد سابق (عدد شهر مايو ١٩٨٧ صفحة ١٢٨) عن إحدى طرق معالجة السرطان بواسطة أساليب الهندسة البيولوجية ، وورد إلينا من رسائل القراء ما يدل على مدى الاهتمام بهذه الطرق الحديثة ، التي تكلف كثيرا وتبشر كثيرا ، تبشر بالشفاء من المرض الخبيث ، وهو شفاء عاجل وتام إلى حد كبير كما تؤكد الأوساط الطبية والعلمية المعنية .



الدكتور ستيفن روزنبرغ أحد رواد أسلوب المعالجة الجديدة للسرطان .

فقد نشرت مجلة نيو انجلند الطبية في أواسط شهر ابريل الماضي بحثين عنامين لعلماء في موضوع واحد هو موضوع معالجة السرطان بواسطة جهاز المناعة ، وتوصلا إلى نفس النتائج المرضية للغاية . لا عجب إذن أن نشرت المجلة الطبية المذكورة مقالا افتتاحيا يعلق فيه كاتبه على الموضوع الذي دار حوله البحثان المذكوران .. وقد قال فيه :

« لعلنا في نهاية البداية في بحثنا عن علاج ناجع للسرطان ، علاج يعتمد في المقام الأول على أسلوب الجسم نفسه في محاربة المرض ، وهو الأسلوب الذي يعمل به جهاز المناعة في جسم الانسان » .

وتحدث البحث عن التجارب التي شملها ، وقد أجريت على (١٥٧) مريضا من المرضى المصابين بأورام سرطانية مختلفة منها سرطان الكلي ، وسرطان القولون ، والأورام الميلانوية وسرطان الجلد . وكانت هذه السرطانات من النوع المستفحل المستشري الذي لا أمل في الشفاء منه في نظر الأطباء .



مادة الانترلوكين تفرزها أجهزة المناعة في الجسم ، ويقوم الطبيب المعالج بتنشيط هذا الجهاز عن طريقه بكميات كبيرة

وطبق الاطباء في معالجة المرضى بأسلوب جهاز المناعة ، ودلت النصوص في نهاية التجارب التي شملها البحث الاول على أن :

٩ مرضى شفوا تماما

٣٢ تقلصت أورامهم السرطانية تقلصا كبيرا .

٤ ماتوا بسبب آثار جانبية ذات صلة بأسلوب العلاج . وطرأ تحسن ملحوظ على بقية المرضى .

والجدير بالذكر أن الدكتور ستيفن روزنبرغ احد كبار المسؤولين في معهد السرطان القومي بالولايات المتحدة هو الذي اشرف على تجارب البحث الاول ، وساهم في الكتابة عن نتائجه وتجاربه للمجلة السالفة الذكر ، والدكتور روزنبرغ هذا هو الذي شارك ونطق بلسان الاطباء الذين اجروا عملية سرطان القولون للرئيس ريغان ، ومن طليعة رواد الاسلوب الجديد في معالجة السرطان (اسلوب انترلوكين) .

أما البحث الثاني الذي نشرته المجلة فقد تولاه واسهم في كتابته الدكتور وليم وست وزملاؤه العاملون في شركة بيوثرا بونيك .

وهي الشركة التي أسسها سنة ١٩٨٤ الدكتور اولدهام مبتكر طريقة العلاج التي تحدثنا عنها في عدد مايو الماضي . . وتشابه البحثان في التجارب التي اجريا ها واسلوب العلاج الذي اعتمداه ، وتشابها ايضا في النتائج التي توصلا اليها مع الفارق ان الشفاء التام لم يكتب لاي من مرضى البحث الثاني . .

بقي أن نتحدث عن اسلوب العلاج الجديد نفسه . فنذكر أول ما نذكر مادة الانترلوكين - ٢ وهي المادة التي يقوم عليها هذا الأسلوب والتي يفرزها جهاز المناعة في الجسم بمقادير ضئيلة ، وقد أمكن انتاج هذه المادة على نطاق معقول بواسطة الهندسة البيولوجية .

ويبدأ اسلوب العلاج الجديد بحقن المادة المذكورة بجرعات كبيرة في جسم المريض من أجل تنشيط جهاز المناعة الذي يفرز مادة (IL2) بكميات قليلة كما ذكرنا .

ثم يخطو الطبيب المعالج خطوته الثانية فيسحب الدم من جسم المريض . . وتعزل الخلايا البيضاء - خلايا المناعة - من دم المريض هذا ، ثم تنقع في محلول مادة (الانترلوكين - ٢) السالفة الذكر ، فتتكاثر الخلايا بمزيد من السرعة ، وتسمى بعد ذلك خلايا (لاك) والكلمة لاك هذه اختصار للاسم الطويل (Lymphokine - Activated Killer)

وتكون الخطوة الثالثة في اسلوب العلاج الجديد بإعادة الكريات البيضاء الى دم المريض ، وإعادة دمه هذا الى جسمه ، وما اسرع ما تنجذب خلايا (لاك) الى خلايا السرطان فتهاجمها على الفور وتقضي عليها كلها او اكثرها

ويستغرق اسلوب علاج السرطان الذي اوجزناه نحو اسبوعين ، ويكلف ٣٠,٠٠٠ دولار او يزيد ، يحقق اكثرها على العناية المكثفة التي يحتاجها المريض ، والتي تكلف الكثير في الولايات المتحدة ، ذلك أن الاسلوب ليس بلا آثار جانبية . وهذه الآثار تستوجب وضع المريض في غرفة العناية المركزة بعض الوقت □



مركز الطب الإسلامي

وللمعالجة بالنباتات الطبيـة

بقلم : يوسف زعبلاوي / تصوير : صلاح آدم

تعيش الكويت نهضة طبية ناشطة ، كادت تضاهي مثيلاتها في بعض الدول المتقدمة ، فنسبة الأطباء إلى مجموع سكان الكويت مقدارها طبيب واحد لكل (٦٤٤) نسمة . وهناك (٣٧) سريراً لكل (١٠) آلاف نسمة . وللمقارنة فإن في اليابان طبيباً واحداً لكل (٧٠٥) من السكان ، وفي الولايات المتحدة (٥١) سريراً لكل (١٠) آلاف نسمة . والمعروف أن الكويت تقدم خدماتها الطبية لمواطنيها والمقيمين بها دون مقابل ، وقد بلغت المخصصات التي أنفقتها على الخدمات الطبية في سنة ١٩٨٤ م/ ١٩٨٥ م وحدها (١٧٧) مليون دينار ، أي بواقع (٩٩) ديناراً لكل فرد واحد من السكان .

ولعل أن ما يُميزنا من نهضة الكويت الطبية للمجالات الطبية التي اتخذت طريقها فيها ، فهناك مجالات طبية حديثة ، تعالج فيها الأمراض بطرق أخرى غير الطرق الكلاسيكية ، المعروفة ، ويطلق عليها أهل الغرب مجالات الطب البديل . لقد أنشأت وزارة الصحة مراكز العلاج الطبيعي ، وأخرى للعلاج بالإبر الصينية ، وأنشأت أيضاً مراكز خاصة للمعالجة بالنباتات الطبية ، هي (مركز الطب الإسلامي) ، أو إن شئت الدقة : « مركز يوسف الرزوقي بتوجيه لوزارة الصحة الطب الإسلامي » .

أقيم هذا المركز سنة ١٩٨٤ ، وتتوفر له من الاهتمام والرعاية ما كفل له أكبر توسع في أقصر زمن ، فالمترددون على المركز يبلغ متوسطهم حوالي (١٦٠) ، وقد كانوا لا يتجاوزون عدد أصابع اليدين عند التأسيس ، أما المترددون فإنهم لا تقل نسبتهم عن الثلث . وكذا حظ المركز طيبة

السنوات الماضية غير متواضعا . لا تتعدى مساحته ٥٠٠ متر مربع . فأصبح اليوم مبنى رحبا فسيحا . تبلغ مساحته المبنية ٦,١٠٠ متر مربع . يضاف إليها مساحة الممرات والحدائق . فضلا عن المسجد . وبذلك تبلغ مساحته الإجمالية ١٥,٥٠٠ متر مربع . وقد بني خصيصا للمركز . وتكلف سبعة ملايين الدنانير . فأصبح في طليعة المباني في الكويت روعة وجمالا . وتجسيدا لفن العمارة الإسلامية .

وقد حظي افتتاح مركز الطب الإسلامي في مقره الجديد بمزيد من الحفاوة والتكريم . حيث شمل أمير الكويت صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الصباح برعايته السامية حفل الافتتاح في ٢٦ فبراير شباط ١٩٨٧ م . وذلك في مناسبة عزيزة . هي عيد الكويت الوطني السادس والعشرون .

آية من آيات العمارة الإسلامية :

فقد كنا في بادىء الأمر نعتزم إرجاء الحديث عن مبنى المركز الجديد ، حتى نفرغ من الحديث عن أعماله ونشاطاته . لكن المبنى شدنا إليه ، وفرض نفسه على حديثنا ، وكنا قد عرفنا مسبقا أن تكلفة أعمال بنائه قد بلغت ٦,٥ ملايين دينار . واستغرقت أربع سنوات متواصلة ، ثم عرفنا المتبرعين المحسنين في المبنى . معنى الكرم ومعنى الوفاء . ذلك أن هذا الصرح الشامخ الضخم لا يعدو كونه هدية ، مجرد هدية تبرع بها آل يوسف المرزوق وحرمه لؤلؤة النصار ، لتكون المقر الجديد لمركز الطب الإسلامي في الكويت . أما الوفاء فقد تجلى في الكلمات القليلة التي وردت على لسان أحد المتبرعين . وهو السيد فيصل يوسف المرزوق . إذ قال : « لو ذكرنا ما للكويت الحبيبة من جميل علينا ، وذكرنا عطاءها الذي يفوق كل عطاء ، لتضاءلت الهدايا . كل الهدايا التي يمكن أن نقدمها إليها ، وتضاءلت أيضا هديتنا الحالية . وهي هدية متواضعة أصلا » .

ونظرنا إلى المبنى - الهدية - فإذا به آية من آيات العمارة الإسلامية . تذكرك أقواسه وأعمدته بقصر الحمراء في الأندلس . ويذكرك رخامه بلاطه برخام تاج محل في الهند .

وللمبنى جناحان . تفصل بينهما ممرات وحدائق . الجناح الأيمن يضم مركز الطب الإسلامي . ويشغل جانبا منه « المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية » . والجناح الأيسر وقوامه مسجد لؤلؤة النصار . وهو المسجد الذي ترى قبته من على بعد كبير . ذلك أنها كبيرة جدا . إذ يبلغ قطرها الدائري عشرين مترا . وارتفاعها خمسة وعشرين . وهي مطلية بالذهب الخالص . أو هكذا تبدو لك . إن الطلي بالذهب ليس للقبة نفسها وإنما للفسيفساء التي كستها . فقد وجدت التقنية الحديثة في ذلك ضمانا لصمود الطلاء . وتسهيلا لأعمال صيانته . وما يقال عن القبة الكبيرة يصدق أيضا على القبة الصغيرة التي تتوج المئذنة التي يبلغ ارتفاعها ٤٥ مترا !

أما المسجد فواسع رحيب . لا تقل مساحة صحنه عن ١,٢٦٢ مترا . ويتسع لألف وخمسمائة من المصلين . ويعلو الصحن دور علوي خاص بالنساء ويبلغ نصف مساحته .

لفت نظرنا السجاد الذي فرشت به أرض المسجد . فهو سجاد صيني ، وألوانه بديعة ، ونقوشه رائعة . وما أسرع ما لاحظنا التطابق بين تلك النقوش ونقوش القبة التي فوقها فملكتنا الحيرة ، حتى عرفنا أن نقوش القبة هي الأصل ، وأن تصاميمها قد أرسلت إلى « طيوان » ، ليجري نسج السجادة وتطريزها وفق تلك التصاميم . نقول السجادة بصيغة المفرد ، ولا نقول السجاد بصيغة الجمع . ذلك أن ما صنعته « طيوان » وشحنته لم يكن إلا سجادة واحدة . لكنها عملاقة . مساحتها (٨٠٠) متر مربع .

وتجولنا في المسجد ، وتأملنا المحراب والمنبر .

● مركز الطب الاسلامي والمعالجة بالنباتات الطبية .



● د . أحمد رجائي الجندي رئيس مركز الطب الاسلامي .

وتأملنا أيضا الخطوط العربية الجميلة ، فشعرنا كأننا في متحف لا في مسجد ، متحف يزخر بثروة من روائع الفن الاسلامي ، وسألنا عن الخطاط فعرفنا أنه الشيخ حسن شلبي ، خطاط تركيا المعروف ، وقد حضر شخصيا إلى الكويت لوضع اللمسات الأخيرة .

ولعل أهم ما يذكر عن مسجد لؤلؤة الكمال من الناحية المعمارية أن قبته الضخمة لا تقوم على أعمدة ، ومعنى هذا أن الناس الذين يصلون في المسجد تجمع بينهم وحدة وثيقة ، ولا تفصل بينهم أي أعمدة ، ولعل هذه الميزة خاصة بمسجد لؤلؤة ، ولا تجد لها نظيرا في سائر المساجد عندنا .

وانتقلنا بعد ذلك من الجناح الأيسر إلى الجناح الأيمن ، مقر « مركز الطب الاسلامي » ، ومقر « المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية » أيضا ، وهو مبنى واسع ، قوامه طابقان ، طابق أرضي يضم العيادات والمكتبة والقاعات والصالات ومكتب التسجيل والصيدلية ، وطابق علوي يضم الأدارة والسكرتارية والمختبرات ، فضلا عن مكاتب المنظمة .

مركز الطب الاسلامي هو الأصل .

كان الدكتور أحمد رجائي الجندي أول من زرناه في مركز الطب الاسلامي . ولا عجب ، فهو رئيس المركز الذي تولى إدارته منذ تأسيسه ، وهو المؤهل (دكتوراه في العلوم الصيدلية) لاعطائنا ما كنا بحاجة إليه من إيجاز وإجمال ووضوح ، وسألنا الدكتور الجندي عن أهداف المركز وأعماله ، فابتسم ، وذكرنا بأن الحديث عن الأصل يجب أن يسبق الحديث عن الفرع ، فمركز الطب الاسلامي هو الفرع ، أما الأصل فهو « المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية » ، تلك المنظمة التي يترأسها وزير الصحة العامة الكويتي الدكتور عبدالرحمن عبدالله العوضي ويتولى الدكتور علي سيف أعمال أمينها العام ، والدكتور أحمد رجائي الجندي أعمال أمينها المساعد .

لكن الأهداف واحدة على كل حال ، إنها إحياء التراث الطبي الاسلامي ، فبينما يعمل المركز على إحياء هذا التراث عملا وممارسة ، وذلك بمعالجة المرضى بالنباتات الطبية ، تعمل المنظمة على إحيائه فكرا وحضارة .

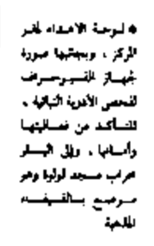
ومضى الدكتور الجندي في حديثه ، فأشار إلى أن الأقسام الأساسية في مركز الطب الاسلامي ثلاثة : عيادات ومختبرات ومصنع ، وأن التداوي بالنباتات الطبية هو محور تلك الأعمال والأقسام جميعا ، فالعيادات هي التي تقوم بمعالجة المرضى ، وإعطائهم ما يحتاجون من أدوية نباتية ، والمختبرات هي التي تقوم بالتحقيق والتدقيق في تلك الأدوية مسبقا ، وذلك للتأكد من أنها فعالة وآمنة ، ولتحديد جرعاتها الطبية ، ومدة صلاحيتها ، فضلا عن تحديد الأشكال التي يجب تصنيع النباتات الطبية عليها . أما القسم الثالث فهو المصنع التحويلي ، وهو الذي يقوم

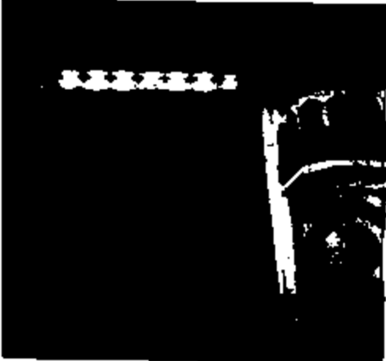


● صاحب السمو أمير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح في افتتاح مركز الطب الإسلامي ، وإلى اليسار مسجد أولياء النصار كما يبدو للناظر إليه من فوق الممرات .











● لوحة الاهداء لمقر المركز ، وبجانبها صورة لجهاز الكروماتوجراف لفحص الأدوية النباتية ، للتأكد من فعاليتها وأمانها ، وإلى اليسار محراب مسجد لولوا وهو مرصع بالقيشاني الملونة



● مكتبة المركز وهي من أحدث المكتبات الالكترونية

بإنتاج الأدوية النباتية على شكل أقراص أو «كبسولات» أو مساحيق أو أشربة أو معاجين . وذلك بعد تركيب تلك الأدوية من خاماتها النباتية .

وتتنوع مصادر تلك الخامات ، فهي من الجذور والبذور وأوراق النبات ، ولحاء الشجر ، أو غير ذلك . أما البلاد التي تستورد منها تلك الخامات فهي باكستان حالياً .

عيادة التشخيص أولاً . .

وانتقلنا بعد ذلك إلى قسم العيادات ، وإلى عيادة الفحص . وعيادة التشخيص هي أولى تلك العيادات ، وهي العيادة التي لا مفر لمرضى المركز من زيارتها أولاً ، ذلك أن التشخيص هو الأساس الذي يقوم عليه العلاج ، أي علاج ، والذي بدونه يفقد مركز الطب الإسلامي هويته الطبية ، ويصبح مستودعاً كبيراً لتوزيع النباتات الطبية والأعشاب ، وتصبح مهمته عشوائية ، أقرب إلى مهنة العطارين .

واجتمعنا بالطبيب المسؤول في عيادة التشخيص الدكتور أحمد أبو الفضل الذي شرح لنا ما يقوم به من أعمال ، فقال :

« نعم ، أقوم بالتشخيص ، وأحرص كل الحرص على استخدام كل ما توصل إليه الطب الحديث من وسائل التشخيص والتقدم العلمي الباهر ، وأجري ما أستطيع إجراءه من فحوص سريرية ، ثم أحيل المريض إلى المختبرات ومراكز الأشعة في مستشفى الصباح ، حتى إذا تجمعت نتائج التحاليل والصور في ملف المريض ، وأمكننا تشخيص مرضه ، أحلناه إلى عيادات العلاج بالنباتات الطبية ، لتبدأ المرحلة الثانية من أعمال العيادات ، ولتجري معالجته وفق حالته ، وثمة مرحلة ثالثة من أعمال العيادات . وهي مرحلة المتابعة التي تعقب مرحلة المعالجة ، إذ لا بد من فحص المريض بعدها ، لنتأكد من مدى الفائدة التي جناها من المعالجة بالنباتات الطبية » .

وتأملنا كلمات الدكتور « أبو الفضل » فعادت بنا الذاكرة إلى ما قبل عشرة قرون أو أكثر ، إلى أيام الرازي وابن سينا وغيرهما من عمالقة الطب الإسلامي ، فلقد أولوا الفحص والتشخيص من عنايتهم واهتمامهم ما لا يقف عند حد . يقول الرازي (محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١٣ هـ - ٩٢٥ م) في كتابه الموسوعي « الحاوي » :

« كان عبدالله بن سوادة تعرض له حمى مخلطة ، كانت تنوبه كل سنة ، وأحياناً كل يومين ، وأحياناً أخرى كل أربعة أيام ، وكان يصحبها ارتجاف قليل ، ويكثر معه ماؤه ، فقلت له : إن حالته تلك ناتجة عن حمى الملاريا ، أو عن خمل في كليته ، وبعد قليل وجدت قيحاً في بول المريض ، فأخبرته بأن احتمال الحمى قد ولى ، وأن خمل الكلية هو العلة ، ولو علمت أن لديه كثيراً من التكبير من ضعف المثانة ، وأنه لم تعالجها في صباه لما ترددت لحظة في معالجته وفق ذلك . وفي الوقت المناسب وصفت للمريض مدراً ، حتى إذا تخلص من القيح وصفت له دواءاً ناجعاً » .

والجدير بالذكر أن كتاب « الحاوي » الذي يقع في ٢٨ مجلداً أو ثلاثين ، يحوي قصصاً كالتي ذكرها الرازي ، وهي في الغالب قصص تشخيص ، سجلها الرازي في مذكراته التي اشتق منها كتاب « الحاوي » بعد وفاته .

أما الشيخ الرئيس ابن سينا (المتوفى سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م) فيقول - « علينا ألا نثق بنتائج تحليل البول إلا إذا توافرت لدينا الشروط التالية : أن يكون البول أو بول المريض بول الصباح ، على ألا يكون المريض قد شرب الماء بكثرة ، أو أكل ما يمكنه أن يلون بوله كالزعفران ، كذلك يجب على المريض ألا يقوم بحركات خاصة ، أو يتبع نظاماً على غير عادته ، كالصيام والتأخر في النوم ، والامعان في التعب ، لأن كل هذا يؤثر كثيراً في تركيب البول . كما أن الجماع يغير لونه ، والقيء والدوخة يؤثران على تركيبه » .

لقاء مع حكيم أعشابي

والتقينا بعد ذلك بالأخ الحكيم محمد ظهور الحسن أحد الأطباء أو الحكماء الأعشابيين العاملين في المركز ، بل أقدمهم ، وهو من إخواننا المسلمين الهنود ، ومن مواليد حيدر أباد ، وله من العمر ٥٤ عاماً ، وقد عرفنا منه مسبقاً التخصص في دراسة التداوي بالأعشاب (الطب اليوناني كما يسمونه في الهند) ، دراسة جامعية حديثة ، وهو يشغل منصب مستشار في طب الأعشاب لدى وزارة الصحة في الكويت وذلك على أساس الاعارة من حكومة الهند .

وحدثنا الحكيم الأعشابي عن الأمراض المختلفة التي تعالج في عيادات مركز الطب الاسلامي ، وأكد لنا أن هذه العيادات لا تعالج الأمراض جميعاً ، بل إنها لا تعالج إلا عدداً محدداً منها ، قد لا يتجاوز خمسة عشر مرضاً ، إلا أن عدد هذه الأمراض بازدياد ، وهي تزداد تبعاً للأبحاث التي يجريها المركز للتثبت من إمكانية معالجتها بالنباتات الطبية أولاً ، وللتأكد من فاعلية الأدوية النباتية المتاحة أو المقترحة لمعالجتها ثانياً .

وتشمل قائمة الأمراض التي يعالجها مركز الطب الاسلامي أمراض الجهاز التنفسي والحساسية الأنفية والجيوب والربو ، وتشمل كذلك أمراض الجهاز الهضمي من امساك وإسهال وحرقة ، فضلاً عن قرحة الاثنا عشر والبواسير والقرحات القولون وتكلسه ، ويعالج المركز أيضاً أمراض الجهاز البولي بما في ذلك الالتهابات والحصى ، وأمراض الروماتزم والصداع النصفي إلى جانب الدهنيات الفائضة في الدم وتكلس الكبد والبهاق (البرص) ومرض البول السكري .

والجدير بالذكر أن عدد المرضى الذين يترددون على مركز الطب الاسلامي كانوا بازدياد في السنوات الثلاث الأخيرة ، فعددهم لم يتجاوز ٩٥٠٠ مريض سنة ١٩٨٤ م ، لكن عددهم بلغ ١٣٥٠٠ مريض في نهاية السنة الماضية (١٩٨٦) ، ولعل في هذه الزيادة دليلاً على ما شعر به المرضى من فاعلية للمعالجة النباتية التي حصلوا عليها في المركز ، وإلا لما ترددوا على عياداته ، ولما ازداد عددهم على نحو ما ذكرنا .

ويحضرنا هنا قصة رواها لنا أحد المرضى الذين اجتمعنا بهم في المركز ، لقد عانى هذا الرجل (٦٨ سنة) من القرحات القولون ، وقلق الأمرين من تكلسه ، ومن الآلام المبرحة التي كانت تأتيه كل يوم بميعاد ، بحلول الساعة الرابعة بعد الظهر ، وعانى أيضاً من الامساك الشديد جداً ، ومن الاسهال المفرط ، وقد تناوبا عليه وتعاقبا أسبوعاً بعد أسبوع ، ولم تجد نفعاً الأدوية الكيماوية التي واصل تناولها شهوراً عديدة ، حتى يئس أو كاد ، فلجأ إلى مركز الطب الاسلامي ، ومضى في تناول الأدوية النباتية التي وصفت له طيلة أسبوعين ، ثم ما لبث أن تراجع ، وقد عوفي من شتى الأعراض والآلام التي طالما شكا منها ، ولم يعاوده شيء منها ، رغم مضي





● (أعلى إلى اليمين) أحد الممرات التي تؤدي إلى مركز الطب الإسلامي للعلاج بالأدوية والأعشاب ، (أقصى اليسار) السجادة العملاقة التي تبلغ مساحتها ٨٠٠ متر مربع .

وأقصى اليمين إحدى صالات انتظار المرضى ، ثم بوابة مسجد الإدارة المخصصة للصلاة ، وصورة إحدى الساحات المغطاة بالخضرة التي ستتحول إلى حدائق صبا الربيع .

عشرة شهور على التوقف من تناول الأدوية النباتية .

وعجبنا من حديث هذا الرجل . فآفات القولون لا تشفى في الغالب . ولا مفر للمصاب بها من أن يتعايش معها . ويكتفي باللجوء إلى المسكنات المعروفة حين يتعرض لآلامها . هذا على الأقل هو ما يردده الأطباء الذين يعالجون علل القولون بالأدوية الكيماوية .

وحدثنا الحكيم ظهور الحسن بعد ذلك عن الأدوية التي اعتمدها ، وما زال يعتمدها مركز الطب الاسلامي لمعالجة الأمراض . ففهمنا أنها من المركبات ، أكثرها إن لم نقل كلها ، أي أن المفردات بينها نادرة . وفهمنا أيضا أن المعادلات المعتمدة في تركيب تلك الأدوية معادلات موثوق بها كل الثقة ، وأن الكثير منها مأخوذ عن كبار الأطباء المسلمين ، وعن الشيخ الرئيس ابن سينا على وجه التحديد .

أما الخامات أو النباتات والأعشاب الطبية التي تركب منها تلك الأدوية المذكورة ، والكثير منها غير معروف في منطقتنا ، على أن منها ما هو معروف ومألوف ، بل إن بعضها شائع ولا يخلو منه منزل ، بحيث قد يستهجن المرء أن يكون به أي أثر لدواء لأي داء . ونذكر من هذه النباتات والأعشاب على سبيل المثال ، البنفسج ، والعرقسوس ، والقشار (القشرة) (أمو البنسون) والشعير ، وحبة البركة ، والمصطكي (المستكة المعربة) .

وسألنا الحكيم ظهور الحسن بعد ذلك عن الكيفية التي تؤثر بها الأدوية النباتية في جسم المريض ، وهل تختلف في ذلك عن الأدوية الكيماوية ؟ فعرفنا منه أن الدواء الكيماوي يحتوي على عنصر فعال واحد بخلاف الدواء النباتي الذي يحتوي على عدة عناصر فعالة ، وعدة عناصر أخرى ثانوية ، لكنها ذات فائدة صحية . ومن هنا كان التمييز الشائع بين هذين النوعين من الأدوية . فالدواء الكيماوي يعالج المرض الواحد بالتحديد ، أما الدواء النباتي فيعالج المريض ككل ، ويعيد إليه توازن جسمه ، وهو توام عافيته كما لا يخفى . وهناك من يؤكد أن الأدوية النباتية تعمل على تنشيط أجهزة المناعة في جسم المريض .

وخلص الحكيم ظهور الحسن من حديثه إلى التأكيد على أن الأدوية النباتية ليست بلا محاذير . فقد يتسبب بعضها بآثار جانبية . لا تقل خطورة عن الآثار التي تترتب على الأدوية الكيماوية . لذلك وجب التقيد بالتعليمات الخاصة بتناول تلك الأدوية ، كالجرعات وأوقات تناولها ومدة العلاج ، إلى آخر ما هنالك . وأشار أيضا إلى أن فاعلية الأدوية النباتية قد تختلف باختلاف المرضى ، فقد يتجاوب بعض هؤلاء للمعالجة بها ، ولا يتجاوب الآخرون ، وأضف إلى ذلك أن فاعلية الأدوية النباتية قد تختلف باختلاف موطنها الأصلي ، والتربة التي نمت فيها والماء الذي رويت به .

في عيادة مرض السكر ومرض البهاق

وزرنا بعد ذلك عيادة مرضى السكر ، حيث اجتمعنا بالطبيب المعالج فيها الدكتور فهد عبدالله القاسم ، وهو أحد الأطباء العاملين في عيادة السكر المركزية في حي (النزهة) ، حيث يعالج المرضى بالأنسولين والدياتبيز والداونيل وغيرها من الأدوية الكيماوية المعروفة .

وحدثنا الدكتور فهد عن الازدواجية في معالجة مرضى السكر في مركز الطب الاسلامي ، فهو يعالجهم بالنباتات الطبية ، دون أن يوقف معالجتهم بالمركبات الكيماوية التي درجوا على تناولها ، ويواصل الطبيب وصف كلا العلاجين في آن معا ، حتى إذا انخفضت نسبة السكر في دم المريض انخفاضا ملحوظا عمد الطبيب إلى الحد من مقادير الأدوية الكيماوية التي يتناولها المريض ، وإلى زيادة مقادير الأدوية النباتية ، ويستمر في ذلك حتى يصبح في إمكان المريض الاستغناء عن الأدوية الكيماوية نهائيا .

ثم زرنا عيادة مرض البهاق ، واجتمعنا بالطبيب المعالج فيها الدكتور صالح سعد الجريوي ، رئيس .



● جهاز تجفيف بالتبريد



● جهاز تحليل كروماتو غرافيا الغاز

وحدة الأمراض الجلدية في مستشفى (الصباح) في الكويت، تحدثنا عن مرض البرص، وعن النباتات الطبية التي يعالج بها المرضى في مركز الطب الإسلامي فقال:

● مرض البهاق أو البرص مرض جلدي معروف، يتميز بالبقع البيضاء التي تظهر على الجسم، وعلى الوجه، وتختلف هذه البقع شكلاً وحجماً، ومع أن المرض ليس معدياً إلا أنه قد يتسبب بمشاكل نفسية واجتماعية، لا تخلو من خطورة، ولا يعرف للبهاق أسباب محددة، وإن كانت الصدمات النفسية والعصبية قد تسبب الاصابة به في كثير من الأحيان.

● والبهاق أنواع، منه الوراثي، ومنه المكتسب، ومنه ما يحدث نتيجة تعرض الجسم لبعض المواد الكيماوية، أو للاصابة بأمراض جلدية أخرى، أو غير ذلك.

أما الأدوية التي نصنعها لمعالجة البهاق في مركز الطب الإسلامي فكلها أدوية نباتية، تحضر وتركب في المركز، ومنها ما هو معد للاستعمال الموضعي، ما يجري تناوله بالفم. وقد ثبتت فاعلية هذه الأدوية العلاجية، وبخاصة في الحالات التي يقتصر البهاق فيها على بقع محدودة».

المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية:

المنجزات

والتقينا أخيراً بالدكتور علي سيف الأمين العام للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية التي يتولى رئاستها وزير الصحة العامة الدكتور عبدالرحمن عبدالله العوضي والدكتور أحمد رجائي الجندي أعمال أمينها العام المساعد والتي لولاها لما قامت لمركز الطب الإسلامي قائمة، ولعل من حق قراء هذا الاستطلاع أن يلموا - ولو بإيجاز - بالمنجزات التي حققتها هذه المنظمة.

وتأتي المؤتمرات الطبية في طليعة تلك المنجزات، وتعقد المنظمة الإسلامية هذه المؤتمرات في العواصم الإسلامية المختلفة، وتدعو إليها نخبة من العلماء، علماء الطب والفقه والتاريخ والعلوم الإنسانية وغير ذلك، لإلقاء المحاضرات في مواضيع عامة وحيوية







● صباحاً الفحص والتشخيص الأولي بعيادات المركز ، ويكتب سجل المرضى وتفتح ملفات لهم . والتحليل [illegible] للمرة الأولى صدفة في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حول أعداء [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] الأمراض [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]



من مواضيع التراث الطبي الاسلامي . وتعقب المناقشات هذه المحاضرات . وتعقب هذه وتلك البحوث والدراسات .

وقد عقدت المنظمة أول تلك المؤتمرات في الكويت سنة ١٩٨١ ، وعقدت ثانيها في الكويت أيضا في سنة ١٩٨٢ ، أما المؤتمر الثالث فقد عقدته المنظمة في استنبول سنة ١٩٨٤ م . وعقدت المؤتمر الرابع الأخير في كراتشي سنة ١٩٨٦ م ، وذلك بدعوة من الحكيم محمد سعيد رئيس مؤسسة همدرد في باكستان .

أما الندوات فغالبا ما تعقد في الكويت ، ويدعى إليها علماء الدين والفقهاء والاسلاميون من جهة ، والأطباء والمفكرون من جهة ثانية ، ذلك أن ما تسعى إليه هذه الندوات هو تحديد موقف الدين الحنيف من قضايا ومنجزات الطب الحديث .

ونضرب مثلا على ذلك بالندوة الأولى التي عقدت في الكويت في ٢٤ مايو (أيار) ١٩٨٣ التي أدت مناقشاتها إلى اتخاذ المواقف التالية :

١ - عدم تشجيع قيام بنوك الحليب البشري المختلط .

٢ - عدم جواز التحكم في جنس الجنين وذلك من وجهة نظر الشرع .

٣ - عدم الشرع في إبداء الرأي الشرعي في قضايا الاستنساخ بالنسبة إلى الانسان

٤ - جواز أطفال الأنابيب والرحم الظئر في الشرع ولكن بشرط مراعاة الضمانات الكفيلة بمنع اختلاط الأنساب .

ونذكر على سبيل المثال أيضا الموضوع الذي تناولته الندوة الثانية التي عقدت في الكويت بتاريخ ١٥/ ١/ ١٩٨٥ . فقد ركزت على الحياة الانسانية ، وحددت بدايتها في مفهوم الشرع ، بالتحام الحيوان المنوي بالبويضة ، لتكونا البويضة الملقحة ، كما حددت نهايتها في المفهوم الشرعي أيضا بخمود منطقة المخ التي ترعى وظائف الحياة الأساسية ، وهو ما يعرف اصطلاحا بجذع المخ . فموت الانسان هو موت جذع مخه لا قلبه !

قسم الطبيب وقسم ابقراط

ونذكر من منجزات المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية منشوراتها وكتبها . وأول ما تجدر الاشارة إليه من هذه الكتب تلك التي تسجل وقائع المؤتمرات والمحاضرات التي تلقى فيها . ولعل هذه أقرب إلى الموسوعات منها إلى الكتب العادية . وقد أثرت المكتبة العربية والاسلامية . وحفلت بكثير من المواضيع التي كثيرا ما يبحث عنها الباحثون في المراجع العادية بلا طائل .

وقل مثل ذلك في كتاب « الحياة الانسانية . بدايتها ونهايتها » الذي يسجل مناقشات الندوة الثانية السالفة الذكر . والذي يقع في أكثر من ٦٥٠ صفحة . ونذكر من كتب المنظمة أيضا « قانون ضمان سلامة الأدوية النباتية » الذي يحدد الشروط والمتطلبات الخاصة بتسجيل الأدوية النباتية ومراقبتها وتداولها . والكتاب مطبوع في لغتين في آن واحد . للعربية منه (٨٠) صفحة . وللانكليزية منه (٦٤) صفحة . وقد تعاونت المنظمة الاسلامية مع منظمة الصحة العالمية (الشرق البحر المتوسط) في إصدار هذا القانون .

ونذكر من كتب المنظمة الاسلامية كذلك « المرشد الاسلامي في النقد الطبي » بل الجزء الأول منه ، وموضوعه الجهاز الهضمي . بالاضافة إلى كتابين للدكتور حسان حتحوت ، أستاذ الولادة وأمراض النساء بجامعة الكويت باللغة الانجليزية ، وعنوان الأول « مسائل في الطب الاسلامي » ، وعنوان الثاني « نظرات إسلامية في أمراض النساء والتوليد » .

ونأتي أخيرا إلى قسم الطبيب الذي وضعته المنظمة ، ليحل محل قسم أبقراط في عالمنا العربي والاسلامي على أقل تقدير . حيث ترى المنظمة أن قسم أبقراط المشبع بالأدعية الوثنية لم يعد لائقا بأطباء القرن العشرين عامة ، والمسلمين منهم بخاصة .

ويتضمن القسم الجديد فيما يتضمن : « أقسم بالله العظيم أن أراقب الله في مهنتي ، وأن أصون حياة الانسان في كافة أدوارها ، وأن أحفظ للناس كرامتهم ، وأن أثابر على طلب العلم ، وأسخره لنفع الانسان لا لأذاه ، إلخ ... »

إطلالة على المستقبل

على أن للمنظمة الاسلامية من التطلعات والتوجيهات الجادة ما لا يقل شأناً عما حققته من منجزات . ومن تلك التطلعات إنشاء جامعة لتدريس طبابة الأعشاب والتراث الطبي الاسلامي ، ولو ذكرنا ما في الصين والهند من معاهد وجامعات متخصصة في تدريس المعالجة بالنباتات الطبية ، وتدريس طب ابن سينا والرازي وغيرهما من أطباء السلف الصالح ، ولو ذكرنا أيضاً إقبال دول عديدة في أفريقيا وأمريكا اللاتينية على إنشاء المعاهد والمختبرات العلمية المتخصصة في النباتات الطبية ، وذكرنا كذلك المهمة الجامعية ، مدينة الحكمة التي قررت إنشاءها مؤسسة همدرد في كراتشي ، لشعرنا بمدى أهمية مشروع الجامعة الذي أوصى به أحد مؤتمرات المنظمة الاسلامية .

ومن تلك التطلعات أيضاً إنشاء شركة لتصنيع الأدوية المعدة من النباتات الطبية . وتجدر الاشارة هنا إلى إحدى شركات الأدوية في ألمانيا الغربية (شركة الدكتور مداوس وشركاه) ، فقد تخصصت هذه الشركة في صنع الأدوية المعدة من الأعشاب والنباتات الطبية ، وحققت من النجاح ما جعلها في مصاف الشركات العشرين الأولى في صناعة الأدوية في ألمانيا ، بالرغم من حداثتها نسبياً ، وقد أنشئت سنة ١٩٤٠ ، ولكن أدوية هذه الشركة أساسية العنصر الفعال ، وهي أقرب في نظر بعض الأخصائيين إلى الأدوية الكيماوية المعدة منها إلى المستحضرات النباتية التقليدية في المفردات والمركبات ، ولا ندري اذا كانت الشركة الاسلامية المزمعة ستكون كالشركة الألمانية ، تصنع الأدوية النباتية ذات العنصر الفعال الواحد ، أم أنها ستصنعها من خلائط نباتية ، مبقية على العناصر المفيدة المختلفة التي تحتويها تلك الخامات .

ونذكر من تطلعات المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية توجّهها إلى الاستثمار وشراء وحدات سكنية بقصد تأجيرها ووقف ريعها على الخدمات الطبية المجانية التي يقدمها مركز الطب الاسلامي . ولم لا ؟! فهذا هو ما فعلته مؤسسة جائزة نوبل ، حتى أمكنها توزيع الجوائز التي بلغت قيمتها المادية أضعاف قيمة تركة نوبل الأصلية ، وهذا هو ما فعلته مؤسسة همدرد في باكستان والهند ، فقد نجحت شركة الأدوية النباتية التي استثمرتها المؤسسة في مطلع القرن العشرين ، وحققت أرباحاً وفيرة ، وما لبثت أن اعتبرت هذه الأرباح وقفاً عاماً للانفاق على خدماتها الطبية ، وأعمالها الخيرية .

ولعل المجلة التي تتطلع المنظمة إلى إصدارها هي التي تستأثر بالأولوية بين مختلف التطلعات ، وذلك بالنظر إلى الحاجة الحيوية الملحة التي تدعو إلى إصدارها في أقرب وقت ممكن . فمجتمعنا العربي ما زال بحاجة إلى توعية وتبصير حول النباتات الطبية ، والتداوي بالأعشاب ، ناهيك عن الالمام بمنجزات التراث الطبي الاسلامي ، ورجالاته ومفاخره ، ثم إن المستجدات في طبابة الأعشاب كثيرة ، ومتلاحقة ، ولا سبيل إلى مواكبتها إلا بمجلة شهرية أو نصف شهرية ، تصدرها المنظمة ، أضف إلى ذلك النهضة الطبية في الكويت ، والنهضة الهينة التي بدأت تتبلور أخيراً .

ومن يدري .. فقد تنتشر المجلة المرتقبة هنا وهناك ، فتنشر الوعي الأعشابي لا في الكويت فحسب ولكن في شتى الأقطار العربية الشقيقة أيضاً ، بحيث لا يمضي زمن طويل حتى تظهر في مختلف أقطارنا مراكز للتداوي بالأعشاب على غرار مركز الطب الاسلامي في الكويت . □


عُمان
بلاد النخيل
والنارجيل



عرفت عمان الزراعة كإحدى الركائز الهامة والأساسية للاقتصاد العماني ، وما طريقة الري بالأفلاج التي ابتدعها الانسان هناك - تلك الطريقة الفريدة المتميزة في ري الأراضي الزراعية - الا دليل قاطع على أن الزراعة كانت ذات مكانة مرموقة في الاقتصاد العماني ، ومازالت كذلك .

من المعروف أن سلطنة عمان من أكثر مناطق شبه الجزيرة العربية اخضرارا ، ولعل موقعها الجغرافي وطبيعة أراضيها وسواحلها هي مؤهلاتها لبناء اقتصاد زراعي متطور ونام ، يكون رافدا أساسيا في تنويع مصادر الدخل القومي ، بعيدا عن الاعتماد الكلي على النفط ، فهو مورد ناضب بلا شك مهما طال به الأمد . ولذلك انصب الاهتمام منذ بداية الحركة التصحيحية التي شهدتها عمان في عام ١٩٧٠ على قطاع الزراعة في خططها التنموية ، لقد بلغ اجمالي الانفاق في هذا المجال نحو ٤٥ مليون ريال عماني ، بالاضافة الى ٢٨ مليون ريال أنفقت لايجاد مصادر مياه جديدة ، وتطويرها ، الى جانب تحسين وسائل الري الحالية التي مازالت تعتمد - الى حد كبير - على نظام الري بالأفلاج التقليدية

أفلاج وسدود

ولما كانت مياه الري - وهي عصب الزراعة - قد وجدت قليلة بحكم موقع سلطنة عمان الجغرافي . وندرة مياه الأمطار التي لا تتجاوز ١٠٠ ملم - في العام ، باستثناء جبال المنطقة الجنوبية التي تعد مراعي طبيعية تروى بالأمطار الموسمية خلال الفترة من يونيو الى سبتمبر سنويا ، لذلك اهتم المسؤولون في عمان بالبحث عن مصادر جديدة للمياه ، إما عن طريق استغلال المياه الجوفية أو عن طريق بناء السدود . وتطوير آلية الري والأفلاج القائمة التي بناها العمانيون القدامى . كنظام مميز للري ، يتلاءم مع طبيعة الأراضي الزراعية العمانية .

يحدثنا المهندس عبد العزيز بن سالم الخاطري عن الجهود التي تبذلها حكومة عمان للاستفادة من مصادر المياه الموجودة حاليا ، ومن المشروعات الجديدة التي هي قيد الانجاز قائلا : لقد تم اصلاح ما يزيد على ٣٠٠ فلج خلال السنتين الأخيرتين ، كما تم حفر آبار مياه جديدة ، يبلغ مجموعها ٥٢٤ بئرا . هذا فضلا عن اقامة مشروع سد وادي الخوض لحجز الأمطار ، وتخزينها قرب وادي سمايل . ومن المتوقع أن يوفر مشروع سد وادي الخوض نحو أربعة ملايين و ٦٨٠ ألف متر مكعب من المياه العذبة سنويا . ليسهم في توسيع الرقعة الزراعية . ويعد وادي الخوض من أكبر الانجازات المائية الحديثة في سلطنة عمان ، حيث يبلغ طوله نحو ٤٩٠٠ متر ، أما ارتفاعه فيبلغ ثمانية أمتار ، في حين يبلغ سمكه ٥ أمتار ، وقد اختير موقع هذا السد في وادي سمايل ، لأنه من أكبر الأودية التي تفيض بكميات كبيرة من المياه عند سقوط الأمطار . ويضيف المهندس الخاطري قائلا ان الهدف من بناء السدود التي توليه الحكومة عناية فائقة هو تنمية موارد مياه الري ، ثم المحافظة على مياه الأمطار التي تهدر سنويا في البحر أو في الصحراء ، والتي تقدر بحوالي ١٢٠ مليون متر مكعب ، كما يهدف الى تجنب زحف مياه البحر المالحة الى داخل الأراضي الزراعية الساحلية ، بسبب السحب المستمر للمياه الجوفية العذبة ، ثم ليصبح في الامكان توفير مياه الري للتوسع الزراعي المستقبلي ، كما يهدف مشروع بناء السدود أيضا الى الافادة من فيضانات الأودية عقب سقوط الأمطار ، والمحافظة عليها بتخزينها في طبقات الأرض السفلى . ومن ثم زيادة المخزون الجوفي بتغذيته بالمياه .

ان بناء مثل هذه السدود في عرض الأودية يساعد على تقليل سرعة مياه الأمطار الجارية ، ومن ثم



● عمان بلاد النخيل والنارجيل

يساعد على تنظيم سير هذه المياه . وانتشارها فوق مساحات كبيرة خلف السدود ، لاعطائها فرصة التسرب السريع تحت سطح الأرض قبل وصولها الى البحر . وتبنى هذه السدود غالبا من الأتربة والحصى بعد دكها ، وتجهز بفتحات خرسانية أو أنابيب معدنية لتنظيم المياه المحجوزة ، بحيث تتسرب في الأراضي الخلفية . ويتابع المهندس الحارثي حديثه عن السدود قائلا : لقد أقيمت ثلاثة سدود ، هي سد وادي الخوض بمنطقة السيب ، ثم سد وادي حلتي صلاحي بولاية صحار ، وأخيرا سد وادي سيقم بمنطقة وادي قريات بولاية بهلاء ، كما أن هناك خطة هي الآن بصدد البحث والدراسة ، لتنفيذ ثلاثة سدود أخرى ، هي سد وادي الجزي بولاية صحار وسد وادي الفول بولاية الحمراء ، وسد وادي تنوف بولاية نزوى

الري بالأفلاج

تعد الأفلاج من المصادر الرئيسية لمياه الري في سلطنة عمان . والري بالفلج طريقة فريدة ، اشتهرت بها عمان منذ القدم . بل اننا لانبالغ اذا قلنا أن حياة الانسان العماني ارتبطت بالأفلاج . فمنها يشرب ، ومنها يزرع ويعيش .

يوجد في عمان مايقرب من ٤٠٠٠ فلج ، تجري فيها المياه ، وتختلف أطوال هذه الافلاج تبعا لقوة تدفق المياه ، وطبيعة المنطقة التي يمر بها الفلج ، اذ يصل أقل طول الى نحو ١٠٠ متر . أما أقصى طول لمجرى الفلج فقد يزيد عن ١٢ كيلومترا وتنقسم الأفلاج من حيث طبيعة المنشأ وجريان المياه الى نوعين ، أولها أفلاج عميقة تحت سطح الأرض ، وهذه تستمد مياهها من المخزون الجوفي مباشرة ، حيث يكون للفلج جزء يجمع المياه تحت منسوب







● . الأعشاب [illegible]

● [illegible]



● يقصد السدود في الأردن للحفاظ على مياه الأمطار إحدى الوسائل المهمة للاستفادة من مياه الأمطار

المياه الجوفية ، وجزء للمجرى فوق المياه الجوفية ، أو ما يسمى ناقل المياه ، أما خية مجرى الفلج فيقع فوق سطح الأرض ، ومع وجود فتحات رأسية تستخدم في حالات التنظيف والصيانة ، وهذا النوع من الأفلاج يمثل ٨٠٪ من عددها الإجمالي ، أما النوع الثاني فيعرف بالأفلاج الغيلية أو السطحية ، وتستمد مياهها من المصادر السطحية ، مثل الينابيع والبرك الناتجة عن الأمطار ، ولا يزيد عمق هذه الأفلاج عن أربعة أمتار . يحدثنا عامر سعيد الحسني المسؤول عن الثروة المائية قائلا : لقد وضعت الحكومة خطة خمسية ، انتهت في عام ١٩٨٥ ، واستهدفت صيانة ٣٠٠٠ فلج وتدريب الأهالي على استخدام مواد البناء الحديثة ، مثل الخرسانة والمواد الاسمنتية العازلة للرشح ، وذلك بغرض زيادة عمر الأفلاج ، كما اشتملت الخطة هذه على انشاء حجيرات للتحكم في نهايات بعض الأفلاج لحجز المياه الزائدة عن الحاجة عند الري ، كما اشتملت الخطة الخمسية السالفة الذكر على صيانة الآبار القديمة التي انهارت جدرانها بسبب القدم ، أو بفعل فيضان الأودية ، لضمان حصول المزارع في المناطق المختلفة على كفايته من المياه اللازمة للري ، وللأغراض المعيشية الأخرى .

ومن المعروف أن الآبار تمثل احدى وسائل الري التقليدية التي تعتمد عليها معظم المزارع الواقعة في منطقة الباطنة وسهل صلالة بالمنطقة الجنوبية ، أو المزارع البعيدة عن الأفلاج في المناطق الداخلية . وتعد الآبار المفتوحة المحفورة يدويا هي السمة الغالبة على نوعية الآبار المنتشرة في السلطنة وتكون مياهها قريبة من سطح الأرض . وتستخدم فيها مضخات لرفع المياه ، والآبار الارتوازية التي مازالت محدودة العدد ولا توجد الا في بعض المزارع الحديثة ، وتساهم وزارة الزراعة والأسماك في نشرها عن طريق القروض التي تقدمها للمزارعين . وبالاضافة الى ذلك هناك عدة عيون للمياه الطبيعية في كثير من مناطق السلطنة ، ويستغل بعضها استغلالا جيدا في الزراعة ، مثل عين اوزارات بالمنطقة الجنوبية ، وعين صحنوت ، وعين جرزيز التي تم تطويرها لتوفير المياه اللازمة لزراعة مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية ، علما بأن مشروع تحسين وسائل الري هذه يكلف ميزانية الدولة حوالي ١٦ مليون ريال عماني

تمور النخيل

اعتمد الشعب العماني منذ القدم على المحاصيل الزراعية في كسب عيشه . والزراعة سمة بارزة في حياة الانسان العماني . فقد كان نصف هذا الشعب يمتهن الزراعة الى سنوات قليلة مضت ، قبل اكتشاف النفط ، وتجود أرض عمان بعدد كبير متنوع من المحاصيل الزراعية ، ويأتي النخيل وثمارها من التمور في المرتبة الأولى لهذه المحاصيل الزراعية ، فالتمور لم تفقد أهميتها عبر الزمن ، بل تضاعفت قيمتها ، وتظهر أهمية النخيل فيما توفر من غذاء ، ودخل ، وظل ، فضلا عن صدها الرياح فهي تشغل مساحة تقدر بحوالي ٣٠ ألف هكتار ، وتصل أعدادها الى نحو ثمانية ملايين نخلة تقريبا ، تنتشر في أنحاء السلطنة . ويصل متوسط انتاج النخلة الواحدة ما بين ٥٠ الى ١٠٠ كيلو جرام من التمور في السنة . أما متوسط انتاج الهكتار الواحد فيبلغ نحو ١٠ أطنان . وهناك أكثر من ٣٠ نوعا من التمور ، أشهرها الهلالي ، والخلاص ، والخصاب ، والخنيزي ، والمدلوكي ، والمبسلي ، ويعد الخلاص والخصاب والخنيزي من تمور الأنواع التي تؤكل طازجة ، أما التمور لتصنيع أفضل أنواعها من الخلاص والفرض ، ويتعدد الطلب عليه من الدول الغربية حيث يدخل في صناعة «البسكويت» ، كما يستخدم كحلوى . أما المبسلي فيجفف ، ويصدر الى الهند على وجه الخصوص .

وتستأثر منطقتا العاصمة والباطنة بأكبر عدد من أشجار النخيل ، حيث تصل النسبة فيها الى ٥٠٪ تقريبا من اجمالي عدد أشجار النخيل في عمان ، كما

تستأثران بأكبر مساحة من اجمالي المساحة المزروعة بالنخيل . وفي نفس الوقت فان منطقة العاصمة والباطنة تستأثران أيضا بأكبر نسبة من اجمالي الأشجار المنتجة في عمان . تليهما منطقتا ظفار والشرقية اللتان تستأثران بحوالي ١٢٪ من اجمالي عدد أشجار النخيل . وبحوالي ١٣٪ من المساحة المزروعة . والتي تصل نسبة أشجارها المنتجة الى نحو ١٣٪ من اجمالي الأشجار التي تنتج ثمرا في عمان . ثم تأتي المناطق الأخرى بالدرجة الثالثة وبنسب متفاوتة

شكوى الأهالي

كانت لنا زيارة لاحدى مزارع النخيل في منطقة السيب . قرب العاصمة مسقط . وهي مزرعة اهلية . يملكها السيد عبد الكريم محمد سالم فسألناه عن المشاكل التي تواجه زراعة النخيل في البلاد . فأجابنا قائلا : ان أول هذه المشاكل هي ايجاد العامل الزراعي . فقد ترك الفلاحون الأرض . وذهبوا يبحثون عن أعمال تعود عليهم أموالا أكثر . مع اننا لا نبخس هؤلاء المزارعين حقهم . فقد يصل ايجار العامل يوميا الى ثمانية أو عشرة ريالات . ولكنهم هجروا الزراعة . كما نطالب وزارة الزراعة والأسماك بمساعدتنا لاستيراد بعض الأجهزة الحديثة . مثل أجهزة التلقيح . وقطف الثمار . فقد سمعنا أن اخواننا في المملكة العربية السعودية استخدموا بعض هذه الآلات . وقد قمنا بعرض الشكوى على السيد محمد رضا حسن مدير عام الزراعة بوزارة الزراعة والأسماك العمانية فأجابنا قائلا : ان استخدام الآلات الحديثة في تلقيح الثمار وقطفها يحتاج الى أن تكون بساتين النخيل واسعة . وأن تكون هناك مسافات لا تقل عن عشرة أمتار بين النخلة والأخرى . حتى تتمكن الآلة من أداء عملها على أحسن وجه . ولما كانت مزارع النخيل في بلادنا مزدحمة بالأشجار . ولا توجد مسافة كافية بين النخلة والأخرى . فإن هذه الآلات لن تفيدنا في شيء .

ونأمل من اخواننا أصحاب مزارع النخيل أن يراعوا في المستقبل الطرق الحديثة في زراعة النخيل . أما عن أجهزة التلقيح فإننا بصدد جلب بعضها خدمة للمزارعين . ومع ذلك أقولها بصراحة ان النخلة لا تستغني عن خدمات الانسان بأي حال من الأحوال

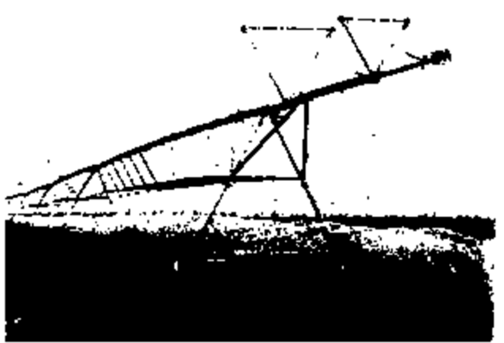
مصانع التمور

ونظرا للكميات الكبيرة التي تنتجها أشجار النخيل من تمور متنوعة . تفيض عن حاجة المستهلك المحلي . فقد أقيم مصنعان في كل من مدينة نزوى والرستاق . ويعتبر المصنعان هما باكورة مشاريع تصنيع المواد الزراعية التي تعد تمور من اهم غلات السلطنة . نظرا لمساهمتها في المحافظة على الانتاج الزراعي . وللفائدة التي تعود على كل من المزارع والمستهلك والاقتصاد القومي جميعا . لقد بدأ العمل في انشاء هذين المصنعين في عام ١٩٧٤ . وتم افتتاحهما في نهاية عام ١٩٧٥ . وأعطيت بعد ذلك فترة تدريب لعمال المصنعين وعاملاتهما . يقول الأستاذ محمد رضا حسن مدير عام الزراعة . لقد أحدث انتاج المصنعين المذكورين تغيرات اجتماعية في المناطق المحيطة بها . حيث التحق بالعمل عدد من العاملات لأول مرة في تاريخ عمان . وهذا شيء نعتز به ونفخر به .

يقوم المصنع بتخزين التمور في غرف مبردة . حتى يتم تسويقها . أو تصنيعها . وتصل طاقة التخزين في كل مصنع الى ١٠٠ طن . وفي هذين المصنعين خطوط آلية . تقوم بنزع النوى . كما تحتوي على اجهزة لتعبئة التمور . وتغليفها آليا . وذلك لتلبية الاحتياجات المحلية والخارجية وتلبيتها . وفي السنوات الأخيرة أدخلت على هذين المصنعين تعديلات وتوسيعات كثيرة . فقد تم تكييف المصنعين . كما ساعد على رفع كفاءة العمل بصورة ملحوظة . وقد بلغت التكلفة الاجمالية









لتحديث مصنعي بروي والرستاق وتطويرهما حوالي مليون ريال عماني

النارجيل

والنارجيل أو جوز الهند كما يعرف في معظم أقطارنا العربية من المحاصيل الزراعية التي تجود في أرض السلطنة . والنوع السائد من أشجار النارجيل هو الشائع الغالب في عمان . وقد تم في السنوات الأخيرة إدخال النوع المختلط الذي يجمع بين أشجار النارجيل الطويلة والأشجار القصيرة وهو نوع يعطي ثمره بعد ثلاثة أعوام فقط من استنباته ، مقارنة بالنوع الطويل الذي يعطي ثماره بعد حوالي سبعة أعوام أو أكثر . وتصل جملة أشجار النارجيل في عمان إلى نحو ١٥٠ ألف شجرة تقريبا . تستأثر المنطقة الجنوبية ، وخاصة مدينة صلالة بالكثير منها . وذلك لملاءمة مناخها لهذا النوع من الأشجار ، وبسبب هطول الأمطار الموسمية التي تسقط عليها . وفي إحصائية أصدرتها وزارة الزراعة والأسماك في عمان يتضح أن عدد أشجار النارجيل في المنطقة الجنوبية قد بلغ نحو ١١٠ آلاف شجرة . منها نحو مائة ألف شجرة منتجة . أما الحيازات التي تزرع بها أشجار النارجيل فتبلغ نحو ٧٩٢ حيازة ، تمثل ٤٣٪ من عدد الحيازات الزراعية بمنطقة صلالة . كما تستأثر المنطقة الجنوبية بمعظم المساحة المزروعة بأشجار النارجيل التي تصل نسبتها إلى ٩٨,٢٪ من إجمالي المساحة المزروعة بأشجار النارجيل في عمان . ثم تأتي منطقة الباطنة والعاصمة بفارق شاسع بعد صلالة في زراعة أشجار النارجيل . ولا يتعدى عددها أكثر من ألف شجرة . ونظرا لجمال أشجار النارجيل وخضرتها الدائمة فقد قامت بلدية مسقط ومطرح وبعض الضواحي القريبة منها بتزيين شوارعها الرئيسية بأعداد من هذه الأشجار ، لتضفي على تلك الشوارع جمالا ورونقا

مانجو وموز

ومن المحاصيل الزراعية الجيدة الإنتاج في عمان « المانجو » ، ويطلقون عليها اسم « المنبا » . وقد أدخلت هذه الفاكهة إلى عمان منذ مايقرب من قرن من الزمان . وقد نجحت زراعتها في منطقتي الباطنة والشرقية . ومن المعروف أن شجرة « المانجو » تحتاج في الغالب إلى ٥ سنوات ، حتى تبدأ الإنتاج ، وتستمر منتجة مدة قد تصل إلى سبعين سنة شأنها في ذلك شأن النخلة . ولا تزرع أشجار « المانجو » وحدها ، بل تزرع متداخلة مع محاصيل أخرى . وتكثر لأشجار « المانجو » أن تنمو في التربة ذات العناصر المجاورة للبحر . كما تحتاج هذه الأشجار إلى ري منتظم في بداية زراعتها . لكن احتياجها للري يقل بعد اكتمال نموها ، ويقدر إنتاج الهكتار الواحد في المتوسط بحوالي عشرة أطنان من الثمار .

والنوع المحلي « ترعة » ، هو المعروف محليا في عمان . وقد أدخلت أنواع أخرى من « المانجو » حديثا ، مثل « الصوفي » ، و « الأنجيرا » و « سيندري » ، « وبنجلورا » . وتستأثر منطقة الباطنة والعاصمة بحوالي ٨٩٪ من إجمالي المساحة المزروعة بالمانجو ، وتبلغ نحو ٢٩٣٠ هكتارا تقريبا وهي تمثل ٨٢٪ من الأشجار المنتجة . كما تعتبر منطقة الظاهرة من أفضل المناطق من الناحية الإنتاجية ، ثم تليها منطقتا الباطنة والعاصمة

أما الموز فهو أيضا من المحاصيل التي دخلت عمان حديثا . والصنفان المعروفان في عمان من أشجاره هما الطويل والقصير . وينتشر الصنف الطويل في شمال عمان ، وهو يتكون من نوعين أيضا يطلق عليهما « الفرض » و « حبشي » أما الصنف القصير فيطلق عليه اسم « مالندي » ، وتجود زراعته في منطقة الباطنة ، وعمان الداخل ، كما تنتشر زراعة النوع القصير في منطقة صلالة ، ويشتهر النوع القصير بحلاوته الفائقة . وفي إحدى المزارع التجريبية في منطقة

الرمحي سألنا المدير المسؤول عن المزرعة حول إمكانية ادخال بعض الأصناف الجديدة من الموز من بعض البلدان المشهورة بانتاجه ، مثل الفلبين ، وهندوراس ، والصومال ، فأجابنا قائلا : لا يخفى أن نوع التربة في السلطنة يختلف عن نوع تربة تلك البلدان ، فتربة السلطنة يغلب عليها الطابع الرملي ، لذلك لم تنجح التجارب التي أجريناها على الأصناف المستوردة من الفلبين وهندوراس وربما تنجح مستقبلا في تجاربنا على الموز الصومالي ، لأن هناك بعض التشابه بين تربة بلادنا وتربة الصومال .

ويقدر متوسط انتاج الهكتار من الموز في السلطنة بحوالي ٨ أطنان . اما المساحة المزروعة بأشجار الموز فتبلغ نحو ألفي هكتار ، ولما كانت انتاجية المنطقة الجنوبية ـ خاصة مدينة صلالة ـ من محصول الموز جيدة ، نظرا لمساعدة عاملي المناخ والتربة ، حيث يساعدان على نمو أشجار الموز بكثافة ، فقد بدأ في هذه المنطقة مشروع تنمية محصول الموز وتطويره ويهدف المشروع إلى تسويق الموز المحلي ، وتغطية الاحتياجات الاستهلاكية . وقد أقيمت محطة لاستقبال الموز ، وانضاجه ، وتعبئته ، بطاقة تتراوح بين عشرة آلاف إلى ١٥ ألف طن سنويا ، بالاضافة إلى انشاء مخازن مبردة ، وايجاد شاحنات مبردة لنقل الانتاج للمناطق المختلفة من السلطنة

« اللومي »

وتشتهر عمان بزراعة « اللومي » ، المعروف بشدة حموضته بالنسبة لليمون العادي المعروف بالأضاليا الذي يزرع في معظم أقطارنا العربية ، وهذا « اللومي » يشبه إلى حد كبير ليمون بنزهير المعروف في مصر ، وقد نالت مدينة صحار في عمان شهرة فائقة في منطقة الخليج والهند وبعض البلاد في أفريقيا بانتاجها هذا النوع من الليمون ، فله سوق رائجة كبيرة ، خاصة في الهند وأقطار الخليج العربي ، حيث يصدر اليها مجففا ، ليضاف إلى الأطعمة ، كنوع من البهار ، يضفي على الطعام رائحة زكية ويستخدم كشراب بدلا من الشاي في معظم أقطار الخليج والعراق ، أو يعصر ويحفظ في زجاجات للاستعمال اليومي . ويحتل اللومي المجفف مركزا بين الصادرات غير النفطية في عمان ، فقد جاء في المرتبة الأولى في عام ١٩٧٩ . ومن المعروف أن فترة نضوج اللومي تتراوح بين ١٥ و١٨ شهرا ، وتشير التقديرات بأن في عمان نحو مليون شجرة منه ، أما المساحة المزروعة بأشجاره فتبلغ نحو ٢٢٥٠ هكتارا ، ويقدر انتاج الهكتار الواحد بنحو ٥ أطنان من اللومي الطازج . وتستأثر منطقتا العاصمة والباطنة بحوالي ٦٥٪ من اجمالي المساحة المزروعة بأشجاره ، وتأتي منطقة الحجر الغربي والحجر الشرقي في المرتبة الثانية في الانتاج ، أما منطقة صلالة فتعد من المناطق القليلة الانتاج من هذا المحصول

وهناك مساحات متفرقة في العديد من مناطق الزراعة بالمحصبيات الأخرى ، مثل البرتقال والليمون والسفرجل والرمان ، وقد أولى المسؤولون عناية خاصة بزراعة الخضروات ، فتبلغ المساحة التي تزرع بالخضراوات نحو ٢٢٠٠ هكتار ، وتعد منطقة العاصمة والباطنة من أكبر المناطق ، من حيث المساحة المزروعة بالخضروات ، تليها منطقة عمان الداخل ، ثم المنطقة الجنوبية ، ومنطقة الظاهرة ومن أهم الخضروات التي تزرعها عمان البصل والثوم والطماطم والفجل والفلفل ، وغيرها من أصناف الخضروات الأخرى التي أدخلت حديثا

اهتمام بأساليب الزراعة الحديثة

يهتم المسؤولون في السلطنة بأساليب الزراعة الحديثة التي تجمع بين التطور العلمي والتقني الحديث وبين طبيعة البيئة العمانية مثل توجيه المزارعين لاعتماد أسلوب التسميد بالرش بدلا من استخدامه في التربة ، مما يساعد على زيادة نمو النباتات وحجم الثمار . وبعد توسيع الارشاد







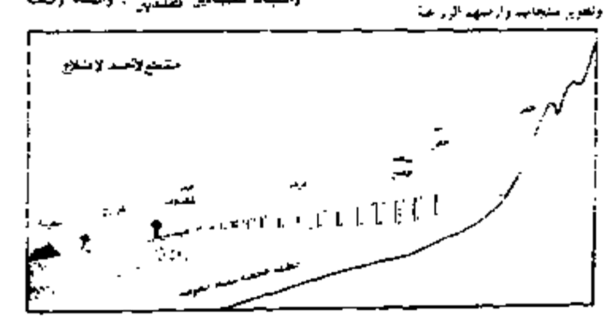
● تحتل عمان ساحلا طوله نحو ١٧٠٠ كم ، فلا غرابة أن تكون حرفة صيد الأسماك من المهن المحببة للإنسان العماني ، ولذلك أبرمت حكومة عمان اتفاقيات مع شركات للصيد متخصصة ، لتنمية هذه الثروة



الزراعي في استخدام منشطات النمو، وتدريب المزارعين على زراعة المحاصيل الزراعية التي تم ادخالها الى السلطنة، مثل البطاطس والكرنب والزهرة والقلقاس وغيرها، كما تهتم أيضا في توجيه المزارعين لاعتماد أسلوب استخدام الأسمدة المركبة، الى جانب الأسمدة العضوية، والتوسع في توفير الحراثة الآلية في مختلف المناطق، واستخدام أحدث ما توصلت اليه التقنية الحديثة في مكافحة الآفات الزراعية. كما أولى المسؤولون بالسلطنة اهتماما كبيرا في اقامة المزارع التجريبية، ومراكز الأبحاث الزراعية، حيث تم تحديد ٢٤ مركزا إرشاديا و١٢ محطة أبحاث تقوم باجراء أبحاث زراعية على المحاصيل، بالاضافة الى تدريب الأشخاص والفلاحين على الري بالتنقيط … بسرعة. والى جانب ذلك تم تطوير محطتي التمور والخضر في كل من منطقة الرستاق وبركاء. وكذلك مصنع تعبئة التمور في صلالة. وقد يسر المسؤولون تشجيع القطاع الخاص، لزيادة مشاركته في المشاريع الزراعية. فهناك مشروع مزارع النخيل الأهلية التي تعد بحق من أكبر مشاريع عمان النموذجية الحديثة. كما يقوم بنك عمان للزراعة والأسماك بتقديم القروض الزراعية لمساعدة المزارعين في تنمية وتطوير منتجاتهم وأراضيهم الزراعية.

ثروة سمكية

تشتهر سلطنة عمان بموقع جغرافي فريد، فسواحلها طويلة تطل على خليج عمان والمحيط الهندي، اذ يبلغ طول ساحلها نحو ١٧٠٠ كيلو متر، فلا غرابة اذن أن تكون حرفة صيد الأسماك مهنة تقليدية، توارثتها الأجيال منذ فجر تاريخ هذه السلطنة. حدثنا الأستاذ محمد رضا حسن عن هذه الثروة قائلا: لقد أثبتت الدراسات التي قام بها خبراء من "النرويج" و"اليابان" وجود كميات هائلة من الأسماك في المياه العمانية. وكان الهدف من هذه الدراسات معرفة الأنواع أو أهم مجموعة من هذه الأسماك، وهي أسماك الأعماق. حيث يقدر مخزونها بما يزيد على ٣٠٠ ألف طن سنويا، بالاضافة الى انتاج … من سمك السردين، ونحو ٦٠ ألف طن من سمك التونة. ويضيف الأستاذ محمد رضا حسن: وقد … بالاضافة الى … وحدات تبريد، ومصانع ثلج، في مناطق صيد الأسماك، ومناطق التسويق، وتخصيص سيارات لنقل الأسماك بالشاحنات المبردة من مناطق الصيد الى الأسواق، وتوفير القوارب والمعدات الصغيرة والشباك للصيادين المحليين، وانشاء وظيفة



ومراسي لقوارب الصيد، إلى تنمية مصايد الأنواع الخاصة من الثروة السمكية، كالصدفيات التي تجد سوقاً رائجة في بلدان أوروبا. كما تضمنت الخطة انشاء شركات صيد حديثة لأعالي البحار.

شركات صيد متخصصة

لقد اتفقت وزارة الزراعة والأسماك بموجب هذه الخطة مع شركتين يابانيتين متخصصتين بصيد الأسماك على القيام بالصيد في مساحة تصل نحو ٢٠٠ كيلومتر من الشاطئ العماني. تتحمل الشركتان التكاليف التي تستلزمها عملية الصيد، والتي تقتصر على مصروفات أسماك الأعماق. وبموجب هذا الاتفاق تحصل حكومة السلطنة على ١٠٪ من الكميات التي يجري اصطيادها من سمك، وتقوم الشركتان بالاضافة الى ذلك بتدريب عشرة من العمانيين على كل سفينة من سفن الصيد التي تستخدمها في عمليات الصيد. وكذلك تدريب ستة آخرين في المركز الاقليمي لصيد الأسماك بالكويت، كمساعدين لربابنة سفن الصيد، ومهندسين بحريين. وقد التزمت الشركتان، فضلا عن كل ذلك، بشراء فائض حصة الحكومة العمانية من السمك.
وحصلت شركة أخرى هي شركة الأسماك النرويجية لما وراء البحار على امتياز في مياه ساحل طوله نحو ٦٠ ميلا بحرياً، تقوم بتحمل تكاليف عملية الصيد فيه، وتحصل على ٢٠٪ من كميات السمك التي يجري اصطيادها مقدمة للحكومة العمانية السنة الماضية. كما أبرمت الحكومة العمانية اتفاقا مع شركة نيوزيلندية متخصصة بصيد الأسماك، ومن بنود [illegible] [illegible] في هذا المشروع [illegible] مشروع مشترك لاستغلال الثروة السمكية، يحتوي هذا المشروع على برادات تخزين بطاقة تصل الى ١٠٠٠ طن من الأسماك، وغرفة تجميد بطاقة ١٠ أطنان يومياً، ثم مصنع للثلج، طاقته تصل الى ٥٠ طنا يومياً. كما تقضي الاتفاق قيام الشركة النيوزيلندية ببناء المنشآت اللازمة على الشاطئ، مثل الأرصفة والمراسي، كما تولت الشركة المذكورة بناء مجمع آخر للانتاج السمكي في مدينة صلالة يحتوي على برادات تخزين، سعتها ١٥٠ طناً، ومعمل للثلج، بطاقة ١٥ طناً يومياً. كما أنشئت مجمعات أخرى للانتاج السمكي، بهدف تخزين كميات كبيرة من فائض الصيد، لتوزيعها وتسويقها فيما بعد.

وحول اهتمام الحكومة العمانية بتشجيع القطاع الخاص، وإنماء الثروة السمكية الهائلة في عمان قال الأستاذ محمد رضا حسن: لقد قمنا في عام ١٩٨٠ بإنشاء شركة الأسماك الوطنية العمانية، لتشجيع القطاع الخاص على الاستثمار في صناعة الأسماك [illegible] برأسمال قدره [illegible] مليون ريال عماني، ويبلغ نصيب هذا القطاع منه نحو ٨٠٪، مع ضمان حق صغار الصيادين في ٢٠٪ من رأس المال. وبالاضافة الى ذلك فقد تم انشاء صندوق لتشجيع صناعة الأسماك الذي يتيح للصيادين الحصول على قروض، لشراء القوارب والآلات ومعدات الصيد الأخرى. وتصل هذه الاعانات الى ثلثي قيمة المعدات، وتتاح الفرصة للصيادين بتسديد الثلث الباقي على أقساط شهرية مريحة. ومما يجدر ذكره هنا أن بنك عمان للزراعة والأسماك والذي يبلغ رأس ماله ١٩ مليون ريال عماني يقوم بتقديم تسهيلات ائتمانية للصيادين والمزارعين. ويضيف الأستاذ محمد رضا حسن قائلا: ان كميات الأسماك التي يتم صيدها في الوقت الحالي، والتي تتراوح ما بين ٦٠ الى ٧٠ ألف طن سنوياً، تعتبر [illegible] كمية السمك الموجود في المياه العمانية وسواحلها الطويلة، حيث أن الأبحاث تؤكد امكانية انتاج ما يقرب من ٣٠٠ ألف طن سنوياً من أسماك القاع، بالاضافة الى انه بالامكان صيد حوالي ٤٥ ألف طن أخرى من السردين والانشوجة سنوياً. □



كتاب العربي مرآة العقل العربي

مجلة الاسرة والمجتمع

حدة الطبع
وعنف المزاج
عند الطفل !

أمهات
للايجار



حدة الطبع وعنف المزاج عند الطفل

بقلم : الدكتور محمد صادق زلزلة

«قد لا يربط كثيرون بين طرق معاملة الطفل وتربيته وبين سلوكه. وبدون أن ندري قد نساهم بذلك في إكساب الطفل عادات وسلوكيات يصعب التخلص منها مع الزمن» ..

تظهر عند بعض الأطفال - فيما بين الشهر الخامس عشر والسنة الثالثة من العمر - بعض التصرفات العنيفة والشرسة ، حيث يقوم الطفل ببعض الأعمال العنيفة المخربة ، كرمي الصحون على الأرض وكسرها ، وإتلاف بعض ما يقع في يده من أشياء صغيرة كاللعبة ، والكتب ، وما أشبه ، أو أن يضرب الباب بيده ، أو يرفس الأثاث برجله ، وما إلى ذلك من أعمال تتصف بالعنف والشدة والشراسة . وقد تقوم الأم بمعاقبة طفلها على حدة طبعه وشراسته ، لتمنعه من التمادي فيها ، أو تكرارها في المستقبل ، لكنه لا يلبث أن يعود إليها مرة أخرى ، غير خائف ولا وجل !

ما هي أسباب حدة الطبع عند الطفل ؟

في بعض أدوار الطفولة - وهو الدور الذي يمر به الطفل من دور الطفولة الهادئة الناعمة ، الى دور الوعي ، والاستقلال ، والتحدي - يبدأ تبلور شخصية الطفل ، وظهور ما يسمى « الأنا » عنده ، و« الأنا » هي الشعور الواعي للنفس ، حيث ينظر إلى نفسه وكأن له شخصية متكاملة ، لها رغباتها ، ومتطلباتها ، وتكون حدة الطبع في هذا الدور امرا سويا ، يظهر - غالبا - عند الأطفال جميعا بدرجات متفاوتة ، يعبر بها الطفل عن شخصيته ، ويعلن بها عن وجودها ، ويفرضها على المحيطين به كالوالدين والأهل جميعا ، ويكون لشخصية الطفل الموروثة دور كبير في ظهورها وتطورها ، فهي تظهر غالبا عند الطفل الأكثر نشاطا الذي يتمتع بقدر كبير من النشاط يميزه عن غيره من الأطفال ، ولا تظهر عادة عند الطفل الهادىء ، البطيء الحركة ، الرضي السلوك الذي يطيع أوامر أمه ، ويتقبل إرشاداتها ، وتعليماتها .

وتزول هذه الحالة عادة في الأحوال السوية دون أن تترك في نفس الطفل شيئا من الآثار والترسبات ، وذلك عند معرفة الأم بطريقة معالجتها ، وحسن تصرفها مع الطفل في هذه الحالة ، وتجنب ما يسبب تمكنها من شخصية الطفل ، واستقرارها في أعماق نفسه . أما إذا أساءت الأم التصرف ، وحدث التصادم بين شخصية الطفل النامية وروح التمرد وحب الاستقلال فيه وبين شخصية أمه وإرادتها ، وذلك بفرض سلطانها عليه ، وإخضاعه لإرادتها ، وتحكمها ، فإن الطفل يبدأ بالصمود أمام إرادة أمه وعنته ، فيتحدى أوامرها ، ويرفض سلطانها وتحكمها ، فتلبسه حالة من العنف وحدة الطبع

وتزداد تلك الحالة سوءا إذا ما أساءت الأم التصرف أكثر من ذلك ، كأن تزجر طفلها على حدة طبعه ، وسوء تصرفه ، أو تعاقبه أو تضربه ، أو تشكوه إلى أبيه ، أو تشكو إلى بعض جاراتها وذويها - أثناء وجوده - ما تعانيه من جراء عنف طفلها ، وتعنته ، وشراسته ، وتبدي قلقها وخوفها عليه ، فيتمادى الطفل بتلك الحالة ، ويكررها ليلفت بها الانتباه ، ويركز نحوه الأنظار ، ويستمر في تمسكه بها حتى تصبح حدة الطبع عادة متأصلة فيه ، يلجأ إليها كلما أراد فرض إرادته ، أو إظهار احتجاجه على بعض ما لا يرغبه من تصرفات من معه ، وما يسبب له ، أو عند تعبيره عن احتجاجه على شيء يمسه أو يرغب في اقتنائه

لا للشدة أو فرط التدليل

ومما يسبب هذه حالة العنف وحدة الطبع عند الطفل المحيط الخارجي ، والأنظمة الصارمة التي تفرض على الطفل ، والحساب العسير الذي يحاسب به في كل عمل يعمله أو نشاط يقوم به ، بدلا من محاولة تفهم مشاكله ، والبحث عما يثيره أو يريحه ، وتحقيق المعقول من طلباته ، مما يثير عنده مشاكل نفسية كثيرة ، ومن جملتها حالة العنف وحدة الطبع ، وعلى الأم أن تتذكر دائما أن الطفل يجب أن يعامل حسبما تتطلبه حالته وسلوكه ، وألا تتجاهل التباين بين شخصية طفل وآخر ، ذلك أن معاملة طفل كما يعامل غيره ممن يختلف عنه في الشخصية ، والسلوك ، والتصرف ، قد يثير المتاعب والمشاكل له ولأمه على السواء .

كذلك فإن معاملة الوالدين للطفل معاملة شديدة ، صارمة ، متعسفة ، لا تتناسب مع سنه ، ولا تتوافق مع مستوى فهمه وإدراكه تسبب للطفل

لأقرانه، ويثير فيه الغيرة، مما يدفعه إلى التحدي والتمرد، ثم إلى العصبية وحدة الطبع. ومن الخطأ أن تعترض الأم على كل عمل يقوم به الطفل، حتى وإن كان لا يستدعي الاعتراض أو الزجر، فإنه بذلك تتولد فيه روح الاستياء، والتذمر، والتمرد، خاصة في العمر الذي تظهر فيه روح الاستقلال، والشعور بالكيان المستقل الذي يوقده فيه ظهور "الأنا". وكذلك زجر الأم لطفلها أثناء لعبه وجريه خشية إزعاج الجيران، أو مراعاة وجود ضيوف في البيت مشغلة وهدوءاً، أو بحضرة وغيرها، فإنها تكبت في نفسها حب اللعب، والرغبة في المرح والتسلية، إذ إن لعب الطفل، وصياحه، أمر طبيعي، لا يستدعي الزجر، والتأنيب، والعقاب، لأن ذلك يولد في الطفل روح النقمة والغضب، ثم التمرد، وعدم الطاعة، ثم حدة الطبع والعنف. ولذا ينبغي على الأم أن تهيء لولدها جواً يلعب فيه ويمرح حسب ما يشاء، وأن تفهمه بهدوء وعطف وتفاهم، أن إزعاج الجيران أمر غير صحيح، وأنه لا يليق بشخص مؤدب لطيف مثله.

إن مسايرة الطفل في كثير مما يأتي به من أخطاء، والتساهل معه في بعض الأمور التي لا ينبغي التسامح بها، وتلبية جميع رغباته مهما كانت متزمتة ومتعبة، والعفو عنه من كل أمر مهما كان خطيراً وتافهاً، من الأسباب المهمة التي تنمي في الطفل روح العنف، وحدة الطبع، وذلك أن مثل هذا الطفل لا يعرف حقيقة الحدود التي ينبغي عليه أن يقف عندها في طلباته وتصرفاته، لالتباس الأمر عليه، ولعدم إدراكه لما هو مقبول منها، وما هو غير مقبول، بسبب تلبية أمه لجميع رغباته وطلباته دون استثناء. فإذا ما تصرف الطفل يوماً وتجاوز تلك الحدود متجاوزاً مرغوباً فيه فإن الأم ستقوم بما يزجره ويوقفه عند حده، أو تنهى عن الأمر، بعدم الاستجابة إلى تلبية تلك الرغبة، وذلك المطلب، وعند ذلك يثور الطفل، ويهيج إلى العنف وحدة الطبع، معبراً عن رغبته في تنفيذ رغباته وطلباته كلها، كما كان عليه الحال سابقاً.

وقد تضطر الأم في بعض الأحيان أن تعد طفلها ببعض الوعود، ثم لا تفي بها، أو أن تقول له قولاً ثم تعمل عملاً مغايراً له، كأن تهدده بأنها سوف تعاقبه إذا فعل أمراً معيناً، أو إذا امتنع عن تنفيذ بعض إرشاداتها أو عصى بعض أوامرها، ثم تنسى أو تتناسى وعيدها وتهديداتها، فيتعجب الطفل من تلك الأمور، ويفقد ثقته بأمه، ثم يظهر احتجاجه على ذلك بإبداء حدة الطبع والعنف والمشاكسة، وعلى الأم أيضاً ألا تعارض الأمور التي يوافق عليها الأب بطلب أو السماح من الطفل، فتحرم الطفل من التمتع بموافقة أبيه على طلبه، لأن ذلك يثير في الطفل روح المشاكسة، والعنف، وحدة الطبع.

أسباب مرضية لها علاج

وهناك أسباب عضوية لحدة الطبع، منها بعض الأمراض التي تصيب الطفل، فتجعله يشعر بالضيق والانزعاج، كالحمى، وفقر الدم، وأورام الدماغ في أدوارها الأولى، ونقص السكر في الدم، وتناول بعض الأدوية، وبعض الأمراض المزمنة كالصرع، والتدرن. والسؤال الآن كيف يعالج الطفل المصاب بحدة الطبع؟.

قبل كل شيء يجب التحري عن وجود الأمراض العضوية التي تسبب حدة الطبع للطفل، فإن وجد بعض تلك الأمراض وجب علاجها والقضاء عليها.

أما في حالة الطفل السوي فإن على الأم أن تتجه

سبب حدة الطبع عنده . وأن تعمل على علاجها وإزالتها .

إن الطفل يبغي من وراء حدة طبعه وعنفه أن يشد الانتباه إليه ، ويجذب الأنظار نحوه ، ويسبب الأذى والمضايقة لأبويه ، ويستثير فيهم شعور القلق . ثم الاهتمام بأمره والانتباه لرغباته . فيفرض إرادته عليهم ، وينال منهم ما يرغب ويريد . ولذلك فإن أول ما ينبغي على الأم أن تفعله هو أن تتجاهل حدة طبعه ، وتغض النظر عن شراسته وعنفه ، وتقابل ثورته بصبر وهدوء ، فلا تزجره أو تعاقبه . ولا تلقي لتصرفاته العنيفة بالا . ولا تظهر على وجهها علامات الغضب أو الأسف ، أو الاشمئزاز أو النفور ، وأفضل ما تفعله هو أن تخرج من الغرفة ، وتغلق الباب خلفها بهدوء وسكينة ، وتترك الطفل في ثورته يبكي ويضرب بيديه ، ويرفس برجليه ، ويأتي بما يشاء من حركات العنف والشدة ، وذلك لأن أشد ما يكون على الطفل أن تتجاهل أمه عنفه وشراسته ، ولا يؤلمه شيء كما يؤلمه عدم اهتمام أمه به وهو يبكي ويصرخ بعنف وشدة

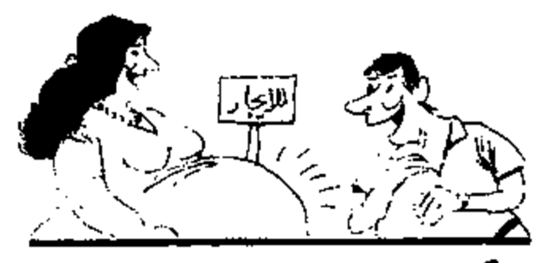
ثم أن على الأم أن تدرس حالتها وحالة الأب ، وهل أن تصرفاتهما أو سلوكهما مع طفلهما قد يؤثر على نفسية الطفل وسلوكه ، كالتدليل الكثير والتسامح المتمادي ، وتلبية رغبات الطفل جميعها وبسرعة ... أو كالصرامة والشدة ، وما تسببه هذه الحالة وتلك من توتر نفسي ، وقلق ، وحرمان عاطفي . ...

ومن ناحية أخرى ينبغي أن تراعي الأم حالة الطفل الصحية ، وتلاحظ أوقات تناول الطعام التي لا ينبغي أن تكون متباعدة عن بعضها إلى حد شعور الطفل بالجوع بعض الوقت ، ذلك أن نقص السكر في الدم الناتج عن سوء التغذية أو قلته قد يكون سببا من أسباب حدة الطبع ، ولا سيما إذا كانت أوقات تناول الطعام متباعدة عن بعضها بصورة غير منتظمة . ويجب أن تراعي الأم طفلها عند عودته من المدرسة جائعا ، فقد يكون حاد الطبع عصبيا بسبب الجوع ونقص السكر في الدم . إذ يجب عليها أن تسرع بتقديم وجبة الغذاء لطفلها ، حيث يصبح بعد تناول غدائه هادئا في تصرفاته ، قرير العين ، معتدلا في سلوكه ☐

■ المرأة تضحك عندما تقدر ، وتبكي عندما تريد . (مثل روسي)

■ قتل فتى شجاع في حرب ، فدخل المأمون على أمه معزيا بقوله : لا تجزعي يا أماه ، فإني ابنك بعد ابنك ، فأجابته : « كيف لا أجزع على ابن أكسبني ابنا مثلك » .

■ قطاع الطرق يسألونك عن كيس نقودك أو حياتك ، لكن النساء يطلبن الاثنين ! (صموئيل بتلر)



أمهات للإيجار!

بقلم : الدكتور غسان حتاحت

« حقاً كل شيء جميل هناك قبيح منه . ويختبئ في كل اكتشاف علمي جانب غير أخلاقي . وهذه قضية تشغل بال أساتذة القانون والاجتماع والطب ، فجرها كشف علمي هز الدنيا ، وقبل أن يصبح هذا الكشف متاحاً لكل البشر . بدأ الاستغلال غير الأخلاقي له » . .

في عام ١٩٧٨ أنجز الطبيب المولد الانجليزي باتريك ستيبتو تقدماً طبياً رائعاً . استفاد فيه من معطيات التقنية الحديثة ، فجدد الأمل في قلوب الآلاف من الأمهات العقيمات . لقد استخرج هذا الطبيب بويضة من مبيض امرأة عاقر (هي « ليسلي براون ») . ثم لقحها في أنبوب اختبار بنطفة من زوجها (جلبرت جون براون) ، وبعد ذلك زرع البويضة الملقحة في رحم الأم التي استمر حملها طبيعياً ، وولدت أول طفلة أنبوب اختبار (كما أطلق عليها فيما بعد) .

ولقد فتح هذا الأمر باب الأمل واسعاً أمام النساء اللاتي لديهن ما يسمى بانسداد بوقي (فالوب) ، بحيث أن البويضة التي تنشأ من المبيض لا تستطيع أن تصل إلى الرحم حيث يتم التلقيح . لأن بوقي أو

أنبوبي (فالوب) اللذين يصلان بين المبيضين والرحم مسدودان ، وكأن ما قام به باتريك ستيبتو هو تجاوز هذه العقبة . وهو أمر ليس يسيرا .

ولقد كان التخوف من أن يساء استعمال هذا التقدم الطبي قائما منذ البداية . إذ خشي كثيرون أن يصبح هذا التطور وسيلة استغلال ، غايتها الربح الحرام ، وجني المال .

ولقد بدأ ذلك الاستغلال ، أول ما بدأ ، عندما باع السيد جلبرت جون براون وزوجته ليسلي حقوق نشر أخبارهما إلى جريدة ديلي ميل البريطانية بمبلغ قدره (٥٦٥٠٠٠) دولار

لكن ما أيسر ذلك الاستغلال إذا قارناه بما تلاه . ففي محاكم نيوجرسي تعرض الآن قضية حضانة طفلة عمرها تسعة أشهر ونصف ، كانت والدتها السيدة ماري بث وايتهيد ، قبل قرابة عام من تلك ، قد وقعت على عقد ، وافقت فيه أن تكون أما بديلة تحمل طفلا لحساب الزوجين وليام واليزابيث ستيرن .

وقد لقحت الأم تلقيحا اصطناعيا ، بحقنها بنطف من السيد وليام ستيرن ، على أن تسلم محصول الحمل بعد الولادة إلى الزوجين . وبعد تمام الحمل وضعت هذه الأم طفلة اسمها سارة . وعز عليها أن تسلمها إلى الزوجين المتعاقدين ، وقررت الاحتفاظ بها . وأصر آل ستيرن على الحصول على هذه الطفلة التي سموها ميليسا . واحتار القاضي هارفي سوركو كيف يحكم في هذه القضية . إذ لا يوجد في القانون وسالف الدعاوى سوابق مماثلة ، يمكن أن يسترشد بها .

فإذا اعتبر القاضي هذه الموضوع خلافا حول عقد قانوني ، فالعقد ساري المفعول . والطفلة حق آل ستيرن . أما إذا اعتبر الأمر موضوع حضانة الطفلة ، فهنا يجب النظر لمصلحة الطفلة نفسها . وعادة يكون الحكم في هذه القضايا لصالح الأم . وهي هنا السيدة ماري بث وايتهيد . لكن الطفلة ميليسا في الوقت نفسه قضت معظم أيامها مع آل ستيرن . فلعل في هذا أيضا شيء من الترجيح في أمر الحضانة .

هل تصبح تجارة

إن حضانة هذه الطفلة ليست هي الأمر الأكثر أهمية عندما نقارنها مع المشكلة التي تطرح . وهي أليس من المحتمل أن تصبح تجارة الأطفال هذه شائعة متداولة ، فيستطيع كل زوجين عقيمين أن يستأجرا رحم امرأة ما ، كي تحمل طفلا لهما ، مقابل مبلغ من المال ، خاصة بعد نجاح طريقة ستيبتو ؟ وحتى لو اعتبر هذا الأمر غير قانوني ، وغير شرعي فإنه سيمضي دون شك من العلانية إلى الخفاء . لكنه سيبقى كابوسا يهدد الأسرة والمجتمع

ونعود إلى بداية القضية حيث تعاقد وليم ستيرن ، وعمره ٤٠ سنة ، وهو باحث في الكيمياء الحيوية ، وزوجته اليزابيث ، وعمرها ٤١ سنة ، وهي طبيبة أطفال ، مع السيدة ماري بث وايتهيد عام ١٩٨٥ على أن تحمل الأخيرة بإخصاب اصطناعي طفلا لحسابهما . وقد كان الوسيط مركز العقم في نيويورك ، وهو جمعية غايتها الربح . وقد اختار آل ستيرن السيدة وايتهيد بعد مقابلتهم لما يقرب من ٣٠٠ مرشحة ، وقد رفض الزوجان أكثرهن لأنهن يدخن أو يشربن الخمور أو يستعملن المخدرات

وبدت لهما السيدة وايتهيد مثالية ، فهي زوجة ، ولها طفلان في سن الدراسة المدرسية ، وهي ترغب في أن تكون أما بديلة ولا تريد مزيدا من الأطفال ، ولذا وقعت وزوجها عقدا يتعهدان فيه بتسليم

لحصول الحمل بعد الولادة إلى آل ستيرن . على أن يدفع آل ستيرن مبلغ (١٠٠٠٠ دولار) لوايتهيد ، إضافة إلى النفقات الطبية . ومبلغ (١٠٠٠٠ دولار) أخرى لمركز العقم .

وبعد الولادة رفضت وايتهيد تنفيذ العقد . وتركت حقها في المال . وأبت التخلي عن طفلتها الوليدة . وأخذتها إلى بيتها ، فجاء آل ستيرن بعد ثلاثة أيام برفقة رجال الشرطة وأخذوا الطفلة عنوة . وبدأت المشاكل بين المتعاقدين

وقد أصدر القاضي هارفي سوركو حكمه في البداية بصورة مؤقتة بأن الحضانة لآل ستيرن . وأن من حق الأم أن ترى طفلتها مرتين كل أسبوع في مكان محايد ، ريثما يصدر الحكم النهائي الذي حسم الجدل المتصل ، فحكم بأن الطفلة للأب الذي قدم النطفة . لا للأم التي قدمت البويضة . وحملت الطفلة تسعة أشهر ، وهذا هو رأيي ؟

ولا شك أن الأمهات البديلات معروفات منذ القديم بشكل أو بآخر . إذ نجد لهن ذكرا في الكتب السماوية . فالسيدة سارة زوجة إبراهيم عليه السلام عندما عجزت عن الإنجاب . وغدت عجوزا عقيما . قدمت جاريتها هاجر لسيدنا إبراهيم فحملت الأخيرة بإسماعيل عليه السلام . وقد نشأت عن ذلك مشاكل فيما بعد . أدت إلى أن يسكن إبراهيم هاجر وابنها (بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) . وبقية القصة معروفة مشهورة

إن الأمهات البديلات بوضعهن الجديد حيث يتم الإخصاب الاصطناعي . أو يتم زرع البويضة ملقحة حسب طريقة ستبتو . فتقدم الأم البديلة رحمها فقط . بينما يقدم الزوجان البويضة والنطفة . وهو أمر حديث



يقول المحامي نويل كين ، وهو المشرف على المركز الذي جمع آل ستيرن بوايتهيد : إن هناك الآلاف من الذين يرغبون بالاستفادة من هذا الأمر ، ومنه الأمهات البديلات . وقد حصل حتى الآن في الولايات المتحدة ما يزيد على ٥٠٠ حالة ، منها ٦٥ حالة في السنة الماضية فقط . وهناك على الأقل عشرة مراكز للأمهات البديلات . وإذا عرفنا أن نسبة ١٠٪ من الأزواج يمكن اعتبارهم عقيمين عرفنا كيف سيصبح الحمل عن طريق الأمهات البديلات في طريق الازدياد والشيوع .

سوق لسلع لا تباع

ويرى بعضهم أن تشريع قوانين تنظم هذا الأمر هو اعتراف بشرعيته . وإقرار بقبوله . مما يشجع الناس عليه . فتفتح سوق جديدة لبيع الأطفال

وغني عن البيان أن الشرائع السماوية كلها، وعلى رأسها الدين الإسلامي الحنيف، تحرم ذلك. بل إن الدين الإسلامي الحنيف يحرم حتى ادعاء الأطفال عن طريق التبني.

فالأطفال ليسوا بضاعة ولا تجارة. ولا يحق لأم أو أب أن يبيعا أطفالهما. لكن ما يخشى منه أن تصبح الأمهات البديلات تجارة رابحة مربحة، وأن تصبح أرحام الفقيرات الأمريكيات، أو بعض نساء العالم الثالث بضاعة تستأجر، وحواضن لأطفال موسرين لا يودون أن يزعجوا أنفسهم بالحمل ومشاكله وبمحنة بعد أن حياة ستبقى بطريقة الغنية.

شوق الولادة كامن، وهي أم بديلة. لا بد من إعطاء الخيار للأم التي حملت الطفل، فإذا أرادته فهو لها. وإذا سلمته فإن الواجب أن تساعد في التغلب على مشاكلها النفسية، دون أن تترك وحيدة. فأثناء الحمل يكون الزوجان المتعاقدان موجودين جامعين. أما بعد الولادة فإنهما يتجاهلان الأم البديلة تماما في إهمال معيب. ونجد أن العقود المعدة للأمهات البديلات لا تعطيهن أي حق، بل تحرم عليهن كثيرا من الأمور، كالتدخين وشرب الخمر، وحتى أن يجامعهن أزواجهن في فترة الإخصاب الصناعي. بينما تسلم الأم البديلة طفلها كاملة لا تملك منه شيئا.

إن العواطف في قضية الطفلة (سارة - ميليسا) يمكن أن تنقسم مع هذا الفريق أو ذاك. لكن الطفلة نفسها لا تعرف. بل إن هذه الطفلة - على الأغلب - سوف تبلغ عامها الأول، ولما يصدر الحكم بعد، ولما تستقر على اسم، ولما تستقر في بيت.

وهكذا يخلق التقدم الطبي أحيانا مشاكل، ويعجز عن إيجاد حلول لها. لكن الناس هم الذين يخطئون بحق الأطفال وبالتالي عليهم أن يتحملوا نتائج ذلك. □

■ قيل إن أحد رجال الأعمال الفرنسيين ترك مبلغا يساوي مائة وعشرين ألف جنيه للمرأة التي رفضت مرتين عرضه الزواج بها. وجاء في وصيته: إنني أترك لها هذا المبلغ اعترافا بجميلها، فبسببها تم لي أن أعيش حياة (عزوبية) هنيئة، مطمئنة، خالية من المشاكل، مما سهل لي النجاح في الحياة.

■ ضرب رجل، وضرب ابن له فلم يصح به، فأخذ ابنه وضرب، فجزع، فقيل له في ذلك، فقال: ضرب جلدي فصبرت، وضرب كبدي فلم أصبر.

■ لما بشر الحسن البصري بمولود له قال: لا مرحبا بمن إن كنت غنيا أذهلني، وإن كنت فقيرا أتعبني.



هو.. في بيتي

● يتطلب مني المستحيل. ويضعني بين خيارين، كلاهما مر. حاولت أن أقول له إن ما يريده فوق الطاقة. ومناف لكل عرف وتقليد، لكنه ركب رأسه وأصر

لي في الدنيا ثلاثة إخوة، شباب في مقتبل العمر، موظفان وطالب جامعة. وأمي سيدة مسنة قعيدة ولأننا فتحنا أعيننا على الدنيا ولم نجد حولنا أحداً، فقد توثق ترابطنا ببعضنا. وأصبح كل منا للآخر أكثر من أخ وصديق

وبعد زواجي صار بيتي هو ملتقى إخوتي، فيه يتجمعون ويلتقون. وحمدت لهم حرصهم على السؤال عني. وشجعتهم على المجيء عندي، لأنهم أكثر قابلية للتحرك مني. ولايعانون مثلي مشقة الانتقال لو أردت أن أذهب إليهم، فكيف أنتقل أو أحمل أطفالي، وأترك البيت... إلخ *

وفي البداية كان زوجي يسعد بهم. يجلسون معا، ويشاهدون التلفاز، أو يلعبون النرد، ويديرون بينهم مسابقات في النرد، يخوضونها بحماس، ويقضون بها أمسياتهم.

كنت أسعد الناس بهذا. إلى أن بدأ زوجي يتململ، ويضيق. وكنت أرجع الأمر في البداية إلى أنه يمر بظروف انعكست على بيته وعلاقاته العائلية، وعندما طال الأمر بانت لي بوادر الضيق التي تبدو عليه، فانتقل من التلميح إلى التصريح، فآثرت أن أتفادى المواجهة، وأتجاهل الأمر كله. لكن بدلا من أن يرجع عن ضيقه بدأ يطاردني بضرورة التخلص من إخوتي !! وأن زياراتهم كل أسبوع كافية. وأنهم بذلك قد اقتسموا أنفسهم في حياته. وأنه لم يتزوجني وحدي، لكنه بهذا الشكل - هكذا يقول - قد تزوج إخوتي معي. قلت له إنني لا أستطيع أن أمنع إخوتي من المجيء، ولا أستطيع أن ألمح لهم بذلك، ولا أن أقابلهم بشكل يفهمون منه أن زوجي يضيق بهم.

وحاولت معه كثيرا. قلت له: تحملهم من أجلي، وأحسن صحبتهم إكراما لي. لكنه ركب رأسه وأصر قائلا: بأن الزيارات العائلية يوم واحد في الأسبوع، وبالتبادل، يجيئون هم أسبوعا، ونذهب نحن إليهم أسبوعاً آخر. أصبحت بين المطرقة والسندان، وحيرتي وخجلي يملآن أيامي كلها. فطوال حياتي لم أسمع أن أختا طلبت من إخوتها ألا يزوروها في بيتها

[illegible]





والعائلة

● هناك فروق دقيقة بين الأشياء ، وأخطر مايمكن أن يصيبنا هو أن نتجاوز الفروق . لو تخلصنا منها ، فعندئذ تختلط الأشياء والعلاقات والمواقف ، ويصعب علينا التفرقة بين ماهو صواب في إطار ما ، وماهو خطأ إذا ما استخدمنا نفس المعيار .

عندما تزوجنا كنت أعلم مدى ارتباط الأسرة ببعضهم . وكنت أعلم حالة أم زوجي ، ويشهد الله أنني لم أمنع زوجي يوما عن الذهاب لأمها ، لرعايتها أو رعاية شئون إخوتها ، لكن زوجي حتى قبل أن تنجب طفلتنا الوحيدة استسهلت الاستقرار في البيت ، وأن يأتي إخوتها لزيارتها

ولم يكن لدي أدنى اعتراض على هذا ، بل بالعكس كنت أرحب بهم وأسعد ، وفي ظني أن شرهم هو من قبيل الزيارة ، لكن مع الوقت تلاشت الفروق ، وتاهت وأصبحت الزيارة إقامة من ينتهون من أعمالهم فيجيئون إلى البيت ظهرا . يتناولون طعام الغداء ، ثم يجتمعون في نومة القيلولة . وعندما يستيقظون عصرا ينصرفون البيت إلى مقهى ، أصدقاؤهم يأتون للسؤال عنهم ، ويزورهم عندنا ، وصغيرهم يحتل غرفة الاستقبال للمذاكرة ، وتبدأ الطلبات ، شاي وقهوة ومرطبات وتلاشات وسجائر . إلخ .

يحل الليل علينا ، ليكتشفون أن الوقت قد تأخر ، فيبيتون معنا ، ويجيء صباح جديد بنفس الأحداث . ومع الوقت صار لهم ركن مخصص لملابسهم في خزائن ثيابنا . وعند الضرورة يستعيرون ملابسي ، وصارت غرفة الاستقبال مكان نومي . على الأرائك وعلى الأرض توضع « حشية » ووسادة للنوم النائم . حتى الحوار على تسرته عندما يحدث بيني وبين زوجي يتدخلون دوما لصالح شقيقتهم . ويبدو أن هذه اللعبة قد راقت لزوجتي ، فصار لايحلو لها أن تطلب شيئا إلا أمام أشقائها . وأجد نفسي في حرج من لايستطيع الرفض وتحولت الحياة إلى جحيم ، وأصبح البيت كأنه فندق من فنادق الدرجة الثالثة ، وأصبح إخوتها يشاركونني في كل شيء ، حتى سريري في غرفة نومي كثيرا ما أعود ظهرا لأجد أحدهم نائما فيه ، وعلي أن أختار بين النوم بجواره أو عدم النوم . وعند هذا الحد قلت لزوجتي : لعلك فوق رأسي ، لكن كضيوف ، وليسوا كمقيمين . وعلينا أن نحدد الفارق بين معاملتهم كضيوف وبين تواجدهم الدائم بيننا .

وصمتت . في البداية تصورت أنني مع الوقت سأتغاضى عن الأمر . وتستمر الحياة بحكم العادة . لكن عندما أصبح الأمر فوق الاحتمال قلت لها اطلبي منهم المغادرة فورا ، وأن يقتصر مجيئهم على يوم الخميس مساء كل أسبوع . والأسبوع التالي نذهب إليهم .

هو





قضايا منزلية

غليان الحليب

لسنا في مقام الحديث عن قيمة الحليب غذائيا، ولا عن موقعه بين عناصر التغذية الصحية. فقد تجاوز المختصون حدود هذه القضية، وانتهوا إلى شبه اتفاق باعتبار الحليب غذاء شبه متكامل، ولو اضيفت إلى كوب الحليب بضع تمرات – كما كان يفعل العرب القدامى في بواديهم – لارتقينا به إلى مرتبة الغذاء الكامل المتكامل، حيث ان ماينقص الحليب من العناصر كأملاح الحديد أو بعض الفيتامينات ستجده بوفرة في تركيب التمر. وهكذا وصل العرب القدامى بعفويتهم إلى حقيقة علمية، وقفت سدا منيعا أمام المرض والوباء، وحالت بينه وبين أن يتسرب إلى بواديهم، فنحن لم نشهد مرضا قد استشرى بين العرب في جاهليتهم، ولم نسمع عن وباء قد تسلل إلى قبائلهم.

بيد أن الحليب كغذاء شبه متكامل ليس حكرا على الانسان، بل هو مشاع بين المخلوقات، لذا تجد الميكروبات والجراثيم فيه مرتعا خصبا، تتغذى عليه، وتتكاثر فيه، ومن ثم كان ذلك الوجه الكريه للحليب الملوث، المتمثل في أمراض شتى، يطول تعدادها. وقد يكون من أبرزها السل والتيفود والحمى المالطية «البروسيلا» والتسمم الغذائي... إلخ.

لكنه منذ توصل الانسان لاكتشاف النار، لم يعرف درب تعقيم الحليب بالغليان. ولا جدال حول قيمة غليان الحليب في توفير حليب آمن من التلوث والضرر. غير أن السؤال الأهم هو: هل نحن حقا نحسن غلي الحليب؟ وهل غليان الحليب بلا ثمن أو ضريبة؟

من الملاحظ أن هناك قناعة سائدة بين الناس مؤداها أن فوران الحليب هو غليانه، وهذا خطأ شائع، عند ممارسة الناس لغليان الحليب، حيث إن فوران الحليب يتم عند درجات متدنية من الحرارة، تتراوح بين ٧٠ إلى ٨٠ درجة مئوية، بسبب تصاعد فقاعات هوائية مغلفة بغشاء رقيق من الدهن والزلال، أما الغليان الحقيقي فعند درجة حرارة تتعدى مائة درجة مئوية بقليل، وهذا مالا أحد يضمن تعقيم الحليب على وجه مرضي ومقنع، ويكون معه الحليب آمنا خاليا من الميكروبات الضارة الضارية. وهناك عصبة من الميكروبات تصمد أمام

درجات الحرارة العالية . لا تموت إلا بعد طول غليان . وهذا المطلب له ثمن تدفعه من قيمة الحليب الغذائية ، ومن صفاء لونه ، وطعمه ورائحته ، وهذا ما يمكن إيجازه على الوجه التالي :ـ

١ ـ اصفرار لون الحليب : إذ يتغير اللون الأبيض المعتاد للحليب إلى لون أصفر فاتح ، بسبب احتراق سكريات الحليب المعروفة باسم (اللاكتوز) (أو سكر الحليب) ، وهي عملية تعرف في أوساط صناعة الحليب بالكرملة .

هذا بالإضافة إلى تحول زلال الحليب المعروف بالكازين إلى هيولي ذات لون مائل إلى الصفرة .

٢ ـ تغير طعم الحليب : بعد الغليان يصبح للحليب طعم يميز عن طعم الحليب الطازج ، وسبب هذا الأمر هو (كرملة اللاكتوز) أولا ، وتحول دهنيات الحليب بعد تسخينه إلى مادة تعرف باسم (الاكرولين)

٣ ـ رائحة الحليب المغلي : يتميز الحليب المغلي برائحة خاصة ، تعزى إلى تصاعد أحماض دهنية طيارة من الحليب في أثناء تسخينه ، وإلى رائحة أبخرة الكبريت الناتجة من بعض الزلاليات حيث

٤ ـ ترسب زلاليات الحليب : يشتهر الحليب بزلاله ذي الأحماض الأمينية الأساسية النافعة للجسم ، لكن حرارة الغليان تعمل على ترسيب هذه الزلاليات في قاع الاناء .

٥ ـ تلف الكالسيوم : لا طعام أشهر من الحليب في محتواه من الكالسيوم سهل الامتصاص ، غير أن حرارة الغليان تحيل مركبات الكالسيوم هذه إلى تركيب عسر الهضم ، يعرف باسم (ثلاثي فوسفات الكالسيوم) ، مما يفقد الحليب أهم مزاياه ، وهو وفرة الكالسيوم .

٦ ـ تبديد الفيتامينات : إن أهم ما يحتويه الحليب من فيتامينات عندما يكون طازجا فيتاميتا أ و ج ، فالأول منها يتأثر مع الحرارة بأكسجين الهواء ، وهو ما يعرف بالأكسدة ، كما يتأثر الثاني ويتلف بالحرارة

وعلى هذا يمكن القول ان غلي الحليب ليس هو الحل الأمثل ، ولا الجواب النهائي لمشكلة تلوث الحليب ، ومن هنا كان الطريق واسعا أمام العالم الفرنسي لويس باستير ليسير على درب جديد عرف باسمه وهو (بسترة) الحليب

بريد طبيب الأسرة

أسباب الزكام

● ما هو سبب الزكام وما هو سر الاصابة به في فصل الشتاء على وجه الخصوص ؟

(. .)

ـ الزكام مرض سببه فيروس معين ، قد تصل أنواعه الى مائة ، ومن هنا يسهل تكرار العدوى ، دون أن يكتسب الانسان مناعة ، ويصيب هذا الفيروس منطقة الجهاز التنفسي العلوي ، وهو سهل العدوى في كل فصول السنة ، لكنه يشيع في فصل الشتاء والربيع ، نظرا لطبيعة الزحام ، وحصر الناس داخل غرف مقفلة ، في مجموعات كبيرة ، تعطي الفرصة للفيروسات أن تنتقل من المصاب الى السليم ، عن طريق التنفس ، والرذاذ ، وتقلب الانسان بين الغرف الدافئة والجو الخارجي البارد فجأة ، مما يؤثر على مناعة الغشاء المخاطي للأنف والحلق والقصبة الهوائية .

علاج لسقوط الشعر

● منذ سنوات طرحت احدى شركات الادوية عقارا لعلاج ضغط الدم المرتفع تحت اسم مينوكسيديل، غير أن التجربة اظهرت لهذا العقار آثاراً جانبية اهمها ظهور شعر كثيف على البدن في مواضع شتى.

لهذا فقد قام طبيب بتحضير دهان من مسحوق هذا العقار يستعمل موضعيا حين يكون هناك سقوط للشعر او ضعف نموه، فكانت تجربة الطبيب حيث توقع، اذ نبت الشعر في المواقع التي استعمل فيها الدواء موضعيا مما شجع الشركة المنتجة ان تتجه بعقارها الى استعماله في انبات الشعر وابقائه في علاج ضغط الدم المرتفع.

لقد وضعوا العقار تحت التجربة والاختبار فأثبت نجاحه وفعاليته بنسبة كبيرة قد تصل الى ٧٩ بالمئة لهذا فقد طرحوه في السوق التجاري بعد موافقة الجهات الصحية المختصة بمراقبة الأدوية والعقاقير وقد وصل الى بعض الأقطار العربية تحت اسم روجين [illegible] وقد يلفظه البعض باسم ريجان على سبيل الخطأ في اللفظ.

فنحن لا نملك الا ان نقول لك اصبر وما صبرك الا بالله مع التأكيد بأن الصلع ليس بالعيب الذي تتوهمه، بل هو ميزة يعتبره البعض احدى علامات الذكاء

الثعلبة

● هل لي ان اعرف ماهي الثعلبة، وماهي أسبابها وعلاجها؟

ش. ش. ش - السعودية

- الثعلبة هي اصطلاح لسقوط الشعر الموضعي بسبب ما، وغالبا ما يكون ذلك السبب مجهولاً. وقد يعزى لأسباب نفسية كامنة.

يهاجم المرض مواضع في الجلد غير محددة، تكون غالبا في منطقة اللحية عند الرجال، أو في منطقة فروة الرأس، وتظهر فجأة دون مقدمات، ثم يلاحظها المصاب فجأة، وتدوم أياما ثم شهورا لا يمكن التنبؤ بها، وقد تختفي تلقائيا كما ظهرت، بمعنى أن الشعر سوف ينبت دون سبب أو مبرر، وهذا هو حال ما يقدر بخمسين بالمئة من الحالات.

وقد يستعمل بعضهم مهيجات موضعية للجلد، مثل صبغة اليود، وبعضهم قد يستعمل فصوص الثوم، يدلك بها الموضع المصاب، ثم ربما حكه بقطعة من الصوف بين حين وآخر.

وقد سمي هذا المرض بالثعلبة، لأن الثعالب تصاب به ـ كما قيل ـ من جراء حك جلدها في حقول القمح، مما يسبب تساقط شعر فروتها.

على أي حال فالمرض لا يحمل أي خطورة على صاحبه، ولا يؤدي الى أي اختلال في وظائف الجسم، أو يسبب للمريض أي معاناة أو آلام أو مضاعفات تستحق القلق.

الانسكاب البللوري

● نعاني منذ فترة طويلة من انسكاب جنب بلوري أي اصابة الغشاء المغلف للرئتين بسبب مرض السل ولست ادري كيف أصبت به ولا كيف أتصرف معه.

هل لكم أن تذكروا شيئا عن هذا المرض.. ولكم وافر شكري.

جميل صرفه

مسلون ـ ادلب ـ سوريا

أي مرض يهاجم الرئتين قد يتفاقم ليصيب الغشاء

المغلف للرئتين المعروف باسم الجنبة المؤدي الى مضاعفات تعرف باسم ذات الجنب .

والجنبة هي مايعرف باسم الغشاء البللوري والغشاء ذو طبقتين بينها سائل رقيق يغلف الرئتين ، وعندما يصاب هذا الغشاء يزداد ارتشاح السائل ، ويمتليء الفراغ بين الغشائين مما يضغط على الرئتين ، ويمنع حركتها ، وبالتالي يؤدي الى ضيق التنفس

ومن المألوف أن يصاحب هذا الانسكاب او الارتشاح اصابة درنية للرئة وإذا كانت متطرفة في نسيج الرئة فانها تسمح بتسرب العدوى الى غشاء الجنبة وتؤدي الى هيج الغشاء وزيادة افراز السائل مما يعرف في الطب بذات الجنب يشعر معها المريض بألم حاد وخاصة عند التنفس .

ان علاج هذه الحال يتطلب بزل السائل بابرة خاصة ، وتوفير الراحة للرئتين مع اعطائه المريض العقاقير المناسبة لعلاج الدرن ، وافضلها مايجرى اختباره على مزرعة للميكروبات ، تؤخذ من عينة من المريض مع موالاة مراقبته سريريا وشعاعيا بفحص البصاق وسرعة ترسيب الدم ، واستزراع الافرازات المريض من موضع الاصابة .

النقـــرس

● أرجو التكرم بإلقاء الضوء على مرض النقرس ، وعلى أسبابه ، وعلاجه ، ونظام التغذية للمصاب به ؟

السعيد صلاح محمد ـ كفر الشيخ ـ مصر

ـ النقرس مرض مزمن من أمراض المفاصل ، عرفه العرب قديما باسم مرض الملوك . لاعتقادهم أن الاسراف في أكل اللحوم هو سبب الاصابة به ، وهو أمر من أمور الملوك والأمراء والأغنياء . ولقد كشف الطب الحديث سبب المرض . حيث لوحظ ارتباط المرض بارتفاع أملاح حامض البوليك في الدم ، مما يؤدي إلى ترسبها في المفاصل ، وبخاصة في إبهام القدم ، غير أن بعض المرضى قد يعاني من الألم الشديد الذي يداهم صاحبه عقب وجبة دسمة ، أو الاسراف في شرب الخمر ، حيث يتورم المفصل المصاب ، ويصير لونه أحمر ، بالاضافة إلى الألم الشديد ، ومع هذا فإن نسبة أملاح حامض البوليك قد تكون في الحدود الطبيعية في الدم ، كما قد ترتفع أملاح حامض البوليك ارتفاعا حادا دون أي معاناة

ويعتقد الأطباء أن المرض يعود إلى خلل في التمثيل الغذائي لبعض أنواع البروتينات التي تكثر في لحوم الأحشاء ، كالقلب والكبد والكلى وما إلى ذلك ، غير أن تمثيلها لا يتم على الوجه الأكمل ، فيتخلف عنها أملاح البوليك التي تزيد في الدم ، ومن ثم تترسب في المفاصل على نحو ما ذكرنا

هناك علاجات كثيرة تعمل على خفض نسبة الأملاح في الدم والمفاصل ، غير أن النصيحة دائما هي بالامتناع عن المواد الغنية بالأحماض الأمينية التي تؤدي إلى ترسبات أملاح حامض البوليك ، وهذه متوافرة في لحوم الأحشاء التي ذكرناها لهذا ننصح بالاقلال من اللحوم بصفة عامة

ردود سريعة

● الآنسة ن . ع . ب ـ المنصورة :

ـ لماذا لا تستشيرين اختصاصيا في أمراض النساء للكشف الطبي والنصيحة الحق ، فهو المختص ، وهو أعلم بالأمر وأصدق في إسداء النصح السليم .

● ع . س ـ دمشق :

ـ من الأفضل مراجعة طبيب مختص في الأنف والأذن ، فربما احتجت إلى كي الأنف ، بسبب وجود منطقة هشة من الأوعية الدموية .



زهرة إليها

رقيقة كقطرة ندى، ناعمة كزهرة، حنونة كأم. كانت أصغر إخوتها وهي أم لطفلين مازالا في زمن البراءة، عمرها لم يتجاوز الثلاثين.. لايذكر أحد لها طوال هذا العمر أنها اختلفت معه، أو تشاجرت، أو تشاحنت، حتى مشاحنات الأطفال وشجارهم لايذكر لها إخوتها يوما أنها فعلته، وحتى حزنها أو غضبها كان رزينا رقيقا، فقد كانت تنزوي في جانب من البيت، وتلمع عيناها بالدمع، وتلوذ بالصمت. وعندما حملها الزمن في بحاره وصارت فتاة ثم زوجة وأما، كان الزمن يمر عليها فيفجر فيها كل يوم نبعا من الحنان والسكينة والرضى. كانت لكل إخوتها الصدر والملاذ والصديق، وكان بيتها واحة يحتمي فيها إخوتها من قسوة الزمن حينا، ومن غضب بعضهم على بعض حينا آخر.

وعاشت أحلام إخوتها كلهم، وسعدت معهم، وتمنت، وفرحت بهم ولهم، وراح زمان وجاء زمان، وبدأت تشكو من آلام هنا، وآلام هناك. وعرفها المرض. عوارض كثيرة أضفت على أيامها آلاما. كانت تختزنها وحدها في صمت، حتى ضاقت بها يوما، وعجزت عن الاحتمال، وذهبت إلى الطبيب. فاكتشف أن الورم قد انتشر في جسدها الرقيق، وأن الحل والعلاج لايمكن أن يتم دون استئصال بعض الأجزاء من جسدها. ورقدت على فراشها بين حياة يرجوها لها كل أحبابها، وموت يلقي بظله في نهاية الطريق، وعرف إخوتها العذاب والألم والحزن، وفقدت الحياة كل جمال فيها، ومع هذا كانوا يتجمعون فيتبادلون الضحكات كي لاتدرك حقيقة مرضها، ويصطنعون شجاعة هي أبعد ما تكون عنهم، وبعيدا عنها عرفت عيونهم ساعات من البكاء المر والدعاء والابتهال إلى الله بأن يأخذ من أعمارهم ويعطيها لحظة أ!!

كنت أعرف واحدا من إخوتها، لقيته حين عرف الخبر، وشهدت انفجاره بالبكاء، وسمعت منه عن حزنه وإحساسه الهائل بعبث الحياة، وبأننا جميعا تراب يمشي على تراب. فقلت له: لماذا تحزن عليها وحدها ووطننا العربي يمتلئ بأمهات وأشقاء وأبناء يتألمون كل يوم، ويموتون كل يوم، هذه - على الأقل - وجدت حولها من يشفق عليها، ويمنحها علاجا يسكن آلامها، أما غيرها فيموت من الألم والعذاب. ولماذا تحزن عليها وحدها، وكل ما في حياتنا يصيب بالحزن، وكل ما هو عام مليء بالمآسي والأحزان؟ لماذا يبقى حالك الخاص بك وحدك مزدهرا بشيء جميل؟ إن عذاباتها يا صديقي وأخي جزء من عذاباتنا جميعا. وقصارى ما نفعله أن نرسل لها زهرة، علها تبتسم، وتسعد، ويكفي من عينيها قطرات الدمع. □

محمود عبد الوهاب



قصة بقلم : جار النبي الحلو

أختي التي تكبرني ذات لون وجهي القمحي ، وبسمات الشعر الخشن ، وهي صموت ، لا تبرح الدار ، تلبس فستانها ذا اللون الأصفر ، وتلف رقبتها بالمنديل محزوز أسود . ثم تخلعه وتجلس في حجرتها تشنج في بكاء مكتوم

عندما سألتها ذات مرة : لماذا لا تتزوجي يا أختي ؟
ابتسمت وقالت : إنني أجهز لشبابي وأحضنها .

ثم احتضنت صندوقها بيدين ، في يد ساعة ، وفي يد فرشة .

وصندوق أختي من الخشب اللامع ، مرسوم عليه باللونين الأحمر والأزرق فارس وسهم ، وحيوان كغزال بلون أبيض

وصندوق أختي غير كل الصناديق ، فهو رقيق ، وخفة ، وله غطاء بدون قفل أو مفتاح تحمله دائما معها في حجرة النوم أو فوق السطح ، وحين تساعد أمي في أعمال الدار تضعه على المصطبة ، حيث فرشت المصطبة بمفرش أبيض مطرز بالورد الأحمر ، والورد المنثور على المفرش كأنه قطف حالا من شجرة مزهرة .

صندوق أختي به خيوط بيضاء وحمراء وزرقاء ، وإبر طويلة وإبر قصيرة ، وخيط رفيع ، وخيط من « النيلون » ، وكمية كبيرة من الخرز الملون الذي يبدو حين نراه كنجوم السماء

أختي التي تكبرني تصعد إلى السطح عندما تكون الشمس في كبد السماء ، وتقعد على كرسي ، له ظهر مرتفع ، وأمامها سحارة صغيرة مدورة ، تضع فوقها الصندوق بتلطف ، ثم تأخذ في شغل رسومها ، ومن الخرزات الملونة المثقوبة كحبات العقد تصنع حقيبة وسمكة وشمسا وفوق السطح يتجمع حولها البط والدجاج والأرانب لكنها لا ترسم أرنبا أو دجاجا أو بطا ، تدهشت للقلق وسألتها ، لماذا لا ترسمين أرنبا وبطا ودجاجا ؟

قالت وهي تنظر إلى الشمس .

إنهم معي ، وأنا أرسم ما ليس في يدي ، مثل السمكة ، والنهر ، والقمر ، والنجمة تحت القمر

وسكتت . ولم تكمل

ورأيت الشمس تلمع في عينيها . ورأيتها حلوة واستغربت لماذا لم تتزوج . ولماذا لم تغن لنا حتى الآن ؟ ولماذا لم تنتظر أمي الحناء ؟ وجرت حبات الخرز الملونة بين أصابعها الى خيوطها الرفيعة الطويلة

أختي رصعت جدران دارنا بخرزها . حينها رسمت الهلال والسمك . وحاولت أن أتعلم حرفة أختي . لكني لا أستطيع أن أمسك الخرزة الملونة الصغيرة . لأدخل في ثقبها الابرة الدقيقة . فتنزلق الخرزة بسرعة الى أعماقها . فأصنع في النهاية حقيبة ملونة

وحاولت أن أعرف لماذا تحدق أختي في السقف بعينين دامعتين حتى أظن أنها في النوم .

لكني هذه المرة نجحت . فقد ظلت تحملق في السقف بعينين دامعتين حتى غطت هي في النوم . وكانت تحتضن صندوقها . فقد كاد أن يقع منها امسكته برفق . ثم وضعته أمامي . وترددت قليلا . ثم فتحته . لمع الخرز . وبهرني اللون الأزرق . أختي تقول دائما إن اللون الأزرق أجمل الألوان . وهي ترسم البحر والسماء وتلونها به

حاذرت من الابر حتى لاتؤذيني . عندما داعبت أصابعي الخرزات الملونة كادت أن تشي بي . وتوقظ أختي . وبحرص أخرجت الهلال . ثم وجدت مركبا . وكانت المركب بنفسجية اللون . وشراعها من خرز أحمر . مثل حب الرمان . لكن أختي لم تطلعني عليه من قبل

وقمت على مهل . وعلقت الهلال على الحائط . وتحته بمسافة علقت المركب . وتحت المركب علقت عقدا سمكات ذات ألوان حمراء وبيضاء وصفراء . وسمكات اختلطت في خرزها كل الألوان . ورجعت . وجلست بجانب أختي النائمة . وخيل الي في هذه اللحظة أنها تبتسم وهي نائمة . وجلست القرفصاء . ورحت أتأمل وضع الهلال والمركب والسمك .

ودخلت أمي . وأطفأت المصباح . وخرجت بوجه جامد وشفتين مزمومتين . وغاصت الأشياء في العتمة . ثم لمع الهلال . واشتعل الشراع احمرارا . وببطء تحرك السمك . وظللت أحدق وأحدق .

وببطء أيضا تحركت المركب . ثم وقفت . وهبت ريح باردة . فاهتز الشراع . وتحركت المركب . ومضت مسرعة . وشراعها الأحمر القاني يشق السماء . ويكنسني . وامتلأت المركب بالماء ومالت . لكنها لم تنقلب . لكنها بدون ربان أو ركاب . وبدون مناديل تلوح بالوداع . وبدون علم فوق الصاري . وليس بها غير لونين . أحمر وبنفسجي . ولكنها تشق البحر في ثقة . والبحر يتفجر زرقة وفرحة . وكلما سارت المركب تبعها الهلال . وسبح تحتها السمك . لكن السمك الكبير لايأكل السمك الصغير . حتى الطيور الجوارح في السماء لم تكن تنقض على المركب . بل لقد تركت العصافير بألوانها الصفراء تلهو بأمان .

ومضت المركب البنفسجية بعيدا . حتى أصبحت صغيرة صغيرة . لكن الجبل الكبير يخرج من بطن البحر فجأة . ويقف أمام المركب . فتوقف السمك . وأرعب الهلال . واختفى خلف الجبل الكبير . فسادت الظلمة .

وعندما كبر الهلال أصبح بدرا . وظهرت المركب بلونيها البنفسجي والأحمر . وصارت تكبر وتكبر . وتراقص السمك حولها . بل لقد طار السمك من شدة السرور . وفرحت الطيور وحطت فوق الشراع .

ولما اقتربت المركب أكثر تبينت أن الفارس الجميل الوجه قادم على المركب . ويحمل معه سهما لامعا . فجريت الى المركب . فرأيتها محملة بكميات كبيرة من الخرز الملون .

ونهضت أختي فزعة من نومها . فهمست لها : لاتخافي يا أختي . نامي . لقد رأيته في مركب الخرز الملونة!







بقلم : محمد خليفة التونسي

أسئلة وأجوبة

١ - إعراب قبل وبعد :

ورد إلينا السؤال التالي من السيدين/ طالب محمد طالب الحبشي ، وأشرف عبد الله محمد (تعز/ الجمهورية العربية اليمنية) :

نرجو توضيح أحوال « قبل وبعد » بالتفصيل ، فقد سمعنا من بعض علمائنا هنا من يقول : « إنهما مبنيان دائما على الضم » برغم ورودهما في القرآن الكريم تارة بالضم وتارة بالكسر .

والجواب : ورد هذان اللفظان في القرآن الكريم مرات بالضم وبالفتح وبالكسر ولما كان أصلهما من أقسام الكلام أنهما يستعملان ظرفين للزمان والمكان .

« قبل » تدل على أن شيئا سابق لآخر زمانا أو مكانا . و« بعد » تدل على أن شيئا تال لغيره زمانا أو مكانا ، كما سيتضح من الأمثلة الآتية .

ثم إن اللفظين مضافان أو تسيان ، فلذا سمعنا تساءل الذهن قبل ماذا ؟ أو بعد ماذا ؟ أو « قبل من ؟ » أو « بعد من ؟ » ، على ما يقتضي سياق الكلام ، فالإضافة مراعاة في كلا الظرفين سواء ذكر المضاف إليه بعد كل منهما في الكلام أو لم يذكر .

١ - عند ذكر المضاف إليه بعد الظرف : يفتح الظرف كما في قوله تعالى : « قالت يا ليتني مت قبل هذا ، وكنت نسيا منسيا » وقوله : « والله أنزل من السماء ماءً ، فأحيا به الأرض بعد موتها » ولذا وقع الظرف بعد « من » فإنه يكسر ، كما في قوله تعالى « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيُه » وقوله « وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح » .

٢ - وعند حذف المضاف إليه .

أ - يجوز أن يلاحظ كأنه قائم وحينئذ يمتنع تنوين الظرف مراعاة لإضافته ، فيفتح كما في قولنا . « حين سمعنا الأذان صلينا الفريضة ، ولم نصلها قبل » أي قبل الأذان أو قبل سماعه ، وكما في قولنا « حين نوحي للرحيل رحلنا ولم نتأخر بعد » أي بعد النداء .

وكذلك يكسر بلا تنوين إذا وقع بعد « من » كما في

قولنا « عرفنا أحداث اليوم ، ولم نكن نعرفه من قبل » أي قبل اليوم . وقولنا « تمت المراجعة الأخيرة للمقالة . ولا عودة اليها من بعد » أي من المراجعة الأخيرة ويؤيد ذلك قراءة قرآنية ذكرها القراء هي قول الله تعالى « لله الأمر من قبل ومن بعد » وقد عارضها بعض العلماء .

ب ـ كما يجوز في هذه الحالة ضم الظرف دون تنوين ، سواء جاء بعد « من » أو بغيرها كما في قولنا « لم أركب الطائرة قبلُ وسأركبها بعدُ » وقولنا : « لم أركب الطائرة من قبلُ ، وسأركبها من بعدُ » ونشهد لذلك قراءة لقوله تعالى « لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ » وهي أشهر القراءات القرآنية .

جـ ـ ويجوز اهمال المضاف اليه كأنه لم يكن فيه تنوين الظرف لأنه غير مضاف ، وحينئذ ينتج كما في قول الشاعر (وهو من شواهد النحو) :

وساغ لي الشراب ، وكنت قبلاً
أكاد أغص بالماء الفرات

أو بكسر مع تنوينه أيضا ـ كما في احدى القراءات لقوله تعالى « لله الأمر من قبلٍ ومن بعدٍ » .

٢ ـ كتابة الهمزة المتوسطة :

في رسالة من السيد/ محمد المريني (الرباط/ المملكة المغربية) يشير الى كلمات وردت في بعض مقالات العربي وقد كتبت همزتها على واو . والكلمات هي « تقرؤه » ولقرؤها » و « مبدؤها » كما يشير الى ورود كلمة « مئة » هكذا . والمتعارف عليه ـ كما قال ـ ان تكتب هكذا (مائة) ثم يسأل عن الصواب في ذلك

ـ لقد أسلافنا اخترعوا حرفا خاصا لصوت همزة القطع ، اتقد لأرائحونا من الحيرة والاختلاف في رسمها حيث وقعت من الكلمة (أو شبهها) وقد كان الكاتب ولم يزل يحار في كتابة الهمزة المتوسطة .

ويلاحظ أن الكلمات التي ذكرها الأخ قد لحق كل منها ضمير متصل ، فصار كأنه جزء من حروف الكلمة ولذلك عدت همزتها متوسطة ، وقبل التحاق الضمير المتصل بالكلمة كانت همزته تكتب على ألف هكذا « تقرأ ، واقرأ ، ومبدأ » ولذلك يكتبها بعضهم على ألف حتى بعد أن يلحقها الضمير ، ولكن اعتداد همزتها متوسطة وكتابتها على هذه الطريقة أعون على قراءتها صحيحة مثل : هذا مبدؤها ، عرفت مبدأها ، أعجبت بمبدئها ، وهكذا تكتب كل همزة متوسطة اذا وقعت بعد فتح ، فتكتب على الحرف المناسب لها ، فاذا كانت مفتوحة كتبت على ألف مثل : « وأد » ، واذا كانت مضمومة كتبت على واو مثل : لؤُم ، واذا كانت مكسورة كتبت على ياء (نبرة) ، ومن هنا يظهر صواب رسمها على واو في الكلمات الثلاثة المسئول عنها .

ولكن يراعى حركة ما قبلها اذا كانت مفتوحة بعد ضم أو كسر ، فتكتب على واو اذا كان ما قبلها مضموما مثل سؤال ، وتكتب على ياء (نبرة) اذا كان ما قبلها مكسورا مثل مئة وفئة ، ورئين .

(تراجع مجلة العربي/ العدد ٢١٦ نوفمبر ١٩٧٩)

٣ ـ رجعة الى « الغير »

ويسأل السيد منيب الرشدان (دير أبي سعيد/ الاردن) عن استعمال كلمة « الغير » بالألف واللام ، ونود منه أن يراجع ما كتبناه عن ذلك في العدد ٣٠٩ (أغسطس سنة ١٩٨٤) . وقد وضحنا هناك ان استعمال « الغير » جائز وأما العبارة التي يسأل عن صحتها وينسبها الى دكتور في احدى كليات الآداب الخاصة ـ وهي « على الطلاب الغير مكملين في اختباراتهم مراجعتي » ـ فصوابها « على الطلاب غير المكملين » لأن « الغير » هنا لا تضاف الى نكرة □

---

١ ـ يراجع موضع الآية في تفسير القرطبي ٧/١٤ ، والاملاء للعكبري ٢/٩٩ ، والبحر المحيط لأبي حيان النحوي ٧/١٦٢ والكشاف للزمخشري ٣/٢١٤ .



هكذا غنى الآباء

السماء

للشاعر إيليا أبي ماضي

إيليا أبو ماضي من مشاهير شعراء المهجر الأمريكي الشمالي. ولد سنة ١٨٨٩ في قرية «المحيدثة» في لبنان. واضطرته ظروفه المعيشية ولكسب العيش أن يهاجر صبيا إلى الإسكندرية سنة ١٩٠٠، وكان يبيع فيها التبغ والسجائر، ومن بعد انصرف إلى نشر قصائده في بعض الصحف والمجلات المصرية. وفي سنة ١٩١١ هاجر إلى أمريكا الشمالية واستقر في «سنسناتي» وفي منتصف سنة ١٩١٦ انتقل إلى «نيويورك» واشتغل بالصحافة. وفي نيويورك التقى بكبار الأدباء العرب هناك وقد أنشأوا «الرابطة القلمية» سنة ١٩٢٠، وكان هو أحد مؤسسيها مع زملائه جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وغيرهم. ثم أنشأ في نيويورك صحيفة «السمير» وكانت أسبوعية، ثم أصدرها يومية في «بروكلين». فكانت من أوسع الصحف العربية انتشارا في أمريكا وبقي يصدرها حتى وفاته سنة ١٩٥٧.

وقد عرف منذ صباه بالأدب والشعر، فكتب كثيرا من المقالات في صحف مصر ثم أمريكا. وأكثر مبكرا من نظم الشعر. ونشر ديوانه الأول «تذكار الماضي» قبل أن يبرح الإسكندرية سنة ١٩١١.

ثم نشر ديوانه الثاني «ديوان إيليا أبي ماضي» سنة ١٩١٦. ولكن شعره بعد ذلك كان ينضج شعورا وفكرا ولغة، وأرحب وأوسع أفقا. وفي سنة ١٩٢٧ طبع ديوانه الثالث «الجداول» فذاع صيته وارتفع صوته الأدبي في أمريكا والأقطار العربية. وقد كتب زميله الأديب ميخائيل نعيمة مقدمة قصيرة له أشبه بالتحية لشعره الجديد الرائع. وقد زادت شهرته ذيوعا، ومكانته رفعة، حين أصدر ديوانه الرابع «الخمائل» في سنة ١٩٤٠ حتى أنه أعيد طبعه بعد وقت قصير.

وقد ألفت كتب خاصة في سيرة أبي ماضي وأدبه ولاسيما شعره، بالإضافة إلى ما ورد عنه في الكتب التي عرضت للأدب والشعر المهجري.

وهذه القصيدة التي اخترناها له هنا إحدى قصائد ديوانه «الجداول» وهو ديوان صغير في نحو ١٢٠ صفحة. ومن قصائده قصيدته الطويلة (١٣٢ بيتا) بعنوان «الطلاسم» التي يكرر في نهاية كل رباعية من رباعياتها «الثلاث والثلاثين» قوله «لست أدري» وقد تغنى ببعض أبياتها الأستاذ محمد عبد الوهاب فزادته شهرة

لا تسلني عن الشبيه فما عنـ ـدي إلا السكوت والإيماء
هي شيء ، وبعض شيء ، وحيناً كل شيء ، وعند قوم هباء

○○○

... الراعي كما ... ... سروج فسيحة خضراء[1]
... ... كلما أشرقت ... ذكاء[2]
أبداً في ... ، لا ... ال ... ... ولا ... [3]

○○○

وهي ... الأم التي ... الشو ... ، ... عنها ... السمراء
... لا ... ... لا ، ولا ... ...
... ... ، إذا مات في ... ...

○○○

وهي ... ... الأمر . منها ما يشتهي ...
لا ... ... ، ولا ... ... ، ولا ... ...
... ... الأ ... ... الأ...
... ...
لا ... ... ، لا ... ...
كل شيء ... ... كل شيء ... ...

○○○

... ... فيها ، ... ...[4]
كل ما ... ... لا ... ، لا ... ، لا ...
... الإثم ... ... الأ ... ...
... بين الصلاح والشر ... ... الأ...
... ، ... ... ولا ...

○○○

... ... الذي ... ... ، وإن ... ، كل ... ...
... في ... ... الأ... والأشياء
رب شيء كالجوهر الفرد قد ... الأعراض والأهواء
كل ما ... ... كائن ... ...

---

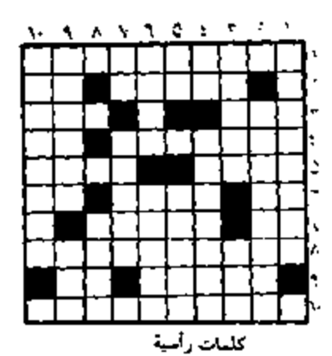
١ ـ [illegible]

٢ ـ [illegible]

٣ ـ [illegible]



يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وإمتاعك بالإضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع العامة والمطلوب منك الإجابة عن أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم



كلمات أفقية

١ . القطب الجنوبي باعتباره قارة سادسة
٢ . بقايا حيوان أو نبات متحجر . سئم وضجر
٣ . قط بري متوحش . مملكة بلقيس
٤ . امبراطور فرنسا . والدة
٥ . أحمق أو عيي . تفاؤل في معرض الترحيب
٦ . تجدها في وال . الخمص البطن . (القدر) خلق
٧ . تنق . من أبناء دولة عربية شقيقة
٨ . خضاب القدم
٩ . موسيقي ألماني كبير . لعب ولهو
١٠ . سياسي سويدي وأمين عام للأمم المتحدة (١٩٥٣)

كلمات رأسية

١ . من كبار الرحالة العرب ولد في طنجة
٢ . لوحة ليوناردو دافنشي الخالدة
٣ . تصرف كالأرنب . أرض كثيرة النبت
٤ . تجدها في أحمر . من أسماء جهنم
٥ . جماعة من الطير . من أسماء الأسد
٦ . ماء عذب . جبل ميسرة
٧ . تنظر . تأملوا بتؤدة
٨ . يطهر
٩ . عاصمة يوغندا . يرشد
١٠ . من أكبر أنهار العالم وأعرضها وأوسعها .

حل مسابقة العدد ٣٤٥ أغسطس ١٩٨٧



كتاب الشهر

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي





« في « يناير » كانون الثاني من العام الماضي نشرت في انجلترا مسرحية قديمة لشكسبير ، لم تنشر من قبل ، يرجح الباحثون أنها كانت من البدايات المبكرة لأعماله ، فهي تتميز بذات الخصائص الرائعة التي عرفناها في أعماله المعروفة » .

كتاب الشهر

لم يكن من المعقول أن تظهر لشكسبير جميع أعماله الكاملة والمؤكدة والصحيحة دفعة واحدة . كل شيء له في مسرحياته وموشحاته . فلا بد إذن من إرهاصات ومقدمات كانت ضائعة ثم أخذت تظهر للعيان . بعد أن اكتشفت موشحته «هل سأموت ؟» في مكتبة «بودليان» بأكسفورد . والمخطوطة محفوظة بجامعة أكسفورد على إدراجها في أعماله الكاملة في طبعاتها الحديثة . وتمر عدة أشهر . فها هي ذا تحمل إلينا [illegible] في جامعة [illegible] عام ١٩٨٦ مسرحية شكسبيرية مفقودة . عنوانها «إدموند آيرونسايد» ، وإدموند هذا هو ملك الإنكليز السكسوني [illegible] سنة ١٠١٦ م [illegible] في قتال [illegible] بجيش قوي . والتحم في معارك مع [illegible] الدنماركي كانوت . وقد تمضي [illegible] قرون على المسرحية حتى ظهورها . ومع هذا [illegible] بقال إن [illegible] نكهة شكسبيرية لا تخطئها العين [illegible] شكسبير الأسلوب ، فالطباق والاستعارات والتشبيهات كلها شكسبيرية [illegible] الإبداع والأفكار التي عهدناها في ما نظم هذا الشاعر وألف . غير أن الأعمال لا يبدو أنها تخلو من حيث الحبكة وتطور الأحداث ورسم الشخصيات [illegible] «هاملت» و«الملك لير» و«عطيل» و«تاجر البندقية» و«روميو وجولييت» . فهي من نتاج شاب لا يتجاوز السادسة والعشرين . إذ إن تاريخ المسرحية لا يمكن أن يتعدى سنة ١٥٩٠ م . إن لم يكن قبل ذلك . ونص المسرحية خمسة فصول . شغلها نص [illegible] إحدى وستين صفحة . أما بقية صفحات الكتاب - وهي ثلاثمائة واثنتان وعشرون صفحة - فقد خصصت للمقدمة والحواشي والتعليقات ، لاسيما ما يتعلق بصحة نسبة المخطوط إلى شكسبير .

تقسيم إنجلترا

القصة [illegible] في قصة الصراع بين إدموند [illegible] ملك السكسونيين وكانوتس أمير الدنماركيين . ويصف فلاة الإنكليز إلى قسمين [illegible] [illegible] بحرى [illegible] وقسم الشرق والجنوب [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] التي سيرزح فيها بعد الأمير [illegible] [illegible] [illegible] ويلقبه [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] سلطات [illegible] الملك السكسوني [illegible] ولديه رغبتي به الأمير [illegible] الذي [illegible] [illegible] نفسه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وبعد معارك طاحنة [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تاج إنكلترا . ويقف بعد الأمير الدنماركي نفسه منتصرا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الآمال . فيلتقي [illegible] بالأمير السكسوني [illegible] ومصافحته . حتى أن تقضي [illegible] في [illegible] . وأن يكون للدنماركي ثلثي جزء [illegible] وهكذا تنتهي المسرحية . إذ يخرج الخصمان المتنازعان متآخيين [illegible] بعضهما بعضا . غير أن [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] - جاسوس الطرفين - [illegible] [illegible] - يحتل المشهد الأخطر [illegible] [illegible] وروعة المسرحية ليست بأحداثها ، بل بتعابيرها الشكسبيرية المبتكرة .

وروح شكسبير الإنسانية المحبة للسلام ، المتجلية في المشهد الخامس الذي تسمع فيه الحوار التالي

كلفورد : على مهلك يا إدموند ، على مهلك .

قال كلفورد : سنعم لك

إدموند : ماذا ، أمراء يستطيع بخنوع ؟ معتدياً من الشيطان ؟

كلفورد : عبد لسعادتين ، إنها شنب ، يدعو أن سيفي ، فيبتعد مسلك الصداقة الراسخة التي لا تزعزع ، وسيفي يجلب لك الهلاك المبيد

إدموند : لقد خسرت يا كلفورد الشجاع بسلامتك ، لا تستطيع سيفك أن يصمد به أبداً ، وهو ما حليه لست معطف كلامك ، فلا يبدو بالكلفورد ، وهاك سيفي ، فبهموده هنا قف مع كل سيفك ، وتجالد كلانا ، فنرى من هو أعظم من صاحبه ، ساللطف للثالث ستري من هو الذي يصحو أن يغضب بالصدق

المبارزة

كان شكسبير هو ممن التي حوم فكرة المبارزة بين الرجلين ، على يد تنالي أحدهما الآخر ، منتهي الخصومة وتنتهي حلقة الأمر الحروب .

وقف محاربا كتلهما في المشهد الثاني من الفصل الخامس الأخير (ص ١٠٣) يقف محاربا هنا وهو يقول ، أيها المحاربان ، أنت يا بيرون ساعد بعضه ، وأنت يا كلفورد شهم ، فالذي نسهده هي كل يوم للمعارك من أجل حربكما الفانية أحسامنا ، طعمة للسيوف تنبح وتقطع ، ومع ذلك ليس فيكما من هو منتصر ، ولا اليد العليا في حسم المعركة ، فمن اندحر منكما اليوم ينتصر غداً ، ومن يفرح منكما طبول الانسحاب يعود فيجدد القتال بقوة مضاعفة

وهكذا يتطلع النصر في ميزان الاضطراب ، وعدم الاستقرار ، والحظ المتقلب يمس أويسع لأحدكما اليوم فما مصير هذا الحقد الذي لا ينتهي ؟

لن تنتصرا حتى يفني حسامانا معاً ، فتهدأ معركتكما بشتلاب وانتصاباب ، فمن المنتصر منكما في جهة الهلاك رحمة لخصمه ، ولا شعباً يسوده ، فاخرب المهلكة ستنتهي هذه حرية المعركة دون أن تترك من يحكمه ، ولا من يقاوم النصر الأخير الكلمة حاجة تروتيكما العسكري ، وفرسان عقلكم المكتئبين ، فهم يرغمهم على حمل حسامكما وشحذهما ، والآن حمداً مصافحة وتاصا ، وامعنا كملكين ساطرين ، ودعا الأرض لأحدكما ، وارحلا عنه الجزيرة الصغيرة ، فقد ملأت برسهم سنة بخفنت ملاكها ، وامرقتها بحر من دماء الأبرياء

أما إذا كانت مشاعركما مصمكين بعمق عاطفة محبتكما أن كلا منكما يستطيع أن يقترن له ساحراً ، فإنه لا يرى نفسه قد ما نعداً في أعقابه ، فلا أنتما وحدكما ، لتكون التاج لأحدكما دون الآخر

لأحدهما الذي سلف بسبب إليه ... سعيكما يقرران من هو صاحب الحق الشرعي

ومعه هذه الدعوة إلى الصلاة من له شكسبير ولن حاسمة على لسان بطل من أبطاله كان يسعى إلى ثروة نفسه أن يقتل أحد المنتصرين ... محبتان متصارعين

وداع الملكة (إيما) نورنديا

ومن روائع المشاهد المؤثرة في المسرحية المشهد الثاني من الفصل الرابع ، مشهد الملكة (إيما) نورنديا الأميرين السويد والنوارد التي أصبح من بعد أحد ملوك انكلترا ، وهما في طريقهما إلى نورماندي ، حيث الأمان من ويلات الحرب ، ليكونا في رعاية الدوق ريكارد ، تتبعتق الملكة ويستمر في مشهد الوداع معهم ... وفي كل مرة ينصدان عنها قليلاً تطلب عودتهما إليها لتجديد الوداع ، وأخيراً تقرر أن تذهب معهما إلى الميناء المريد ، حسب تعبيرها ، لتودعهما الوداع الأخير

يقدم الدكتور عدد المسرحيات الشكسبيرية

المفقودة بعشرين مسرحية ، ولسو أن الكثيرين من الاختصاصيين يصرون على أن شكسبير لم يكتب شيئا قبل سنة ١٥٩٠ ، مع أنه ذهب إلى لندن سنة ١٥٨٢ وهو في سن الثامنة عشرة . فما الذي فعل العبقري في هذه السنوات الثماني ؟ هل كبح جماح عبقريته منتظرا حلول سنة ١٨٩٠ ، والاحتفال ببلوغه السادسة والعشرين . ليبدأ بالتأليف المسرحي بأقوى أشكاله دون محاولات أولية . كمسرحية ايرورد سايد التي تعد أقدم مسرحية مكتشفة لشكسبير حتى الآن ؟

الحاسب الآلي يؤكد

إن من دواعي صحة نسبة هذه المسرحية إلى شكسبير احتواءها على ٦٣٥ كلمة نادرة ، و ٧٩ لفظة فريدة ، و ١٠٥ كلمات هي من أقدم ما عرف استعماله من الكلمات حتى الآن ، وحوالي ألفي لفظة تتشابه مع ما هو موجود في مسرحيات شكسبير الأخرى المعترف بها حاليا ، ولقد نجحت المسرحية بتقديم الحاسبات الآلية ، وتحليلها إياها ، وكان أحد الاختصاصيين في الأدب الشكسبيري قد نسبها إلى شكسبير قبل ثلاثين عاما ، لكن كان لابد من انتظار التقدم في استخدام الحاسبات الآلية لاثبات هذه الحقيقة ، وأكبر الظن أن المسرحية دونت في فترة حصر الأرمادا ، في أواخر الثمانينات من القرن السادس عشر ، ولعل مايرد فيها من عبارات التجديف والسباب والشتائم واتهام رئيس أساقفة كنتربري بالخيانة هو الذي جعلها من المسرحيات المغضوب عليها من السلطات الحاكمة يومئذ، يوم أن كان رئيس أساقفة كنتربري (الهودوري) رئيس لجنة الرقابة على المسرحيات ،

فدخلت في عداد المسرحيات المهملة التي علاها غبار النسيان . مما حدا بجامعي مسرحيات شكسبير الأوائل على أن يطووا كشحا عنها ، والشعر في المسرحية موزون . وقد أكثر فيه شكسبير من الالتزام بالقافية ، وكان هذا بصورة خاصة في أوائل عهده بالنظم . حيث اعتمد على موسيقا الشعر إلى حد بعيد ، وقوام المسرحية ألفان وستون بيتا . ويرجع تاريخها إلى حوالي سنة ١٥٨٨ أو ١٥٩٠ . ويوسعني أن أستشهد بكل مقطع من مقاطعها ، لكنني سأكتفي بالاستشهاد بقول في أولها . « الحظ أبدا يحسد الملكية ، ويحابي البلهاء ، رافعا إياهم إلى قمة العلياء » ، وفي ثانيهما يقول : « إن السلام يجعل الحرب موسيقا عذبة للقلب الراقص طربا » .

وقد استقى شكسبير عناصر قصته من المؤرخ الانكليزي رافائيل هولنشيد ، المتوفى سنة ١٥٨٠ ، فضلا عن تأثره بأعمال بلوتارك ، وجرافتون ، وأوفيد ، والكتاب المقدس . □

■ من مدحك بما ليس فيك من الجميل ، وهو راض عنك ، ذمك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك .

(أفلاطون)



بقلم : الدكتور سلمان قطاية

رأس حصان عربي أصيل

حين قدم العرب للعالم جيادهم الأصيلة قدموا معها علم الفروسية أيضا .

يقول في ذلك (الكريم جوبيه) رئيس المرابط الفرنسية في القرن الماضي : « إن العرب هم الذين بدءوا تعليم الفروسية للعالم كله » . ويقول (منيس بوطروس) أكبر خبير بالحصان العربي في فرنسا حاليا : « لقد فعل العرب بالنسبة للفروسية ما فعلوه بالنسبة للفلسفة وكافة العلوم . فقد نقلوا إلينا التراث القديم شرقيا ويونانيا ، بعد أن أضافوا عليه نتاج حضارتهم الأصيلة . وهذا التراث هو الذي سمح لأوروبا أن تخرج إلى النور ، بعد أن قضت فترة طويلة في ظلمات العصور الوسطى » . كان من عادة الكونت (دور) أن ينصح مواطنيه الفرنسيين قائلا : « على طلابنا أن يتمسكوا تماما بالمبادىء العامة للفروسية العربية ، بحيث تصبح تلك المبادىء مبادئهم »

الوبل في أمراض الخيل

ومن المؤسف حقا أن يكون اهتمام الفرنسيين بهذا الفرع من التراث أكثر من اهتمام العرب أنفسهم ، فكتاب « الوبل في أمراض الخيل » أو كتاب « الصناعتين البيطرة والزردقة » ، أو « الناصري » من الكتب المشهورة جدا في أوروبا وبخاصة في فرنسا ، وهو من تأليف سايس مرابط الملك الناصر ملك مصر ، وهو ابن المنذر البيطار . والسبب في ذلك (بيرون) ، وهو أحد الأطباء الفرنسيين الذين ساهموا في تأسيس المدرسة الطبية بأبي زعبل في مصر مع (كلوت بك) الذي استدعاه الخديوي محمد علي

الكبير ، فقد اهتم (بيرون) بالعربية وبحصانها ، ترجم الكتاب المذكور ترجمة شاملة في ثلاثة أجزاء ، كرس الأول للحديث عن الفروسية والفروسية العرب ، فأصبح تحفة فعلا ، وقد تم نشره في باريس عام ١٨٥٢ م .

والمؤسف أيضا أن هذا الكتاب لم ينشر بعد بلغته الأصلية العربية !

لقد سبق لوي مرسيه في الترجمة بيرون ، إذ نشر بالفرنسية عام ١٨٧٤ ترجمة ابن هذيل الأندلسي « حلية الفرسان وشعار الشجعان » ، وقد نشر هذا الكتاب بالعربية عام ١٩٥١ بشكل غير لائق ، وهذا الكتاب مفقود اليوم . والمؤلفات عن الجواد العربي والفروسية العربية باللغات الأوروبية لا تتوقف ، ومن أشهرها كتاب (دوما) الذي راجعه الأمير عبدالقادر الجزائري بنفسه ، ونشر في منتصف القرن الماضي ، وسوف يعاد نشره هذا العام .

ولعل من أفضل ما نشر مؤخرا كتاب « الحصان العربي أول حصان نقي الدم » ، تأليف « دنيس بورغوني » و « البارونة دوبلوماك » عام ١٩٧٨م وفيه من المعلومات والدراسات ما يجعله جديرا بالترجمة إلى العربية .

فالمكتبة العربية فقيرة بالكتب العلمية الجديدة في هذا الموضوع ، ولا توجد فيها دورية متخصصة ، أما هواية ركوب الخيل فقد زالت أو كادت ، وظلت بين أيدي نخبة من المترفين ، أو في الصحراء مع البدو الذين يتناقص عددهم مع مرور الأيام

لكل هذا كان صدور « كتاب الخيل » حدثا هاما ، إذ يضيف على القائمة القصيرة من الكتب كتابا آخر . ونرجو من صاحب هذه الدار أن يستمر في هذا العمل الجليل ، فيصدر مثلا بحقق ، وبخاصة كتاب ابن منذر البيطار الذي يحققه في نفس الوقت د. ابريق بجامعة حلب ، ود. مقاتل بجامعة باريس ، إلا أن للتحقيق العلمي قواعد معروفة

كم أحسب أن الوقت وكثرة المشاغل والمهام قد منعت الأستاذ الجليل محمد العربي الخطابي من إجراء تحقيق دقيق حسب الأصول المتبعة ، إذ وقع في أخطاء كان بمكانه بسهولة ، وهو الأستاذ العالم المحقق ، أن يتلافاها ، فالكتاب قد ظل يرقد على رفوف المكتبات فترات طويلة ، بل قرونا عديدة ، وكان بالإمكان أن ينتظر خمسة أشهر أو أعواما ، لكي يصدر بحلة جيدة . أعتقد أن من واجب المحقق ، في مقدمته ، أن يقيم الكتاب ، فيبدي ما فيه من أشياء أصيلة جديدة ، وما فيه من أخطاء ، وأن يقارنه مع ما كتب قبله ، كي يأخذ الكتاب المحقق مكانته العلمية ، فالقارىء العادي قد يأخذ ما جاء في الكتاب على أنه حقائق أكيدة ، فيؤمن بها ، ويكررها عن جهل وبلا وعي ، فيساهم الكتاب في نشر الجهل أكثر من نشر العلم ، وبخاصة إذا تذكرنا أن العرب أمة تقليدية ، تنظر إلى الأجداد وتراثهم نظرة احترام عميق ، وتبجيل يصل إلى حد التقديس أحيانا .

منتخب كتاب الاحتفال

يقع الكتاب في ٤٢ بابا .

والواقع أنه مختصر أو منتخب من كتاب آخر ، هو كتاب « الاحتفال » لأبي عبدالله محمد بن رضوان بن أرقم ، من وجوه وادي آش وأعيانه ، على قول ابن جُزَيّ . وأعتقد أن الكتاب مثل واضح لكتب عصور الانحطاط ، فهو ليس من تأليف ابن جزي ، ففي تلك العصور انتشرت كتابة الموجزات والمنتخبات ، لأنها أسهل وأسرع وأكثر ربحا والمقدمة مليئة بمدح السلاطين حتى التدليل ، وبالكلام عن النفس ، والتفاخر ، والتعالي وثالثة الأثافي عدم احتوائها على الأصيل والجديد

كما يتميز الأسلوب بالتكرار الممل ، والتناقض في الآراء والأحكام ، والاستطراد في مواضيع لا علاقة لها بالموضوع الأصلي

فهو مثلا يمدح السلطان أبا عبدالله نثرا وشعرا في صفحتي (١٩ - ٢٠) ، ثم يبدأ بمدح نفسه ، فيقول



نسب الحصان العربي الأصيل

إن «محمدا نشأ في حجر العلم . وغذي بلبانه . ونبوأ روضه . يجني ثمرات الحكم من أفنانه . . . . ويستمر خلال حوالي صفحة في مديح صلبه (٢٠ - ٢١) . ثم ينتقل إلى مؤلف الكتاب الأصلي «الاحتفال» . ليتحدث عنه بضعة أسطر . لينتقل مباشرة إلى مديح ملوك بني نصر (من الصفحة ٢١ إلى الصفحة ٣٢)

يدخل ابن جُزَيّ بعد ذلك ليشرح أصل الحصان . فيورد قصة خلقه من الريح . ثم يعود فيناقشها . ويثبت بآراء ومستندات كثيرة أن الحصان العربي من استئناس وتربية سليمان وداود واسماعيل .

ولقد اتخذ الصهاينة ذلك مستندا للقول بأن استئناس الحصان العربي الذي يفضلون تسميته «الشرقي» قد تم في فلسطين . وأن اليهود هم الذين استأنسوه وليس العرب . ومن الذين يدعون بذلك مثلا كلود ليبسياس

ويسرد ابن جزي مجموعة من الأحاديث النبوية . المتعلقة بالخيل وبالحض على الاعتناء بها واحترامها ويعتبر المؤرخون المنصفون أن للرسول (ﷺ) الفضل كل الفضل في دعم الاهتمام بالجواد العربي . وهذا ما يثبت (ابن جزي) بجدية

وبعد ذلك يدخل ذكر ألوان الخيل . فيكرس لذلك أحد عشر بابا . من أصل (٤٢) . أي مايقارب الربع . ولا أريد أن أعلق كثيرا على ما ورد . فهو معروف ومذكور في كل الكتب . أمثال كتاب «في فضل الخيل» للدمياطي . وكتاب «رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد» للمنشي

دور الكلبي

وفي باب الاستدلال على جودة الفرس «بصفاته الظاهرة» الذي كرس له المصنف عشر صفحات (١٥٤ - ١٦٤) يتحدث عن الفراسة عند العرب في سبع صفحات ونصف . ويترك للحصان صفحتين ونصف . وتلك من عادات السنة في الكتاب . وهي الاستطراد في مواضيع أخرى ربما كان غير فيها أعلم . أو لشطط في قلمه . إلا أن قصته العامة حسنة . فهو مثلا يحدثنا عن «فطنة الكلاب» حديثا حلوا جيدا . يناقض ما اعتاده كثيرون من رجال الدين . وهو النهي عن مصاحبة الكلب لأنه ينقل الأمراض . أو لأنه نجس . فهل لهذا علاقة بلقب ابن جزي . أي «الكلبي» ؟

وفي هذا الفصل يدافع عن نظرية التوالد الذاتي . فيقول بأن العقارب تتولد من الباذنجان . والدود من السوس الخ . ثم يدخل في متاهات فوائد النحل والعسل . ثم الهدهد وملك سليمان . ثم الحية والثعلب . شعرا ونثرا . ويستمر ابن جزي في ذلك حتى يدخل في الشعوذة والسحر . مما حرمته الشريعة الاسلامية . ومما انتشر في عصور الانحطاط . فيقول بأن عين الهدهد إذا علقت على الناسي تذكر ما نسيه . وأن مخالب الهدهد إذا أحرقت وشربت المرأة رمادها بالماء لم تحمل . الخ

وفي الفصل الذي يليه يدخل في متاهات الأرقام .

الخمسة والأربعة والثلاثة ، فيذكر ما قيل فيها من حكم ومواعظ وأحاديث ، ثم يدخل في حديث شائق يلي كثيراً ، لأننا لو قرأنا ما جاء في الكتب العربية «المطبوعة » عن صفات الفرس الأصيل ضمنا لما أمام هذا الحشد الزاخر من الصفات والمواصفات ، بحيث يصبح من الصعب ، بل من المستحيل على المرء أن يتعرف على الحصان العربي الأصيل ، وهي أمر وقع فيه الأستاذ الخطابي نفسه إذ يقول في شرح الصورة « فارس مغربي على صهوة جواد من عتاق الخيل العربية البربرية المعروفة في المغرب باسم بارب » .

والحقيقة أن الحصان البربري نوع من أنواع الخيول ، ولا علاقة له بالحصان العربي . يقول الطبيب البيطري الفرنسي « لوي كايو » : منذ البداية يلفت أنظارنا في الحصان البربري غياب ذلك الانسجام والجمال اللذي نجده في الحصان العربي ، بل - على العكس - تصدمنا أشكاله الخشنة ، وخطوط جسمه المتقطعة ، غير المستديرة كما هي عند الحصان العربي ، لكنه حصان قوي » .

أوصاف الحصان العربي

وثمة علامات ملازمة للحصان العربي وهي قصبة الأنف المقعرة ، وابتعاد القلب عن الجسم . كما يتميز ذنب الحصان العربي بأنه مرتفع بشكل جميل ، إذ يأخذ شكل ريشة نعام ، ورأسه مخروط الشكل ، ومنخراه واسعان ، أسود اللون ، عيناه واسعتان تعلوهما نظرات ذكية ، وأهدابهما طويلة سوداء (مكحلة) ، وأذناه صغيرتان ، موجهتان دوما إلى الأمام ، وجلده رقيق تشف من خلاله عروقه ، وشعر جلده قصير (أجْرَد) ، وعنق أنثاه متوسطة ، وعند الذكر مقلة قوية عريضة القاعدة ، وبين محور الجسم الأفقي ومحور العنق زاوية منفرجة إلى الأعلى ، وحاركه ظاهر بارز ، صهوته عريضة ، كفله مكتنز ، وجبهته عريضة ، وحراه طويل ناعم حريري ، وكذلك شعر ذنبه . أما صفات الحصان الجميل فهي عديدة ، فقد كرس لها ابن جزي صفحات كثيرة ، فيها متناقضات ، سببها عائد إلى ذوق الشخص ، وتفضيله صفة على أخرى . وهكذا فمن يحب القوة والفحولة في الحصان يفضل الذكر القوي العضلات ، ومن يحب الخطوط الجسمية المتناسقة والجمال الصافي يفضل الأنثى . إلخ .

وكبة حكام ماليون جازون ، هم اللذين يحضرون مسابقات جمال الحصان العربي ، لأنه يعد أجمل حصان . وتجري في فرنسا بباريس كل عام بمناسبة « معرض الحصان » مسابقة لأجمل حصان عربي نال الفوز فيها في عام ١٩٨٥ « شريف باشا » الذي ارتفع ثمنه فوصل إلى أربعة ملايين دولار .

ولقد اختصر شاعر عربي قديم جمال الحصان العربي ببيتين من الشعر فقال :

وقد أغتدي قبل ضوء الصباح
وورد القطا في الفلاة الخفيات
بصافي الثلاث ، عريض الثلاث ،
قصير الثلاث ، طويل الثلاث

وهنا أيضا يختلف المفسرون للثلاث حسب ذوقهم وعلمهم ، فصافي الثلاث : العين واللون والصهيل ، أو : الأديم واللون والحافر ، وعريض الثلاث : الصدر والصهوة والجبهة ، أو الصدر والجبهة والمنخر ، أو الجوف ، وقصير الثلاث : الرسغ ووظيف اليد والعسيب ، أو الظهر والساق والعسيب ، وطويل الثلاث : العنق والخد والذراع ، أو الأذن والفخذ والساقة .

وعرف الغربيون هذا التصريف المأخوذ عن العرب فقالوا : بأربعة ، فالأربعة العريضة : الجبهة والصدر والكفل والأطراف .

والأربعة الطويلة : العنق والبطن والورك والخط العلوي .

والأربعة القصيرة : الجنب والرسغ والأنف والذنب .

لأن الاعتماد على النظر فقط أمر يختلف - كما قلنا - باختلاف الذوق والعادة والتأثير ، إلخ .

إلا أن الخيول العربية « ... مخطرة من قبل بعضهم » ، كما تقول « ايزابيل جونكيز دوربولا » لأن العرقية اختلت عند بعض الغربيين ، فشملت حتى الخيول العربية !

ولقد وجدت - حسب معلوماتي المتواضعة - أخطاء كثيرة من قبل الأستاذ الخطابي ، والسيد « كليمانت مونيه » المغرب الذي ترجم كتاب (الفلاحة) .

أما الأستاذ الخطابي فهو يعتقد عن حق أن اللغات الأوروبية المعاصرة - وبخاصة الفرنسية لما لها من تأثير على المغرب - هي لغة العلم ، وهذا صحيح في أيامنا هذه ، أما في العصور الوسطى فقد كانت العربية هي لغة العلم والمرجع .

ولقد وقع أستاذنا الجليل الخطابي في هذا الخطأ ، فوافق على ترجمة كلمة HARA الفرنسية بكلمة حرة العربية ، ويبدو أن هذه الكلمة معتمدة في المغرب رسميا ، إذ جاءت في الدليل الثلاثي اللغات الذي وزع أثناء مهرجان المنظمة الدولية للجواد العربي الذي انعقد في المغرب عام ١٩٨٦م .

والواقع أن كلمة HARA مشتقة من العربية من كلمة « حرة » والسبب أن ثمة ثلاث طرق لعرض الحصان :

الأوروبية : ويعرض فيها الحصان مع لجامه واقفا ، وأثناء الجري .

والأمريكية : يعرض فيها مع اللجام بدون سرج واقفا مشدود الرأس موتر الأطراف .

والعربية : يترك فيها الجواد حرا ، بدون لجام أو سرج ، فيركض كما يريد ، ويفحص الفاحصون .

ولقد استعملت الطرائق الثلاث أثناء المهرجان في المغرب .

أما كلمة CHANFREIN فأصلها شطر ، فالشفة العليا إذا انقلبت إلى أعلى سميت شطرا ، والشنفرى ثابت ابن أوس الأيادي ، الملقب بالشنفرى لعظم شفتيه ، وهو صاحب لامية العرب

أما كلمة GANACHE فهي تحريف للكلمة العربية حنك ، إلخ .

وكلمة STOOD — BOOK التي يترجمها الأستاذ بكلمة « سجل الجياد » والتي يكرس لها الكاتب اللبناني المرحوم يوسف ابراهيم يزبك فصلا كاملا في كتابه « الجواد العربي التحفة الكنز » وفيه يطلق صرخة مجلجلة مدوية يناشد فيها الدول العربية باهتمامه ، فهو معروف عند العرب ، بل هو من ابتكارهم ، فكما كانوا يفتخرون بالحسب والنسب ، كذلك كانوا يحفظون « أنساب الخيل » عن ظهر قلب ، وعندما تحضروا ظهرت كتب كثيرة تحت هذا العنوان ، أو ما شابه ، والحجة PEDIGREE من ابتكار العرب أيضا .

لكن لابد أن تقوم وزارات الزراعة في البلاد العربية بمسك دفتر أنساب الخيل على غرار ما تفعله وزارة الفلاحة في المغرب ، وفي كافة بلاد العالم المتقدم .

الخلاصة

إن اهتمام دور النشر الخاصة بنشر كتب التراث أمر محمود ، وجعلها كبار المثقفين يولون الاهتمام بذلك أمر مشكور

لكن حبذا لو أحسن اختيار الكتب ، فطبع كتاب « الصناعتين » مثلا بتحقيق علمي جيد أمر مطلوب وعلى المحققين أن يكرسوا الوقت اللازم الكافي من أجل ذلك .

أرحب رغم كل شيء بهذا الكتاب أجمل ترحيب ، وأهنئ القائمين على إصداره ، وآمل أن تختفي الأخطاء والهنات في طبعات قادمة إن شاء الله . □

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب: مع غسان كنفاني
المؤلف: أحمد [illegible]
الناشر: دار [illegible] - المغرب
عدد الصفحات: ٢٥٨ من القطع الكبير
سنة النشر: ١٩٨٦

كتاب جديد عن الروائي والمناضل الفلسطيني الراحل غسان كنفاني. ويتناول هذا الكتاب الذي يحمل عنوانا فرعيا هو «بين الفن والهوية والإبداع»، حياة غسان وأعماله الإبداعية والنقدية، بالإضافة إلى دراسة تحليلية لرواياته الأربع المكتملة، وروايتين من رواياته الثلاث غير المكتملة كرواية «العاشق...» و«برقوق نيسان». وإن كانت للكتاب ميزة الاستمرار في دراسة أدب غسان الذي استشهد منذ ١٥ عاما فإن لصدوره في المغرب ميزة أخرى إضافية.

■ ■

الكتاب: البنية الرمزية في مسرح توفيق الحكيم
المؤلف: سعيد حسين [illegible]
الناشر: دار الحداثة - بيروت
عدد الصفحات: ٣١٥ صفحة
سنة النشر: ١٩٨٦ م

قسم المؤلف كتابه إلى أربعة فصول ومقدمة وقائمة بالمصادر والمراجع. يتناول الفصل الأول نشأة المذهب الرمزي في الغرب، ومفهوم هذا المذهب للأدب، وأثره في الأدب الحديث. ويقدم الفصل الثاني نماذج تحليلية من المسرح الرمزي («بلياس وميليزاند» للكاتب البلجيكي موريس ميترلينك، و«البطة البرية» للكاتب النرويجي هنريك إبسن، و«طائر البحر» للكاتب الروسي أنطون تشيكوف)، ويتناول الفصل الثالث طبيعة الرمز في مسرح توفيق الحكيم (المسرح الأسطوري ذو الرمز الأسطوري، وكذلك التوليدي). أما الفصل الرابع فيقدم نماذج تحليلية مقارنة هي:
البناء الرمزي في مسرحية «بجماليون».
البناء الرمزي في مسرحية «شهرزاد».
البناء الرمزي في مسرحية «يا طالع الشجرة».

كما يعرض المؤلف إلى مصادر الحكيم الأسطورية، من قصص مستمدة من القرآن الكريم، والتراث الإسلامي، والتاريخ، أو حكايات مستمدة من الأساطير الإغريقية، والفرعونية، و«الفولكلور» الشعبي.

■ ■

الكتاب: الصفقات الأخيرة - رواية
المؤلف: يوري بونداريف
ترجمة: غائب طعمة فرمان
الناشر: دار رادوغا - موسكو
عدد الصفحات: ٢٦٢ من القطع المتوسط
سنة النشر: ١٩٨٧ م

يقدم لنا الروائي المعروف غائب طعمة فرمان ترجمة جديدة وجيدة لأحدث أهم روايات يوري بونداريف، الكاتب السوفييتي الشهير.

ومثل كثير من الأعمال الأدبية السوفياتية تدور

أحداث هذه الرواية خلال فترة الحرب العالمية الثانية التي اكتوت بنارها أجيال بكاملها في أوروبا وهذا الجيل الذي تفتح وعيه على الحرب والقتل والدمار هو الجيل الذي يكتب بونداريف قصته ، ويقدمه لنا في حالاته غير العادية ، حيث يصبح القتال ضرورة ، وتصبح الشجاعة قيمة أساسية من قيم ذلك الجيل الذي هو جيل المؤلف نفسه

■ ■

الكتاب : مسارح المعتقلات الصهيونية ـ الكتاب الأول

المؤلفان : عبد مسترة ، ومحمد الطاهر

الناشر : دار صبرات ـ عمان

عدد الصفحات : ١١٥ من القطع المتوسط

سنة النشر : ١٩٨٥ م

في هذا الكتاب الفريد في موضوعه يقدم المؤلفان نماذج حية من حياة الشعب الفلسطيني الذي يتعرض نضالا شرسا ضد آلة قمع هائلة ، تمتلكها السلطة الاسرائيلية .

من خلال أسئلة وأجوبة مع بعض من واجهوا هذه الآلة ترسم لنا صورة متكاملة أو متناقضة بكامل أبعادها الانسانية والثقافية والتاريخية . وقبل هذا بأبعادها النفسية ، حيث يبدو هؤلاء أناسا عاديين ، رغم عظمة الأعمال التي قاموا بها

وباستعراض شخصيات الكتاب وتقديم أعمالها تتكون لدى القارىء في النهاية صورة لنضال شعب كامل ، في مواجهته المباشرة مع المحتل وآلة قمعه

■ ■

الكتاب : التمريض النفسي العصري في الكويت

المؤلفون : أحمد أيوب ، ومروان سعيد المطوع ، ومحمود نجيب حوري

الناشر : مطابع الخط ـ الكويت

عدد الصفحات : ١٨٤ من القطع الكبير

سنة النشر : ١٩٨٧ م

يتناول هذا الكتاب جانبا من حياتنا ، مازال إلى حد كبير مجهولا ، ويلقي الضوء على فرسان مجهولين ، كرسوا أنفسهم ، وبذلوا جهدهم للتعامل مع المرضى في مستشفى الطب النفسي في الكويت

وبالاضافة إلى العرض التاريخي الجهد الذي يقدمه الكتاب لتطور الاهتمام بهذه الفئة من المجتمع في الكويت منذ الثلاثينيات وحتى الآن فإنه يتناول قضايا عملية أخرى ، مثل اجراءات دخول المريض إلى مستشفى الطب النفسي ، والأدوية المستخدمة في علاج بعض الحالات

كما يتضمن الكتاب تعريفا بأهم الأمراض النفسية ، وطرق علاجها ، فضلا عن معلومات أساسية حول هذا الجانب الذي لم يلق عليه حتى الآن مايستحق من ضوء

■ ■

الكتاب : فلسفة التشريع الاسلامي

المؤلف : مجموعة من العلماء

الناشر : أكاديمية المملكة المغربية ـ الرباط

عدد الصفحات : ١٩٠ صفحة من القطع المتوسط

سنة النشر : ١٩٨٧ م

أصدرت أكاديمية المملكة المغربية هذا الكتاب ضمن سلسلة « الندوات » ويضم هذا الكتاب البحوث المقدمة في الندوة العلمية التي نظمتها الأكاديمية في عام ١٩٨٥ م حول موضوع فلسفة التشريع الاسلامي ، ومن ضمنها بحث رئيسي ، أعده الشيخ مكي الناصري ، عنوانه « فقه الشريعة وفلسفة التشريع الاسلامي » ، كما يضم أبحاثا حول المبادىء العامة في القانون الاداري ، وصلاتها بالأصول في التشريع الاسلامي ، وضبط المفاهيم في مجالات الفقه والشريعة والوحي والتشريع ، وتطور التشريع المغربي والتشريع الاسلامي مقارنة بالتشريعات الأخرى ، والقانون العام والقانون الخاص ، اضافة إلى أبحاث أخرى . □

مسابقة العربي الثقافية

العــدد ٣٤٦

سبتمبر ١٩٨٧

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن مجموعة أسئلة من الأسئلة المنشورة . ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي ـ صندوق بريد ٧٤٨ ـ الرمز البريدي 13008 ـ الكويت . . « مسابقة العربي العدد ٣٤٦ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ اكتوبر ١٩٨٧ .

« عالم الرياضة »

١ ـ الالعاب الاولمبية غالبا ما يشترك فيها كبار الرياضيين وأبطال الأرقام القياسية . ترى هل يوجد بين هؤلاء الأبطال عراة ، أم أنهم كلهم محترفون ؟

٢ ـ لعبة تنس الطاولة لعبة محببة للكثيرين ، وتسمى بنج بونج أيضا . وما زالت تعرف بهذا الاسم في أكثر بلاد الغرب . ترى في أي البلدان ظهرت هذه اللعبة أول ما ظهرت :

* في الصين بدليل اسمها القديم ، وبدليل اتقان الصينيين لهذه اللعبة ؟
* في الهند ؟
* في انكلترا ؟

٣ ـ أكبر ستاد مكشوف في العالم يتسع لربع مليون متفرج تقريبا ، ولأربعين ألف رياضي . أين يوجد هذا الستاد :

* في نيويورك ؟
* في براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا ؟
* في لندن ؟

٤ ـ الكل يعرف شعلة الأولمبياد ، تلك الشعلة التي تقطع المسافات الطويلة حتى تصل إلى حيث تقام المباريات الأولمبية ، فتوضع في مكان مرتفع ، وتبقى مشتعلة حتى تنتهي المباريات ، لكن الشعلة انطفأت في واحدة فقط من المباريات الأولمبية الحديثة ، وبقيت نحو دقيقتين . ترى أين حدث ذلك ومتى ؟

٥ ـ رياضة « الجلة » أو الكرة الحديدية (الشوت بوت) رياضة معروفة ، يمارسها كلا الجنسين من الرجال والنساء ، ويبلغ وزن « الجلة » في لعبة الرجال (٧,٢٥) كيلو غرامات . فما هو وزنها في لعبة « الجلة » للنساء :

* وزن « الجلة » واحد في لعبة الرجال والنساء

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العــدد ٣٤٦



* وزن « جلة » لعبة النساء يبلغ نصف وزن « جلة » الرجال .
* وزن جلة النساء هو ٤ كيلو غرامات .

٦ ـ من المباريات المحببة للأمريكيين تلك التي تقام بين رعاة البقر ، وتشمل فيما تشمل ركوب الخيول البرية غير المروضة ترويضاً كاملاً . ترى ما الاسم الذي تعرف به هذه المباريات ؟

* كاوبوي .
* روديو .
* جريناولد .

٧ ـ من المهرجانات الرياضية الكبيرة في بلاد الغرب مهرجانان يتشابه النظر ، يسمى أحدهما البنتاثلون ، أي مهرجان اللعبات الخمس ، ويسمى الآخر ديكاثلون ، أي مهرجان اللعبات العشر ، لكن أحدهما خاص بالنساء ، والآخر خاص بالرجال . فأيهما هذا وأيهما ذاك ؟

٨ ـ من هو لاعب الكرة الذي سجل ١٠٠٠ هدف في غضون عشر سنوات ، أي ما بين سنة ١٩٥٨ ـ ١٩٦٩ ، علما بأن عدد المباريات التي سجل فيها تلك الأهداف لم يتجاوز ٩٠٩ مباراة ؟

٩ ـ أكبر ستاد مسقوف في العالم يوجد في مدينة نيواورليانز في ولاية لويزيانا في الولايات المتحدة الامريكية . فما هو عدد المتفرجين الذين يتسع لهم هذا الستاد المسقوف ؟

* ٢٥٠٠٠ متفرج .
* ٥٠,٠٠٠ متفرج .
* ١٠٠,٠٠٠ متفرج .

١٠ ـ يذكر الرياضيون بطلين اثنين من أبطال الألعاب الأولمبية ، أحدهما بافو نورمي الفنلندي ، بطل مباريات سنة ١٩٢٤ ، والثاني رجسي اونز الزنجي الأمريكي ، بطل مباريات سنة ١٩٣٦ . وكلا البطلين عداء ، وقد تفوق أحدهما في المسافات القصيرة ، وتفوق الثاني في ركض المسافات الطويلة . فأيهما هذا وأيهما ذاك ؟

١١ ـ قواعد أو قوانين كوينز بري ذات شهرة كبيرة في عالم الرياضة ، وضعها الماركيز كوينز بري سنة ١٨٦٧ ، من أجل تنظيم إحدى الرياضات التالية :

* المصارعة .
* كرة القدم .
* الملاكمة .

ترى أي هذه الرياضات تحكمها قواعد كوينز بري في الوقت الحاضر؟

١٢ ـ من المعروف أن الألعاب الأولمبية الحديثة تشمل فيما تشمل ركض الماراثون . ترى هل كانت هذه الرياضة من الرياضات التي شملتها الألعاب الأولمبية القديمة « اليونانية » ؟ □

حل مسابقة العدد ٣٤٣

١ ـ تحدث السلف الصالح عن مدريد ، وقصدوا بها مدريد ، العاصمة الاسبانية ، وتحدثوا عن اقريطش وقصدوا بها جزيرة كريت . أما بلاد الكرج فهي ولاية جورجيا السوفياتية ، حسب تسمية السلف الصالح

٢ ـ البرازيل أكبر من الهند مساحة ، إذ تبلغ مساحتها ٨,٥١١,٩٦٥ كيلومترا مربعا ، بينما لاتزيد مساحة الهند على ٣,٢٨٧,٧٨٢ كيلومترا مربعا ، وتنقلب النسبة إذا ذكرنا عدد السكان ، إذ لايزيد عدد سكان البرازيل على ١١٩,٠٢٤,٦٠٠ نسمة ، بينما يبلغ عدد سكان الهند ٦٨٥,١٨٥,٠٠٠ نسمة .

٣ ـ إنها يوغوسلافيا كما لايخفى ، وإليك التفاصيل .

الجمهوريات الست هي سلوفينيا / كرواتيا / صربيا / مونتنجرو / مقدونيا / بوسنيا / هرزيكوفينا

والقوميات الخمس هي : قوميات الجمهوريات المذكورة باستثناء الأخيرة التي لاتعتبر قومية بالمعنى الدقيق .

واللغات الأربع هي : الصربية والكرواتية والسلوفينية والمقدونية .

والأديان هي : الكاثوليكية والارثوذكسية والاسلام .

٤ ـ الاسم القديم لبركينا فاسو هو فولتا العليا . والاسم الجديد لداهومي هو بنين . والجدير بالذكر أن مساحة بركينا فاسو تبلغ ٢٧٤,٢٠٠ كم ٢ ، وعدد سكانها يقارب سبعة ملايين نسمة ، ومعنى ذلك أنها أكبر من بنين مرتين او اكثر . ذلك أن مساحة بنين تبلغ ١١٢,٦٢٢ كم٢ ، وعدد سكانها ٣,٥٢٠,٠٠٠ نسمة .

٥ ـ استقلت (نياسالند) سنة ١٩٦٤ ، فاستبدلت اسمها هذا باسم ملاوي . وصرت اسم بحيرتها التي كانت تسمى بحيرة نياسا طيلة قرن من الزمان فأصبحت تسمى بحيرة ملاوي

ومن طريف مايذكر أن (نياسا) اسم افريقي يعني (بحيرة) ، وقد أطلقه على البحيرة المستكشف دافيد ليفنجستون سنة ١٨٥٩ حين وصلها لأول مرة .

٦ ـ فنزويلا هي الدولة المقصودة . فاسم فنزويلا يعني باللغة الأسبانية فينيسيا الصغيرة ، أي البندقية الصغيرة وكان الرحالة الاسباني (الونصو دي اوجيدو) هو الذي أطلق عليها هذا الاسم ، وكان ذلك سنة ١٤٩٩ حين كان يبحر بمحاذاة الساحل الكاريبي لفنزويلا ، فرأى بيوت بعض الهنود الحمر المبنية على ركائز فوق الماء ، فذكرته منظرها بالبندقية

٧ ـ الألوان والخطوط واحدة على كلا الوجهين ، خطوط عادية بألوان ثلاثة ، هي : الأحمر فالأبيض فالأزرق ، لكن أحد الوجهين يشمل بالإضافة إلى ذلك رسما على المقطع الأبيض هو صورة خاتم الخزينة

٨ ـ ديوميد الكبرى جزيرة روسية ، وديوميد الصغرى جزيرة أمريكية . وتقع الجزيرتان في مضيق برنج . والجدير بالذكر أن خط التوقيت الدولي يمر بين هاتين الجزيرتين ، بحيث يفصل بينهما يوم كامل بالرغم من أن الواحدة منها لاتبعد عن الأخرى إلا مسافة (٤) كيلومترات فقط .

٩ ـ الدولة الاوروبية المقصودة من السؤال هي مملكة بولونيا . فقد كانت الدولة الاوروبية الكبرى مساحة (بعد روسيا) ، والكبرى بعدد السكان (بعد

يونيو ١٩٨٧

فرنسا ، حتى عام ١٧٧٢ . لكن الحروب مالبثت أن قامت بينها وبين جاراتها ، روسيا والنمسا وبروسيا ، طيلة جيل كامل (١٧٧٢ - ١٧٩٥ م) ، وانتهت تلك الحروب بانتصار هذه الجارات على بولندة ، واقتسام أراضيها فيما بينها .

١٠ - الدولة هي بوليفيا ، وقد خسرت ما خسرت على النحو التالي

- سنة ١٨٧٩م - ١٨٨٣م حروب الباسفيكي وكانت نتيجتها أن خسرت شطر سواحل بوليفيا على المحيط الباسفيكي بما في ذلك صحراء أتكاما .

- سنة ١٩٠٣ م اضطرت بوليفيا للتخلي عن إحدى مناطقها الغنية بشجر المطاط للبرازيل

- سنة ١٩٣٢م - ١٩٣٥م فقدت بوليفيا في حرب شاكو مع الباراجواي نحو ثلاثة أرباع إقليم شاكو الجنوبي

١١ - فانوتو هو الاسم الجديد الذي اختارته لنفسها الجزر المذكورة في عهد الاستقلال . وقد كان اسمها السابق هو جزر الهبريد الجديدة . عاصمتها هي فيلا

١٢ - تقع قرية الخشنة قرب بخارى في الاتحاد السوفياتي . □

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

الفائزون في مسابقة العدد ٣٤٣ يونيو ١٩٨٧

الجائزة الأولى : أحمد محمد عبدالله درويش - القطيف - المملكة العربية السعودية

الجائزة الثانية : حمدي أحمد محمد البنا / محافظة الدقهلية - جمهورية مصر العربية

الجائزة الثالثة : يرشي محمد - فرنسا .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - المنصف السالمي / المعهد الثانوي المختلط / القيروان - تونس .

٢ - محمود سعيد محمد مصطفى صالح تزال / الجهراء المنطقة الثانية - الكويت

٣ - مالكي محمد / شارع علال الفاسي - مراكش - المملكة المغربية

٤ - صلاح مدثر محمد عبدالله / مغلق العمارة - السجانة - السودان .

٥ - ظافر كاظم البكري / كلية الهندسة - جامعة كشمير - الهند

٦ - فاطمة محمد ناصر الزبلي / ص.ب ١٠٧٥٥ - صنعاء - الجمهورية العربية اليمنية

٧ - السعيد ربيري - فرنسا

٨ - سعيد جمال ياسين / عمان - الجامعة الأردنية - الأردن





من مباريات الشطرنج الطريفة التي جرت في أواخر العام الماضي تلك المباراة التي أقامها نادي لوزخت الهولندي، احتفالا بمرور مائة عام على تأسيسه، فقد استضاف النادي المذكور ستة من كبار أبطال العالم في الشطرنج، منهم البريطانيان (جون نن) و(توني مايلز)، ليقابلا الأبطال الهولنديين في مباراة فريدة من نوعها، تهدف إلى وضع بعض الافتتاحيات - على الجدل - موضع الفحص والاختبار. وقد اختار منظمو المباراة افتتاحيتين من افتتاحيات جناح الوزير، تعرف إحداهما بدفاع (جرونفيلد)، والثانية بدفاع الوزير الهندي، وهما الخطان الرئيسيان لطريقة الدراجون (التنين) من الدفاع الصقلي (السيسيلي) أ. هـ ٤ جـ ٥ التي يتبعها الأسود ب (هـ ٣) إلى حين الوصول إلى البيدق المسموم، وهي طريقة الدفاع الصقلي المفضلة لدى بطل العالم الأمريكي بوبي فيشر (١٩٧٢ - ١٩٧٥) الذي كان سبباً في هزيمته أمام بوريس سباسكي بطل العالم الروسي (١٩٦٩ - ١٩٧٢) - الفرنسي حالياً - في مباراة ريكجافيك المشهورة.

وقد لقي نسخة من البيادق المسمومة الكوارث على رءوس لاعبيها الذين هزموا في جميع الحالات. مما يدعونا للتساؤل فيما إذا كان من الممكن اعتبار ذلك نجاحاً متأخراً لنظرية فيشر.

☐ تيوليس (هولندا)	■ جون نن (انجلترا)
١ - هـ ٤	جـ ٥
٢ - ح - و ٣	د ٦
٣ - د ٤	جـ × د ٤
٤ - ح × د ٤	ح - و ٦
٥ - ح - جـ ٣	أ ٦
٦ - ف - ز ٥	هـ ٦
٧ - و ٤	و - ب ٦
٨ - و - د ٣	و × ب ٢
٩ - ر - ب ١	و - أ ٣

وبانتهاء هذه النقلات الاجبارية بدأت حرية الاختيار، فاختار أربعة من اللاعبين البيض ١٠ و ٥، ولنذا ضحى الحصان بالفيل، غير أن الباقين تابعوا اللعب كالآتي:

١٠ - ف - هـ ٢	ح (أ) - د ٧
١١ - ت	و - جـ ٥
١٢ - م - هـ ١	ف - هـ ٢
١٣ - أ ٤	و - جـ ٧

الفائزون في مسابقة الشطرنج العدد ٣٤٤ يوليو ١٩٨٧

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ - محمود علي محمد - مقديشو / الصومال
٢ - محمد عبد الله علي - المراق / البحرين
٣ - محمود عطيه البيومي - الدقهلية / ج م ع
٤ - فريد خلف عيال / الاردن
٥ - أحمد حسون - بغداد / العراق

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ - علي يوسف محمود - حلوان / ج م ع
٢ - حامد عبدولي - الدوحة / قطر
٣ - القاسم السالمي - فاس / المغرب
٤ - أميرة حسن شحات - الاسماعيلية / ج م ع
٥ - عالية نيهال - العقيلة / الكويت

---

١٤ - ر - و٣	هـ٦
١٥ - ر - هـ٢	ح - جـ٥
١٦ - و - هـ٢	و - أ٥
١٧ - هـ٥	د × هـ٥
١٨ - و × هـ٥	ح - ز٤ (انظر الشكل)
١٩ - ف × ز٤	ف × ز٥
٢٠ - و - هـ٢	ت
٢١ - ح - و٣	ف - هـ٧
٢٢ - ح - هـ٤	ح × هـ٤
٢٣ - و × هـ٤	ر - د٨
٢٤ - ف - هـ٥	و٥
٢٥ - هـ × و٦ (بالتجاوز)	ف × و٦
٢٦ - و - و٦	ف - د٧
٢٧ - ح - د٤	و × أ٤
٢٨ - و - د٢	ر - و٨
٢٩ - ف - و٢	ر أ - هـ٨
٣٠ - جـ٣	و - جـ٤
٣١ - و - ز٦	ف × د٤
٣٢ - جـ × د٤	ر - و٦
٣٣ - و - هـ٤	ف - جـ٦
٣٤ - و - هـ٢	ف - ب٥
٣٥ - ف - هـ٤	و - جـ٢

ويخسر الأبيض الدور . فماذا ترى ؟

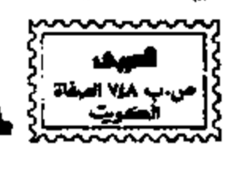
مسألة العدد ٣٤٦ سبتمبر ١٩٨٧

مات ٢

مهداة من القارىء محمد حزكم (القاهرة)

حل مسألة العدد ٣٤٤
يوليو ١٩٨٧
مفتاح الحل ح - هـ ٧

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"



حوار القراء ..

لصوص ظرفاء

● قرأت في العدد ٣٣٨ شهر يناير ١٩٨٧ مقالا للدكتور عبد السلام العجيلي، تحت عنوان «حيلة وحيلة». وحيلة» يحدثنا فيه الدكتور عبد السلام العجيلي عن السرقات التي حدثت في فرنسا العام الفائت.

وتوقف عند أغرب حادثة سطو وقعت في إحدى ضواحي باريس واسهب الدكتور في سرد تفاصيلها بأسلوب قصصي جذاب تعودناه في رواياته العديدة. إلا أن ما استوقفني كثيرا هو بعض العبارات التي وردت في مقال الدكتور عبد السلام العجيلي والتي تبرر للسارق عمله لطرافة أسلوبه في السرقة وأسوق هنا عبارتين وردتا في بداية ونهاية المقال الأولى: (نكاد نغفر أحيانا للسارق جرمه لطرافة أسلوبه في ارتكاب هذا الجرم) الثانية: (قال صاحبي معقبا على ما رويته له: لصوص أذكياء لا شك في هذا ينتقيهم من الأثاث والتحف الثمينة يتناسب مع ما يملكونه من وسائل في عالمهم المتقدم. ونحن هنا كذلك لا نعدم لصوصا ظرفاء لهم أساليبهم الذكية التي تسوق الابتسامة إلى الشفاه، ويكاد أن يغتفر لهم معها خروجهم على القانون وعلى الخلق المستقيم).

إلى هنا أتوقف: وأعترض على هذا التبرير وعلى ورود هاتين العبارتين في مقال الدكتور الكبير عبد السلام العجيلي، لأن للكلمة سحرها لدى الجمهور وخاصة عندما تصدر عن قلم دكتور أديب له باع طويل في عالم القصة والرواية. وهذا السحر يوحي بأن اللصوص ظرفاء دون طرافة الأسلوب التي تكاد تدعونا لأن نغفر أحيانا للسارق جرمه)

هذه الكلمات لها مفعول السحر والترحيب لدى الشباب العاطل والتي تسرب لهم رغبتهم وغرورهم وانحرافاتهم

وليسمح لي الدكتور عبد السلام العجيلي أن أسأله: متى كان «اللصوص ظرفاء» وهل يجمع الفكر والاحتيال والخديعة والنصب مع «الظرف» والظرف يعني الكياسة والنبالة والخلق القويم؟

فهل في نظرة هؤلاء اللصوص كياسة وخلق قويم حتى ينعتهم الدكتور بالظرافة واللطافة؟

إنها عبارات لم يقصد الدكتور عبد السلام بها وضع السم بالدسم على ما أعتقد ولكن القارئ قد يتبادر عنده إلى ذهنه للوهلة الأولى. والأهم من ذلك أنه لم يمض وقت طويل حتى وجدت نفسي أطالع في صحيفة الثورة السورية العدد ٧٣٤٤ بتاريخ ١١/ ٤/ ١٩٨٧ الصادرة في دمشق وعلى الصفحة السادسة قصة مشابهة لحادثة السرقة الباريسية بأسلوبها وتفاصيلها إلا أن نجومها هذه المرة لصوص عرب وحصلت حوادثها بين مدينتي حلب ودمشق إلى

يقول الدكتور عبد السلام في مقاله «نحن هنا كذلك لانعدم لصوصاً ظرفاء بأساليب ذكية ويكاد أن يختفي معها خروجهم على القانون وعلى الخلق المستقيم» ولم أكد أنتهي من قراءة هذه الطرفة حتى أصبت بالتعجب لدى مطالعتي صحيفة الوطن الكويتية العدد ٤٣٨٥ الصادرة بتاريخ ٦ مايو عام ١٩٨٦ وتحديداً على الصفحة ٢٨ الأخيرة وفيها حادثة سرقة مشابهة تحت عنوان مختلف عن السابقة وتحت عنوان صغير «السرقة ضرب وجنون» حادثة أخرى بنفس الأسلوب والتفاصيل ولكن مسرحها هذه المرة صحيفة تصدر بالعاصمة تونسية وجريدة عربية الصبحية. ولا أدري عما ماذا أطالع بعد [illegible] عادة طريفة [illegible] حادثة سرقة عربية وطريفة، نفس الأسلوب، نفس التفاصيل لا يسعني هنا إلا أن أردد العبارة المشهورة «القانون لا يحمي المغفلين» هذا صحيح.

لكن على الكتاب والأدباء يجب أن يكونوا قدوة تتناوله هذه الطرائف وأن يبتعدوا عن الطرائف والعبارات التي تروج للسرقة وتجعله بطلاً [illegible] طريقاً يكاد أن يحتقر معها خروجه على القانون وعلى الخلق المستقيم.

في الختام أرجو أن أكون قد وفقت في إبداء وجهة نظري وأرفق مع رسالتي هذه قصاصات من صحيفتي الثورة السورية والوطن الكويتية وردت فيهما هاتان الحادثتان.

محمود هدية
طرابلس - ليبيا

العربي

- ننشر وجهة نظر القارئ الكريم حول مقال الدكتور عبد السلام المسدي، ونشير إلى أنه أرفق بمقاله المنشور هنا قصاصات من صحيفة «الثورة» السورية ومن صحيفة «الوطن» الكويتية، وبها نص الوقائع التي أشار إليها في مساهمته، أما لاشك فيه فهو حسن نية الدكتور عبد السلام المسدي، وتركيزه على عنصر الطرافة في الموضوع، لا أن وجهة نظر القارئ الكريم جديرة أيضاً بأن تؤخذ في الاعتبار.

لغة القرآن الكريم في شبه القارة الهندية

● مجلة العربي من المجلات العربية التي يعتز بها المسلمون والعرب، ونحن في الهند نقدمها للمثقفين غير المسلمين للدلالة على تقدم الصحافة العربية في العالم العربي، وعلى انتشار اللغة العربية وحيويتها والآراء التي يبديها أصحابها عبر صفحات هذه المجلة قد لاترضي الجميع، ولكن شكل المجلة وتحريرها يستهويان كل ناظر، وإن قد عرفت فترة [illegible] مجلة العربي مقابل نشر مضامينها.

إن صفحات المجلة واسعة متنوعة لايستطيع أحد التنويه بما في سطور المجلة. ولكن الناحية التي تهمنا هي ناحية خدمة اللغة العربية - لغة القرآن والسنة - وترشيد الجهود التي تبذل في تدريس هذه اللغة ونشرها في العالم.

وقد دفعني إلى هذه الكتابة المتواضعة ما قرأته في العدد (٣٤١) من العربي (أبريل ١٩٨٧) تحت عنوان (تحية من معلم بالعالم الجديد) وكذلك ما جاء بعده من وعد العربي بأنها تستمر في ترشيدها وتوجيهها وقد تكون هذه السطور مضاعفة للتفاعل دون شك. ولكن الحقيقة أن المنطقة التي تعيش عليها توسعت فيها اللغة العربية بمثابة كافية من المستويات

حوار القراء ..

لتغير مجرى الأحداث في شبه القارة الهندية دون مبالغة .

ونشرح هذا الإجمال أن المسلمين بالهند (وكذلك باكستان وبنغلاديش) ينظرون الى اللغة العربية نظرة الاحترام والتقديس ، ويبذلون كل غال ورخيص في سبيل نشرها والحفاظ عليها .

ولاجل هذه اللغة النبيلة أنشأوا عشرات المدارس الكبيرة في أقطار الهند الواسعة وهذه المدارس أهلية أو شبه رسمية ولكنها تمتاز بعنايتها البالغة باللغة العربية تدريسا وكتابة وتكلما ، حتى ان الطلاب في مرحلة من مراحل الدراسة في هذه المدارس يقرؤون قراءة سليمة جدا ولكنهم لا يستطيعون فهم كلمات التنزيل من ناحية المعنى لانهم لم يصلوا الى مستوى فهم القرآن الكريم. ومما يبرهن عليه ان المسلمين الذين تخرجوا في هذه المدارس الاسلامية ثم استكملوا دراساتهم كانت لهم مساهمة ملموسة في حركة تحرير الهند ، وفي الدفاع عن الاسلام ومبادئه وقيمه ، وفي صد هجمات المبشرين النصارى الذين هاجموا الاسلام والمسلمين بكل عنف وشراسة، أيام الاستعمار الانجليزي لشبه القارة .

ولهؤلاء العلماء مؤلفات قيمة ناطقة باللغة العربية أو غيرها وهي جميعا تتناول قواعد اللغة العربية وآدابها وثقافتها وقصصها وما الى ذلك وهي سوف الدفاع ترد على الهجمات التبشيرية والصهيونية وتبرز معالم الحضارة العربية والاسلامية التي امتد اشعاعها الى أقصى الصين في الشرق. ولست هنا كي احصي محاسن المدارس الاسلامية ومزاياها ، ولكني اشرت الى بعضها تنويها بشأنها وتلبية لما اقترحه في سبيل دعمها وبعثها . الا ان هذه المدارس يجهلها كثير من المسلمين بالعالم ، ومجلة العربي الموقرة قد غطت باستطلاعاتها كثيرا من البلاد والعالم الاسلامي فلو تكرم القائمون على هذه المجلة بإعطاء القليل من العناية لهذه المدارس الاسلامية لتبين ذلك حافزا لما دون ذلك . وبما ان هذه المدارس تتبع جماعات معينة فمن الاحسن ان يتم التعريف بمدرسة واحدة فقط بين مدارس جماعة واحدة .

وأمل قوي في ان هذه اللغة الفنية ستصل الى جميع الآفاق ، كما ان الدين الاسلامي الحنيف قد وصل اشعاعه الى كل مكان . رزقنا الله تعالى الاخلاص والتوفيق . . . .

د . مقتدى حسن محمد ياسين
وكيل الجامعة السلفية / الهند

- نشكر للدكتور مقتدى حسن اهتمامه والمعلومات التي تفضل بها حول دور مدارس تعليم اللغة العربية في الهند ، ونعده بأن يكون اقتراحه حول استطلاع او التعريف بهذه المدارس ودورها محل دراسة في مجلس التحرير خلال مناقشة خطط الاستطلاعات وشكرا .

هل كان العرب يصنعون الثلج ؟

● بين العربي وقرائها ثقة متبادلة . فلا هي تبخل عليه بالثقافة في شتى مجالاتها ، ولا هو يبخل بالاستفادة . ولقد لفت انتباهي من مقال بعنوان « الفصل بين الطب والفلسفة » في العدد « ٣٤٦ » قول الدكتور عادل البكري عن الطبيب بختيشوع بن جبرائيل انه في الايام الشديدة الحر كان يجلس في

غرفة ذات طاقات ، يدخل منها هواء مبرد ، بعد مروره على مواضع فيها ثلج مكبوس ، فهل كان في ذلك العهد ثلج مصنع ، أم ان رجالات ذلك العصر كان بامكانهم حفظ الثلج من ايام الشتاء الى ايام الحر الشديد ، أم ان مايورد كان سهوا ؟

وجزاكم الله خيرا

رامز حداد

الزرقاء / الاردن

ـ حولنا هذه الرسالة الى الدكتور عادل البكري كاتب المقال المشار اليه فتفضل بالرد التالي :

اشارة الى استفسار السيد رامز حداد في رسالته المرفقة حول موضوع (التبريد بالثلج) الوارد في مقالي بعنوان (الفصل بين الطب والفلسفة) .

كان الثلج يستعمل في التبريد منذ العصر العباسي الاول ، ويشير الطبري في تاريخه ان اول من جلب له الثلج من الخلفاء هو المهدي وكان الرشيد يحمل له الثلج في حجه الى بيت الله . وبعد ان نقلت عاصمة الخلافة العباسية الى سامراء اصبح للثلج اهمية كبيرة واصبحت له وظيفة يقال لها وظيفة (الثلاج) وهو الذي يجلب الثلج من الاماكن البعيدة ويخزنه . وكانت نفقات الثلج في زمن الخليفة المقتدر (٢٩٥ هـ - ٣٢٠ هـ) تبلغ آلافا من الدنانير ويذكر أن وزيره ابن الفرات صرف أربعين ألف رطل من الثلج في أول يوم من استيزاره في وزارته الثانية . وكان في ناحية قصره دار كبيرة للشراب يقدم فيها المياه المثلوج . وجاء في مطالع البدور للغزولي (ج ٢ ص ٤٨) أن جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة حجت عام ٣٦٦ هـ فسقت اهل الموسم من السويق المشبع بالسكر والثلج .

واستعمل الثلج في الطب اذ وصفه الطبيب اسحاق بن عمران المتوفى سنة ٢٧٩ هـ لمعالجة مرض النسمة (أي ضيق النفس) الذي أصيب به ابن الاغلب حسبما ذكر ابن جلجل في كتابه (طبقات الاطباء والحكماء) . كما استعمل ابن سينا (كيس الثلج) على الرأس لمعالجة الحمى والصداع .

وكان اقبال الناس على شراء الثلج واستعماله في دورهم وقصورهم قد دفع طبقة من الناس الى العناية بجلبه من الجبال البعيدة وكبسه وحفظه في سهاريج معزولة حتى يحين موسم الحر ، ثم يبيعونه بأسعار غالية . ويذكر القلقشندي أن الثلج كان يجلب من الشام الى مصر لتبريد الماء غير أن أحدا من المؤرخين لم يذكر ابدا أن الثلج كان يصنع كما يصنع اليوم ، إذ أن طريقة استحضاره صناعيا لم تكن معروفة آنذاك .

اما القصة التي أوردتها عن استعمال ابن بختيشوع للثلج في تكييف الهواء (تبريده) فهي تدل على التطور الحضاري في ذلك العصر ، وقد ذكرها ابن أبي أصيبعة في عيون الانباء عند كلامه عن هذا الطبيب ويمكن مراجعتها في موضعها . كما يمكن مراجعة مقال ماجد عبد الله الشمس وعنوانه درهم ضمن ابحاث الندوة القطرية الثالثة لمركز احياء التراث العلمي العربي ببغداد ففيها ما يفيد في هذا المجال .

د . عادل البكري
الجامعة المستنصرية ـ بغداد

تعالوا نتعلم كيف نعترف بالخطأ

● لقد اثارت مقالة الدكتور يحيى الجمل في عدد ابريل ٨٧ م من العربي بعنوان « تعالوا نتعلم كيف نختلف » الكثير من التساؤلات التي يختلج بها صدر كل عربي ويوجهها الى الحكام العرب أولا ، وكل عربي في موقع المسؤولية ثانيا ، وكل الجماهير العربية ثالثا . ومن هذه التساؤلات نذكر مايلي :

يا عرب تعالوا نتعلم كيف نعترف بالخطأ . فان الاعتراف بالخطأ أول الخطوات نحو الصواب . وان الاعتراف بالخطأ والاعتذار عنه نبل وشهامة ولا يعيب

حوار القراء ..

المرء ولايتقص من قدره أن يحيد عن الخطأ إلى الصواب

ياعرب تعالوا نتعلم كيف نغضب وكيف نتناول مواقف الغضب بموضوعية وكيف نحسن إلى أخينا العربي ان أساء الينا . وتعالوا نتعلم كيف نخرس أجهزة اعلامنا التي تنطلق بالشتائم ضد بعضنا البعض لذا كنا نريد للعلاقات العربية بعض الاصلاح

ياعرب تعالوا نتعلم كيف ان هناك بعض الاساسيات لايجب أن نمس مهما اختلفنا مثل عدم اغلاق الحدود وعدم قطع العلاقات وعدم منع المواطنين العرب من الدخول لأي بلد عربي لزيارة أقاربهم والتواصل . هل يعقل ياعرب ان تكون لمصر قلب العروبة النابض علاقات وحدود مفتوحة مع اسرائيل وليس لها ذلك مع جارتها ليبيا مثلا ؟؟ .

ياعرب تعالوا نتعلم كيف أن قوتنا في وحدتنا وأن ضعفنا في تفرقنا وأن الذي يعاني من الخلافات العربية هو المواطن العربي أولا وأخيرا

ياعرب تعالوا نتعلم كيف نتغاضى عن خلافاتنا البسيطة لإزالة في سبيل أهداف أسمى باقية .

ياعرب تعالوا نتعلم كيف أننا أحيانا نسيء إلى أنفسنا وإلى شعوبنا أكثر مما يسيء لنا الآخرون مثل الاستعمار والصهيونية ؟!

هذه بعض التساؤلات أو الآمال العربية لعلها تجد طريقها للنشر على صفحات حوار القراء وشكرا .

محمود عبد الرءوف كامل

مدرس الاعلام بجامعة قاريونس

/ بنغازي / ليبيا

الفقهاء ومشاكل العصر

● لي تعقيب بسيط على مقال الاستاذ فهمي هويدي المنشور بالعدد ٣٤٢ مايو ١٩٨٧ (استدعاء الفقه إلى قلب العصر)

فلا يختلف أحد على عظمة الفقه الاسلامي ومرونته وصلاحيته مع كل بيئة ومواكبته للمشاكل المختلفة التي واجهته

فبشأن الشرط الثالث الذي أضافه د . القرضاوي والمتعلق بضرورة توفر معرفة النص والحياة في المجتهد والبعد عن الأهواء الاقتصادية والسياسية المختلفة فكثير من الفقهاء المحدثين والقدماء انحازوا للأسف للحكام وللمال وللسلطة فلم نسمع منهم رأيا في أمور الحياة اليومية التي تمر بالمسلمين وكذلك في الشئون العامة كتجارة العملة والمضاربة بالنصب وأشباه من هذا القبيل وكذلك ماهي مصلحة النظريات الاقتصادية التي تناسبنا للأخذ بها بدلا الاقتصار على الفتاوي المكررة

مع ذلك فكثير من الفقهاء انحازوا إلى الفقراء من المسلمين لانهم كانوا على اقتناع تام بأن الرسالات السماوية جاءت لنصرة الحق والمظلومين . ومن ثم فيجب على علمائنا ألا يحصروا أنفسهم في المسلمات بأن هذا حرام وذاك حلال وعليهم بأن يجتهدوا لادخال الفقه إلى عصرنا الحديث حتى يجرؤ المسلمون مكانتهم مرة أخرى ولايتخلفوا كما هو حادث الآن .

هشام محمد جلال السيد

الاسكندرية / مصر

جمالية الخط العربي

● قرأت في العدد ٣٢٨ من مجلة العربي مقالا عن «جمالية الخط الكوفي» بقلم عبد اللطيف هاشم، ولقد سعدت بما ورد في هذا المقال من معلومات وتحليل قيم لجمالية الخط الكوفي الذي يعتبر أحد أشكال الفن العربي المتميز. وأرجو بهذه المناسبة أن تدرسوا امكانية وضع باب ولو غير منتظم في الصدور عن الخط العربي بجميع أشكاله وتاريخه وما يحتوي عليه من قيم جمالية وإبداعية لتعريف الجيل الجديد بهذا الفن العربي العظيم الذي يكاد يختفي، وإتاحة الفرصة لامكانية تطويره من خلال جهود الفنانين العرب المحدثين وشكرا.

منصور الديراني

المعهد الصناعي دمشق

العربي

— ابتداء ترحب العربي بنشر أي مقال جيد عن فن الخط العربي، وتعد القارىء الكريم بأن يكون اقتراحه محل اهتمام ودراسة في مجلس التحرير.

ردود خاصة

● يرغب السيد / محمد الحسن محمد صالح عثمان المقيم في الشقة ٣٥ بناية مدرم شارع مدرم / عدن بجمهورية اليمن الديمقراطية أن تنشر عنوانه أملا أن يطلع عليه أحد أقاربه الذين انقطعت صلته بهم منذ ستة عشر عاما رغم رسائله إليهم، بعضهم كان في بيروت الغربية / لبنان، وبعضهم في السودان.

ونأمل يا سيد / محمد أن تلتقي بأقاربك بعد هذا النشر. □



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

سبتمبر ١٩٨٧ م

الأحزاب السياسية
في العالم الثالث

تأليف: د. أسامة الغزالي حرب

٥٠٠ فلس

الكتاب ١١٧

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام - الكويت

العدد ٢١٦ أول سبتمبر ١٩٨٧

السحب - ٢

تأليف : أريستوفانيس
ترجمة وتقديم أدبي : د. أحمد عتمان
مراجعة وتقديم تاريخي : د. عبداللطيف أحمد علي

الجزء الثاني

١- النص المسرحي
٢- معجم الأعلام الأسطورية والتاريخية



نافذة عربية

للفنان العراقي ضياء العزاوي